

الرسائل الجامعية

جامعة بغداد
كلية التربية / ابن رشد
قسم التاريخ

الـحيـاة الإجتماعيـة فـي الحجاز قبـل الإسلام

اطروحة تقدم بها الطالب

صلاح عباس حسن السوداني

إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي .

بإشراف

الإستـــاذة

نـبيلة عبـد المنـعم داود

١٤٢٣هـ
بغداد
٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله

صدق الله العظيم

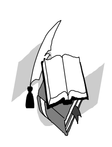
آل عمران الآية ١١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير

صدق الله العظيم

الحجرات الاية (٤٩)



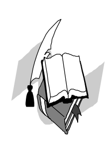
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم انبيائه ورسله محمد الامين صلى الله عليه وآله وسلم .

يستثير البحث في التاريخ الاجتماعي للعرب في عصر ما قبل الإسلام اليوم، ودراسة المنابع الأولى لحضارتهم اهتمام الكثير من أبناء الأمة العربية ، ممن يتطلعون الى التعمق في معرفة ماضي أمتهم العربية ، ومنبت قوميتهم، والتزود من أحداث الماضي ووقائعه ، بعبرات ، ومواعظ ، من تجارب أجدادهم بدروس قد تعينهم في الوقت الحاضر على أدراك تراثهم القديم الحافل بالأمجاد . ولاشك ان تاريخ العرب قبل الإسلام من الموضوعات الهامة بنسبة لتاريخ العرب العام ، وتاريخهم الإسلامي بوجه خاص ، لانه الأساس لهذا التاريخ وركيزته التي يقوم عليها ، اذ لايمكن تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية ، والاقتصادية في العصر الإسلامي الا اذا بحثنا عن اصولها القديمة في عصر ما قبل الإسلام .

وللاسف تفتقر مكتباتنا الى هذا النوع من الدراسات فلم يصدر عن تاريخ العرب قبل الإسلام من المصنفات العربية الحديثة سوى عدد قليل من البحوث تعد على اصابع اليد ، ويكاد يكون ابرزها جميعاً ثمانية اجزاء ضخمة قدمها الاستاذ المرحوم الدكتور جواد علي ، وعدت المرجع العلمي الاول بتاريخ العرب قبل الإسلام ، فضلاً عن بحوث اخرى قليلة منها كتابي احمد ابراهيم (الشريف مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول) ، (وكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام) للسيد عبدالعزيز سالم ، (وكتاب تاريخ العرب القديم) للدكتور محمد مهران بيومي ، (ومحاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام) للدكتور صالح احمد العلي ، فضلاً عن دراسات اخرى لكنها قليلة كما ذكرنا سابقاً ، واذا استثنينا المفصل في تاريخ العرب للدكتور جواد علي فان اهم مايميز هذه المراجع تناولها لتاريخ العرب السياسي تحديداً دون الاخذ بالحسبان الجوانب الاخرى المشرقة من تاريخ هذه الامة العريقة ، ومازال البحث في تاريخ العرب قبل الاسلام ميداناً بكراً يتسع المجال فيه لكثير من الدراسات .



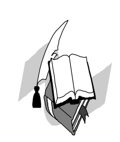
ان العناية بتاريخ العرب قبل الاسلام على الرغم من صعوبته لكنه يشكل ضرورة علمية وقومية ، فالعرب امة ذات عمق حضاري يمتد الى سالف الدهر ، فتاريخهم ينبغي الاعتناء به ، فهم اهل المآثر واصل الفضائل والمفاخر، بمزاياهم تزينت صفحات الزمن ، وبحميد سجاياهم تبسم وجه الدهر العبوس .

واردنا هنا التعرض لمسألة مهمة فقد صورت لنا كتب التاريخ ان الحقبة التي سبقت الاسلام تكاد تكون مظلمة ان جاز لنا التعبير سادتها الفوضى والصراعات والحروب والانقسامات الداخلية والثارات ، وظلت هذه الصورة قاتمة عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، ايدهم في ذلك المستشرقون ، وقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على جانب يعكس التطور الحضاري الذي وصل اليه العربي ، فهل من المعقول ان الله عز وجل قد اختار هذه الامة العظيمة لتكون نبراساً مشعاً لحمل نور الاسلام لكل ارجاء المعمورة مالم تحمل الاساس الحضاري ولديها بوادر النهوض حتى خاطبهم القرآن على ان العرب لم تكن امة مدنية مستنيرة فحسب ، بل تمثلها امة معزولة عن غيرها من الامم .

من هنا جاءت اهمية هذه الدراسة لاظهار جانب مهم من جوانب حياة العرب ، بل هواهم جوانبها لما يمثله من الرقي والتقدم الذي وصل اليه العرب وبأدق تفاصيل حياته اليومية وعلى كافة الاصعدة سواءاً السياسية منها او الاقتصادية او الثقافية او الدينية ولعل ادق تعبير على ماذهبنا اليه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) [١]وهذا القول لايدعو الى الشك الى ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اراد القول ان ماجاء به من قيم ليس منقطعاً عن القيم التي كانت محور الفعالية الاجتماعية الايجابية قبل الاسلام.ان هذه الحقبة على الرغم مما سادها من حروب داخلية ، فقد نمت فيها قيم تعارف عليها المجتمع العربي ، وقد زكّى بعضها الاسلام واقرها،وعلى الرغم من ان تاريخ امتنا في هذه الحقبة اكتنفه بعض الغموض وهذا يعود لاسباب كثيرة يأتي في اولها عدم تدوينهم تاريخهم بسبب عدم انتشار الكتابة بشكل واسع يسمح بالتدوين ، فضلاً عن ان بلادهم كانت وقفاً

---

[١] البيهقي ، احمد بن الحسين (٤٥٨هـ) ، سنن البيهقي الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، دار الباز ، (مكة المكرمة ، ١٩٩٤) . ، ١٠ / ١٩١ .

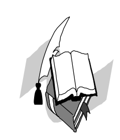


عليهم فلم يستطع طامع او دخيل ان يدخل بلادهم فاتحاً ، فقد كانت الصحراء درعاً واقياً لهم ، ان اعتزاز العرب بتراثهم وبأنسابهم جعلهم يتناقلون تاريخهم في هذه الحقبة مشافهة يحفظه جيل عن جيل .ولعل الشعر العربي كان من اكثر الادلة على ماذكرنا ، فكان العرب اما شعراء او ناقلين للشعر ، حتى اوصلوه الى عصر التدوين اذ تمكن المؤرخون من تلمس الحياة العربية من جميع جوانبها .

لقد كان الاسلام نقطة تحول حاسمة في الحياة العربية ، ولكن ذلك لاينفي القول بان كل ماقدمته الامة تحت ظلال رايته الشريفة غريب عن طبعها جديد على مسيرتها ، انه صدى طموحها ، والمعبر عن هويتها الحضارية التي لم تجد وسيلة شاخصة للتعبير عنها خلال الحقب التي سبقت بزوغ نور الاسلام الا من خلال منافذ حددتها البيئة الطبيعية ومافرضته تلك البيئة من نمط النظام الاجتماعي القبلي .

من هنا جاءت اهمية الموضوع واختياره ، ولقد واجهت الباحث صعوبات جمة ، منها ندرة المعلومات وشحتها فهي موزعة اشتاتاً متفرقة في بطون الكتب وهذا ما تطلب من الباحث جهود مضنية ، زد على ذلك نظرة المؤرخين الى بلاد العرب كولايات وليس كمدن ، فكانوا ينظرون الى هذه المدن الثلاث على انها بلاد الحجاز ، فضلاً عن وجود هاجس اليأس بعدم وجود المادة الكافية للكتابة في هذا الموضوع ، لكن هذه الصعوبات تذللت بجهود اساتذتي الافاضل وتوجيهاتهم السديدة ، وهذا ماأعطى الباحث دافعاً معنوياً لتذليل كل الصعاب ، فالدراسة في الحياة الاجتماعية من المسائل . اذا حرص الباحث ان يلم باشتاتها . اتسعت ، . واذا اراد ان يحيط بتفصيلاتها . اعيته ، فهي تلقي على الباحث عبئاً كبيراً في كشفها وتحليل دورها وتقديره وارتباطاتها ورصد تطوراتها .

والواقع ان التغيرات الاجتماعية يصعب ضبطها وتدقيق مجرى حدوثها ، لانها بطيئة يعيشها الناس ، وقلما ينتبهون اليها او يدونون تفاصيلها وكثيراً ما يضطر المرء الى تصيدها من الجمل العابرة او يستنبطها من دراسة النصوص التي قد تبدو في ظاهرها بعيدة عن الحياة الاجتماعية من هنا فان المسؤولية كبيرة في اعناقنا في



ان نجلو ماغمض من تاريخ حضارة امتنا في الحقبة التي سبقت الاسلام ، وهذا لن ينقص من قيمة الاسلام وابراز حضارة الامة التي حملته الى العالم .

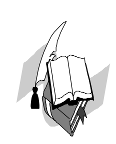
ان موضوع بحثنا موغل في اعماق التاريخ وتمتد حقبة دراستنا لقرنين من الزمن تقريباً قبل ظهور الاسلام ، وقد واجهت الباحث جملة عقبات في جمع مادة البحث من تلك المصادر القليلة والمحدودة جداً ، فباستثناء الاشارات القرآنية ومايحلق بها من معلومات مثبتة في اثناء كتب التفسير ، وتكرر المصادر المعلومات نفسها ، اذ ان بعض المادة التي تخص دراستنا نجدها في مقدمة كتب التاريخ التي تتحدث عن عهد النبوة والاحداث الخاصة بالدعوة الاسلامية .

وقد توزعت هذه الدراسة الى اربعة فصول :

شمل الفصل الاول جغرافية الحجاز وماتشكله من اهمية في طباع الانسان فتناولت هذا الفصل بثلاثة مباحث تناول كل مبحث جغرافية المدينة ومناخها ومنازل السكان وتوزيعها . وتعرفنا على طبيعة المدن الثلاث ومواقعها وسكانها ، ثم ادركنا عربية هذه المدن وعراقتها منذ نشأتها ، وكان هذا الفصل يمثل النفوذ الى صلب موضوعنا .

اما الفصل الثاني فتناولنا فيه القبيلة واثرها في حياة العرب الاجتماعية ، فقد قسم الفصل الى ثلاث مباحث ، فكان المبحث الاول القبيلة ونظامها ، والمتمثل بشيخ القبيلة وطريقة اختياره ومجلس القبيلة والعصبية القبلية واهتمامهم بالانساب . اما المبحث الثاني فقد شمل مظاهر العصبية القبلية ، وقسم الى الثأر والدية والمفاخرات ، اما المبحث الثالث فكان التشكيل الاجتماعي للقبيلة والمتمثل بالصرحاء والموالي والعبيد ، واخيراً شمل هذا المبحث شرائح المجتمع من طبقة الاغنياء وطبقة العامة وطبقة الفقراء .

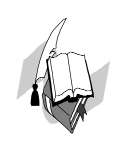
اما الفصل الثالث فتطرقت فيه عن الحياة الاسرية ، وقد قسم على ثلاثة مباحث ايضاً شمل المبحث الاول الاسرة ، واهمية الابن ومكانة المرأة ، اما المبحث الثاني فشمل الزواج وانواع الزواج ، اما المبحث الثالث فقد شمل الخطبة والمهر والصداق والطلاق .



وكان عنوان الفصل الرابع مظاهر الحياة الاجتماعية عند العرب ، وشمل كل الجوانب الاجتماعية في حياة العرب قبل الاسلام والمتمثلة بالاطعمة والاشربة والالبسة والحلي والغناء والموسيقى والافراح والاحزان والمثل والقيم الخلقية عند العرب : من ضيافة ، وشجاعة ، وعفة ، وحرية ، واباء ، ووفاء ، ومساكن العرب ، واثاثاها ، والحياة اليومية ، والنظافة ، واخيراً ختمت هذا الفصل بعقائد العرب الدينية وتأثيرها الاجتماعي . اما بالنسبة للمصادر المستخدمة في دراستنا فيمكن تصنيفها على النحو الآتي :

لاشك ان القرآن الكريم يعد ادق مايعتمد عليه في صحة المعلومات الوارده، فهو اصدق مرآة لواقع ذلك العصر ومن هنا فقد جاءت اهمية كتب التفسير بعد القرآن الكريم من حيث الاهمية :

١. كتب التفسير والحديث : يأتي في مقدمتها تفسير الطبري وتفسير الشوكاني ، فضلاً عن تفاسير اخرى مختلفة ، وقد امدتنا هذه التفاسير بالايضاحات حول تفسير السور والآيات القرآنية متضمنة مادة تاريخية مهمة ، ولاسيما في ما يتعلق بنظام الاسرة والامور الشرعية كالزواج والطلاق وغيرها .
٢. كتب السير والمغازي : وكان في مقدمتها كتاب السيرة النبوية لابي محمد بن عبدالملك بن هشام (ت٢١٨هـ) ، الذي يعد من المصادر الاساسية لهذه الدراسة اذ افدنا منه فيما يخص العلاقات الاجتماعية والسياسية بين مدن الحجاز الثلاث ، ومصدر اهميته تأتي كون المعلومات الوفيرة الموجودة فيه مرتبة ترتيباً زمنياً منسقاً وقد شمل على فصول البحث الاربعة ، فضلاً عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤ هـ) ، وكذلك كتاب المغازي للواقدي (ت٢٠٧هـ) ، وقد افدنا منه بمعلومات كثيرة في مواقع مختلفة من الرسالة .
٣. كتب الانساب والتراجم : ويأتي في مقدمتها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٣٠هـ) ويعد من المصادر الاساسية لهذه الدراسات ، فهو يسلط الاضواء على ابرز الشخصيات في الحجاز عامة ومكة خاصة ، ويتميز بدقة المعلومات ، وكتاب نسب قريش للزبيري (٢٣٦هـ) فيما يتعلق بانساب قريش وتقصي

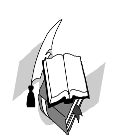


بعض العلاقات الاجتماعية بين المدن الثلاث ، وقد انتفعنا بكتاب جمهرة انساب العرب لابن حزم (ت٤٥٦هـ) وكذلك كتاب القلقشندي (ت٨٢١هـ) ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب وافدنا منهما في معرفة الكثير من انساب القبائل العربية وتفرعاتها وقد افدنا منه لاسيما في الفصل الاول .

٤. كتب التواريخ المحلية (تاريخ المدن) : ويأتي في مقدمتها كتاب اخبار مكة للازرقي (٢٤٤هـ) الذي يعد من المصادر المهمة لهذه الدراسة لاسيما مايخص مدينة مكة وكذلك افدنا من كتاب وفاء الوفا في احوال المصطفى للسمهودي (ت٩١١هـ) يعد كذلك من المصادر المهمة عن تاريخ يثرب ومنازل السكان فيها وتوزيع القبائل .

٥. مصادر الجغرافية والبلدان : وقد شكلت هذه الكتب مصادر اساسية لدراسة جغرافية الحجاز ومدنه ، وقد افدنا من عدة مصادر جغرافية كان في مقدمتها معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في اغلب فصول الرسالة وقد امدنا بمعلومات كثيرة عن مدن عربية وقرى تقع بين المدن الثلاث ، فضلاً عن كتب جغرافية اخرى كان لها حضوراً متفاوت الاهمية في فصول الرسالة الاربعة ، كالاعلاق النفيسة لابن رستة (٢٩٠هـ) ، والمسالك والممالك لابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ) ، وقد افدنا من هذه المصادر في الفصل الاول تحديداً .

٦. كتب المعاجم اللغوية والمصادر الادبية : شكلت كتب المعاجم اللغوية فائدة قصوى ، فقد امدتنا بالكثير من المعلومات التاريخية من خلال الكثير من المفردات وتعريفها ، وكان في صدارتها ، لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) والمخصص لابن سيدة (ت٤٥٨هـ) ، وتاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، فضلاً عن الدواوين والمجاميع الشعرية ويأتي في مقدمتها شروح الدواوين لشعراء المعلقات السبع ، زد على ذلك شروحات الحماسة للتبريزي والمرزوقي وكتاب المفضليات للضبي ، ومن المصادر الادبية التي كان لها اهمية كبيرة في جميع فصول الاطروحة تكاد تكون متساوية الاهمية ، كتب ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) عيون الاخبار ، والمعارف، والشعر والشعراء ، وادب الكاتب ، فقد افدنا منها في بناء العلاقات الاجتماعية القائمة من مأكل وملبس



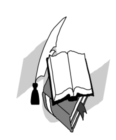
ومفردات الحياة اليومية ، ومن المصادر الادبية الاخرى كتابي البيان والتبين والحيوان للجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، والذي يتسم بثقافته الموسوعية ، والتاريخية ، والادبية مما جعله يتنبه الى كثير من الامور والاحداث بالنقد والتحليل التي تخص المعايير النفسية والاجتماعية وترتبط باحداث ومناسبات معينة ، وكذلك كتاب العقد الفريد لابن عبد ربة الاندلسي (ت٣٢٨هـ) ، فقد تطرق لكثير من الجوانب الاجتماعية والتربوية لمجتمع عرب قبل الاسلام ، فضلاً عن كتب ادبية اخرى ككتاب ابو علي القالي الامالي (ت ٣٥٦هـ) ، وذيل الامالي وكتاب العمدة لابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) وكتب اخرى اقل اهمية فيما يخص موضوع الدراسة ، وشكل كتاب الامثال للميداني اهمية قصوى لفهم الكثير من جوانب حياة العرب الاجتماعية ، فهو نوع من انواع الحكم السائرة بين الناس يحفظها الناس بسهولة ، وقد افدنا منه في اغلب فصول الاطروحة ، فكان له حضوراً واضحاً فهو بحق الموروث الحضاري الثر للامة لاتقل منزلته عن الشعر .

٧. كتب الحوليات : فقد افدنا من كتاب المسعودي مروج الذهب والتنبيه والاشراف ، في بعض العلاقات الاجتماعية والدينية .

٨. الكتب الموسوعية : فقد افدنا من كتاب الاغاني للاصفهاني (٣٦٠هـ) ويعد من المصادر المهمة لهذه الدراسة لكثرة المادة التي جمعت منه ، فقد استفدنا منه في موضوع العلاقات الاجتماعية مما يعكس صور الحياة الاجتماعية في كل مجالاتها .

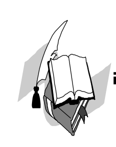
٩. الكتب المتخصصة : يأتي في مقدمتها كتاب الاصنام لابن الكلبي (ت٢٠٤هـ) يعد من المصادر المهمة للثقافة الموسوعية ، فضلاً عن اهميته لاعتماد المؤرخين عليه فيما بعد ، على الرغم من قلة المادة التي يشكلها الا انه يحتوي على بعض التفصيلات المتعلقة بحياة العرب الدينية ومعتقداهم .

١٠. المراجع الحديثة : قد جاءت الدراسات الحديثة مكملة لما اوردته المصادر فكان لها دور اساس في ابداء وجهات النظر تساعد على فهم طبيعة الموضوع ، ويعد كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، المرجع الاساس للباحثين ،



كونه يعد شاملاً لكل جوانب حياة العرب ، ويأتي بعده من حيث الاهمية كتابي احمد ابراهيم الشريف مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، وكتاب محمد بيومي مهران تاريخ العرب القديم وكتاب الدكتور صالح العلي دولة المدينة في عهد الرسول (ص) ومحاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، والسيد عبدالعزيز سالم تاريخ العرب قبل الاسلام وعلى الرغم من اهتمام هذه المراجع بالجوانب السياسية للعرب قبل الاسلام لكنها عالجت في مواضع قليلة بعض الجوانب الاجتماعية والدينية ، فضلاً عن المراجع الادبية الحديثة ، فقد شكل كتاب بلوغ الارب للالوسي باجزاءه الثلاث اهمية قصوى افادت الباحث في كثير من فصول الاطروحة ، فضلاً عن كتاب احمد الحوفي الحياة العربية في الشعر الجاهلي والمرأة في الشعر الجاهلي ،زد على ذلك كتب علم الاجتماع ، فقد شكل معجم علم الاجتماع الذي ترجمه الدكتور احسان محمد الحسن ، فائدة وفيرة فمن خلال وجهات نظر علم الاجتماع تمكنا من تكوين صورة واضحة عن حياة العرب الداخلية (الاسرية) ، تلك هي مفردات هذه الدراسة التي اهتدى الباحث الى وضعها من اجل الوقوف على الطبيعة الاجتماعية للعرب قبل الاسلام ، فضلاً عن ذلك المقالات المنشورة في المجلات المختلفة والرسائل الجامعية ، ارجو ان اكون قد وفقت في ابراز جانب مهم من الجوانب الحضارية لامتنا العربية الاسلامية ، نسأله تعالى ان يوفقنا الى سبيل الرشاد ومنه تستمد العون والتوفيق واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانام وعلى آله وصحبه الاجلة الكرام ورحمة منه وبركات .

الباحث



الفصل الأول

جغرافية الحجاز وأثرها في الحياة الاجتماعية

تمهيد

ان دراسة تاريخ الأمة العربية التي يعيش أبناؤها في الوقت الحاضر على امتداد الوطن العربي من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ضرورية للتعرف الى جهود الإنسان وهو يتفاعل مع بيئته الجغرافية من اجل صنع حاضره وضمان مستقبله عبر المنجزات الحضارية .

ونظراً لأهمية البيئة الجغرافية على مجمل النشاط الإنساني ، سلباً وايجاباً ، ولان الدراسة تعنى بذلك النشاط ، ارتأينا إلقاء نظره فاحصة على الملامح الطبيعية والأحوال الجغرافية لبلاد الحجاز ، وبيان اثر ذلك على حياة سكانها .

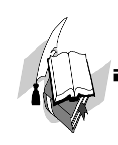
تعد الجزيرة العربية مهد العرب ومثواهم القديم ، وهي مهد الإسلام الذي يدين به سدس سكان العالم [1] في الوقت الحاضر .

في حين يتفق الجغرافيون العرب [2] على ان الحجاز قطعة من جزيرة العرب بل هو أحد أقاليم الجزيرة العربية ، فان اللغويون قد اختلفوا في سبب تسمية بلاد الحجاز بهذا الاسم ، فقالوا : ان الحجاز هو البلد المعروف سُمي بذلك من الحَجْز الفاصل بين الشيئين ، لانه فصل بين الغور والشام والبادية .

---

[1] الدباغ، مصطفى مراد، جغرافية جزيرة العرب ، ط١ ، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦٣)، ط١ ، ص٣٥ .

[2] ابن الفقيه الهمداني ، ابو بكر احمد بن محمد (٢٩٠هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٨٣) ، ص ٢٧ ؛ ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر (٢٩٠هـ) ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١) ، ص٣١١؛ بن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٨٩) ،ص٢٨؛ الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الاكوع ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص٨٥ ؛ الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ،١٨٧٠) ، ص١٤ ؛المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله بن احمد المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ)،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل ،(ليدن ، ١٩٠٦)، ص٦٩ ؛ البكري ، ابو عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، معجم ماستعجم ، تح : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة، ١٩٥٤)، ص١٠ .



وقيل لانه حجز بين نجد والسراة ، وقيل : لانـه حجز بين تهامة ونجد ، وقيل سـمي بـذلك لانــه حجـز بـين نجـد والغـور ، وقـال الأصـمعي : لان بـلاد الحجـاز احتجزت بالحرار الخمس [١] منها: حرة بني سليم وحرة وأقم [٢].

ان الحجاز سميت حجازاً لان الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد الى ثنايا ذات عرق ، قال : وماحتزمت به الحرار الخمس حرة شوران وعامة منازل بني سليم الى المدينة فما احتاز في ذلك الشق كله حجازاً ... " [٣].

والحجاز عند الجغرافيين جبل السراة وهو اعظم جبال العرب واذكرها ، اقبل من قعرة [٤] اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام [٥] .

يلاحظ ان هنالك من العلماء من زعم ان المدينة (يثرب) من نجد لقربها منها ، وان مكة من تهامة اليمن لقربها منها ، ويبدو ان السبب في هذا الخلاف هو ان حدود كل من نجد وتهامة ليست موضع اتفاق بين الجغرافيين العرب ، لذا ذهب بعضهم إلى ان تهامه هي الناحية الجنوبية من الحجاز [٦].

غيـر ان اغلـب الجغـرافيين العـرب يـرون ان مكـة والمدينـة همـا مـن مـدن الحجاز [٧].

---

[١] الحرة : ارض ذات أحجار سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . والجمع الحرات ، والحرار في بلاد العرب كثيرة ، أكثرها حوالي المدينة الى الشام ، والحرار هي : حرة شوران ، وحرة ليلى ، وحرة واقم، وحرة النار ، وحرة بني سليم . ينظر : ياقوت الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله البغدادي (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان ، دار صادر ،(بيروت ، ١٩٧٧) ، ٢/٢١٩ـ٢٤٥ ، ٢٤٦ـ٢٥٠) . ينظر : السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت٩١١هـ) ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار احياء التراث العربي ، ط١، (بيروت ، ١٩٥٥) ، ٤/١١٨٢ .

[٢] واقم : اطم من اطام المدينة (يثرب) كانه سمي بذلك لحصانته ومعناه انه يرد عن اهله . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/٣٥٤.

[٣] الازهري ، ابو منصور محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، تح : عبدالكريم العرباوي ومحمد على ابن النجار ، مطابع سجل العرب ، (مصر ، ١٩٧٨) ، ٤/١٢٢ ؛ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ٥/٣٣١ (مادة حجز) .

[٤] قعر كل شيء : اقصاه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/١٠٨ (مادة قعر) .

[٥] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٨٥ .

[٦] البكر ، منذر ،بحث في جغرافية شبه جزيرة العرب ، مجلة آداب البصرة، عدد ٩، لسنة ١٩٧٤ ، ص٥٠ .

[٧] الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢١ .



وتضم شبه جزيرة العرب تنوعاً جغرافياً ، ويعد اقليم الحجاز أهم أقاليم الجزيرة العربية ، فالطبيعة فيها ليست واحدة او متماثلة في جميع أرجائها ، فهناك الجبال والبوادي وهنالك الوديان الحاوية بعض المياه المتأتية من الأمطار بالدرجة الأولى ، ومن هنا نرى ان شبه جزيرة العرب صحراء شاسعة في الوسط عديمة الأنهار شحيحة المياه ، الأمر الذي يشجع على الاستقرار .

وجاءت أهمية الحجاز لوقوع مكة ويثرب [١] والطائف . ولابد من الإشارة إلى ان غالبية الجغرافيين لم يجعل الطائف ضمن أقاليم الحجاز [٢].

وتضاربت أراء الجغرافيين بهذا الخصوص فمنهم من زعم ان مكة من تهامة وان المدينة من نجد [٣]وذهب آخرون بالقول [٤] "سمي حجازاً لانه حجز بين تهامة ونجد فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية " .

وبحكم موقعه الطبيعي فقد حجز بين المنطقتين النجدية والتهامية فهو حجاز حاجز بين الشرق والغرب ، ويعد حاجزاً بين الشمال والجنوب [٥].

---

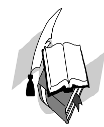
[١] الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢١ ؛ حتي ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، دار غندور للطباعة والنشر ، (لبنان ، بلا. ت) ، ١/ ١٥٠؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٥٦)، ٥/٤ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص١٣.

[٢] ارتأينا ادخال الطائف في موضوع دراستنا لاسباب ، الاول : بعض الاشارات من الجغرافيين . ينظر : الاصفهاني ، الحسن بن عبدالله (ت٣١٠ هـ) ، بلاد العرب ، تح : حمد الجاسر وصالح احمد العلي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية (الرياض ، ١٩٦٨)،ص١٤ . ينظر : المقدسي ، حسن التقاسيم ، ص٦٩ . والثاني : لاهمية الطائف بالنسبة للحجاز والصلات القوية بين تلك المدن الثلاث . واخيراً : لاهميتها لموضوع الدراسة .

[٣] ينظر : الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١٣٨/٢ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٧ .

[٤] الاصفهاني، بلاد العرب ، ص١٤ ؛ شيخ الربوة ، شمس الدين ابي عبدالله محمد الدمشقي(ت٧٦٧هـ) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ، (بيروت، لبنان، ١٩٩٨) ، ص٢٨٤ . يورد(لمكة مخاليف نجدية ومخاليف تهامية . والمخلاف : الكورة او الناحية والبلاد فمن النجدية الطائف) .

[٥] المسعودي ، ابو الحسن بن علي ، (ت٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس ، ط٦، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ٤٣.٣٥/٢ ؛ ابن بكار ، الزبير (ت ٢٥٦هـ) ، جمهرة انساب قريش واخبارها ، شرح وتعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، ١٣٨١هـ) ، ص٥٣.٥٢ .



وبذلك يعد سهل تهامة الداخل فيه حجازاً ، أي من اقليم الحجاز بدليل ان يثرب والطائف حجازيتان، ومكة تهامية ، وهن جميعهن من أمهات مدن الحجاز .

وطبيعة اقليم الحجاز متباينة فهي تشمل منطقة سهلية ساحلية (سهل تهامة) ومنطقة جبلية هي جزء من جبال السروات ومنطقة نجدية (هضبة) الحسمى وأرضها كثيرة الحرار [١]وتجري الأودية فيها .

وتسمى هضبة الحسمى هضبة الحجاز وهي كثيرة المياه وأرضيها خصبة ومن جبالها جبل ارم الذي يرتبط بقوم أرم المذكورين في القرآن الكريم بقوله تعالى " الم تر كيف فعل ربك بعاد أرم ذات العماد " [٢].

وحولها في الوادي آثار كثيرة منها معبد ، وعدد كبير من الخرائب التي اشتملت على أحجار مكتوبة بالخط المسند وآثار المباني وألواح حجرية استعملت لذبح القرابين وكمناضد لنقود الصيارفة ، مما يدل على حضارة زاهية قامت في المنطقة [٣].

ومن اشهر جبال السروات في شمال منطقة الحجاز دباغ يبلغ ارتفاع قمته حوالي ٢٢٠٠م وجبل دفتر وشيبان ، وكذلك جبال يثرب ، ثم ينخفض ارتفاع الجبال عند مكة حتى يصل الى حوالي ٢٠٠ م وعند الطائف يزداد الارتفاع حتى يصل الى ٦٠٠م ، وتعد الطائف المنطقة المتوسطة الارتفاع في السروات [٤].

وفي الحجاز عدد من القرى والمدن ذات العمق التاريخي ، ولكننا سنذكر المدن الرئيسة فقط ، والتي كانت سبباً في شهرة الحجاز لأهميتها البارزة وهي مكة ويثرب والطائف .

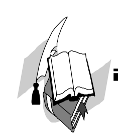
---

[١]الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٤٥ ؛ كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مطبعة الكتبي ، (دمشق ، بلا.ت) ، ص١١٢، ١١٣ ؛ وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط٢ ، (مصر ، ١٩٣٥) ، ص١٤ .

[٢] سورة الفجر ٨٩ ، الآيتان ٦، ٧ .

[٣] جواد علي ، المفصل ، ١/ ١٦٩ .

[٤] القزويني ، الامام زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٦) ، ص ١١٥ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربي ، (مصر ، ١٩٦٥) ، ص١٣ .



ويتمتع الحجاز بأهمية تاريخية امتدت تلك الأهمية الى عهود سحيقة ، فكان للحجاز كغيره من مناطق الجزيرة العربيةأهمية خاصة ومركزاً ستراتيجياً بين مراكز اعرق الحضارات القديمة في العراق ومصر والشام واليمن ، فقد عده الحكيم هرمس: الإقليم الثاني من أقاليم العالم القديم ، وذكره بطليموس في تقسيمه [١].

وينقسم الحجاز على ثلاث مناطق هي المنطقة الشمالية والمنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية وتمتد المنطقة الشمالية من العقبة إلى يثرب ، وتشمل مدن الحجاز الشمالية وتليها المنطقة الوسطى التي تمتد الى الطائف ، وهذه المنطقة لها أهمية خاصة ، لانها تشمل اهم مدن الحجاز ومنها يثرب ، وميناؤها الجار ثم ينبع ، ومكة وميناؤها الشعيبة ثم جدة ، ثم المنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب الطائف الى الليث وتشمل جبال الحجاز الاكثر ارتفاعاً [٢].

ولقد ورد الحجاز في كثير من أشعار الشعراء قبل الإسلام ، فقال عنترة بن شداد :

فبالله يا ريح الحجاز تنفسي   على كبدٍ حَرَى تذوبُ من الَوجدِ [٣]

وقول لبيد بن ربيعه :

مُرِّية حَلّتْ بِفَيدَ وجاوَرَتْ   أهلً الحجازِ فأين مِنْك مَرامهُا [٤]

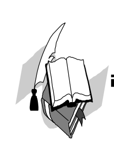
المبحث الأول

[١] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٤٤. ٤٧ .

[٢] ابن خميس ، عبدالله بن محمد ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، (الرياض ، ١٩٧٠) ، ص٣٢٩ .

[٣] ديوان عنترة بن شداد ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص١٣٣ .

[٤] شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، (بيروت، بلا. ت) ، ص١٦٧ . ينظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٨٦.٨٨ .



مكة

وهي من مدن شبه جزيرة العرب السحيقة في القدم ، ومن العسير معرفة الزمن الذي نشأت فيه على وجه التحديد ، فتاريخها القديم يكتنفه الغموض ويطغي عليه الطابع القصصي ، وان الروايات عن تاريخ مكة جاءت متأخرة تعود الى العصور الإسلامية ، وقد اعتمد المؤرخون في رواياتهم على ما ورد في التوراة والقرآن الكريم فيما يتعلق ببناء الكعبة التي هي اساس نشوء مكة (١) .

ومكة ذات سمة جغرافية تختلف عن بقية اقاليم الارض كافة ، وقد خصها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بصفات كثيرة من حيث جغرافيتها واسمها ، فضلاً عن خصوصيتها الدينية قبل الاسلام ، اذ تحيطها الجبال من اغلب جهاتها و " مكة قد خطت حول الكعبة في شعب واد لها ثلاثة نظائر ، عمان بالشام واصطخر بفارس ، وقرية الحمراء في خراسان " (٢).

ويبلغ طول الوادي من الشمال الى الجنوب حوالي ميلين ، وعرضه حوالي ميل ، ووادي مكة المبارك يقع بين الجبال ذات الصخور البركانية ويسمى بطن مكة (٣).

ويصفها ابن جبير(٤) " هي بلدة قد وضعها الله عز وجل بين جبال محدقة بها وهي بطن وادٍ مقدس كبير مستطيلة ، تسع من الخلائق مالا يحصيه الا الله عز وجل ".

ان هذه الميزة الجغرافية جعلتها " منطقة وعرة تسلكها الخيول والابل وغيرهما من خلال ممرات واضحة المعالم تقتصر اولهما : من جهة المعلاة ، والثانية : من جهة المسفلة ، على ان لشعابها طريقاً سالكاً للراجلة و للخيول والاحمال " (١).

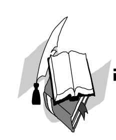
---

(١) الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبدالله (ت ٢٤٤هـ) ، اخبارمكة وما جاء فيها من الاثار ، تح : رشدي الصالح ملحس ، دار الاندلس ، مطابع ماتيو كرومو ، (اسبانيا ، بلا . ت) ، ٣٦/١ ؛ مبروك ، نافع محمد ، تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ،١٩٥٢) ،ص١٢٢ .

(٢)المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٧١ .

(٣) الازرقي ، اخبار مكة ، ١/ ٣٦ .

(٤) ابن جبير ، ابو الحسن محمد احمد ، تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروف بـ (رحلة ابن جبير) ، دار التحرير ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص٩٠ .



ويحيط بمكة الجبال من جميع الجهات،ولاهمية الجبال المحيطة بمكة ، فقد شكل جبل ابي قبيس وقعيقعان اهم جبال مكة ، وبناؤها من حجارة سود وبيض ملموس وعلوها اجر كثير الاجنحة من خشب الساج وهي طبقات لطيفة مبّيضه [٢] ، ولم تكن هذه الجبال مفرطة بالشموخ ، والاخشبان* ، ومن جبالها جبل ابي قبيس الذي يقع في جهة الجنوب من مكة ، وجبل قعيقعان ويقع في جهة الغرب ، وفي الشمال منها الجبل الاحمر ، ومن جهة ابي قبيس اجياد الاكبر واجياد الاصغر،وهما شعبان الخندمة** ، والمناسك كلها منى وعرفة والمزدلفة بشرقي مكة المشرفة [٣].

واحاط بالمسجد الحرام جدار قصير غير مسقف ، وكان الناس يجلسون حول المسجد بالغداة والعشي يتبعون الافياء ، فاذا قلص الظل انفضت تلك المجالس[٤].

ومن جبال مكة ، فضلاً عن ابي قبيس الجبل الاعظم الذي يشرف على المسجد الحرام وجبل قعيقعان ، جبل فاضح ، وجبل المحصب ، وجبل ثور ، والحجون ، وسقر ، وحراء ، وثبير ، والمطابغ ، والفلق [٥].

---

[١] النهروالي ، الشيخ قطب الدين ، اخبار مكة المشرفة ، مطبعة خياط ، (بيروت ، ١٩٦٤) ، ص١٣ .

[٢] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٧١ .

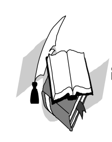
* الاخشبان : وهما قعيقعان وطولهما من الاعلى الى المسفل نحو ميل وعرضهما من اسفل اجياد الى قعيقعان نحو ثلثي ميل . والاخشبان ابي قبيس والاحمر . ينظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٨٣؛ الزمخشري ، محمود بن عمر (٥٢٨هـ)، الامكنة والمياه والبقاع ، تح : ابراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون ، (بغداد ، ١٩٦٨)، ص٧٨ .

** الخندمة : جبل منه بنيان الكعبة . ينظر : الزمخشري ، الامكنة والمياه والبقاع ، ص٨١ .

[٣] الطنجي ، ابو عبدالله بن ابراهيم الطنجي (المعروف بابن بطوطة) ، تحفة النظار في غرائب الامصار المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة) ، شرح : طلال حرب ، دار احياء الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٧) ، ص١٥٤ .

[٤] الازرقي ، اخبار مكة ، ٦٩/٢ ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٧١ .

[٥] اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (٢٨٤هـ) ، البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١) ، ص٣١٤ . ينظر : القزويني ، الامام زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٦) ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٧ .



ومن خلال هذا السور الجبلي الذي احاط بمكة فقد تحددت رقعتها ومداخلها وصار لها منافذ ، فضلاً عن ان هذه الجبال شكلت اهمية كبيرة في حياة اهل مكة سواء الدينية ام الاجتماعية ، ام السياسية ، ام العمرانية ، فمنها بُني اصل مكة البيت المحرم ، واليها لجأ كبار قريش لدعوة الهتهم عند حلول المحن والمصائب ، والى الجبال لجأ الزاهدون والنساك في عبادة الاوثان للتأمل والتعبد ، زد على ذلك فان بعض الجبال ارتطبت بالمشاعر الدينية المقدسة ، مثل جبل الرحمة في عرفات [١]، كما في قوله تعالى " ان الصفا والمروة من شعائر الله " [٢].

ولم يعرف المكيون الزراعة بسبب طبيعة ارضهم ، وقد ذكر القرآن الكريم على لسان النبي ابراهيم عليه السلام ، ان مكة كانت وادياً غير ذي زرع فسأل ربه قائلاً "ربنا اني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" [٣].

لقد منعت تلك الظروف المكيين من مزاولة الزراعة ، فامتهنوا التجارة ، حتى اصبحت التجارة والضرائب التي كانت تجبى على القوافل المارة بمكة اهم مورد المكيين ومعاشهم [٤].

وعانى اهل مكة من شحة مياهها وقلتها ، مما دعا بعض الاخباريين الى تفسير اسم مكة بانها مشتقة من (مك) لقلة مائها [٥]. وعندما تولى قصي بن

---

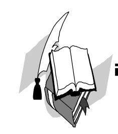
[١] ينظر : الازرقي ، اخبار مكة ، ٣٦/١ ؛ الفاسي ، محمد بن احمد بن علي المكي (٨٣٢هـ) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٦) ، ١/ ٢٨٠ .

[٢] سورة البقرة ٢ ، الآية ١٥٨ .

[٣] سورة ابراهيم ١٤ ، الآية ٣٧ .

[٤] سالم ، السيد عبدالعزيز ، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ العرب قبل الاسلام) ، مؤسسة شباب الجامعة ، (مصر ، بلا.ت) ،٣٠١/١ .

[٥] في اسماء مكة ينظر : سورة الفتح ٤٨، الآية ٢٤ . آل عمران ٣، الآية ٩٦ . الشورى٤٢ ، الآية ٧ـ سورة إبراهيم١٤ ،الآية ٣٧. وينظر ايضاً : ابن هشام ، ابو محمد عبدالملك (٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٦)،١١٤/١ ومابعدها ؛ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،٢٨٣/١ومابعدها ، الفاسي ، شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام ،٤٧/١ـ٤٨ ؛ الخضراوي ، احمد بن محمد ، العقد الثمين في فضائل البلد الامين ، تح : كاظم الشيخ جواد الساعدي ، مطبعة القضاء،(النجف ، ١٩٥٨) ، ص٢٩ ومابعدها.



كلاب رئاسة قريش حفر بمكة بئراً يقال لها العجول ، كان العرب يردونها عندما يقدمون الى مكة [١].

ولمكة مرفأ على ساحل البحر الاحمر هو الشعيبة (جدة) يبعد عنها مسافة مرحلتين [٢].

المناخ

تقع مكة في منطقة جافة اذ ان مناخها حار في فصل الصيف [٣]وتشتد الحرارة وسرعة الرياح في اثناء النهار فتكاد تخمد الانفاس " يكون بالحرم حر عظيم وريح تقتل " [٤].

لذا اصبحت تلك المنطقة جدباء وشحيحة المياه ، وترتفع درجات الحرارة في مكة ارتفاعاً شديداً بتأثير المرتفعات الصخرية المحيطة بها [٥].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يستدل به على شدة الحرارة بقوله تعالى " والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال اكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون " [٦].

مما جعل اهل مكة يعتمدون على مياه الابار ، وكان من اشهر ابار مكة بئر زمزم ، والتي اعاد حفرها عبدالمطلب بن هاشم ، فضلاً عن ابار اخرى ، ولكن بئر زمزم عفت على بقية ابار مكة كلها [٧] وذلك لمكانها من البيت والمسجد وفضلها على ماسواها لانها بئر اسماعيل عليه السلام .وعلى الرغم من وجود هذه الابار الا

---

[١] البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩ هـ) ، انساب الاشراف ، تح : محمد حميدالله ، دار المعارف ، (مصر ،١٩٥٩) ،٥١/١ . ينظر : الازرقي ، اخبار مكة ، ١١٣.١١٢/١ .

[٢] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،٣٥١/٣ .

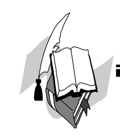
[٣] ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،١٨٨/٥ .

[٤] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٩٥ .

[٥] وهبة ،حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص١٥ .

[٦] سورة النحل ١٦ ، الآية ٨١ .

[٧] من ابار مكة كرادم وبئر رم وبئر خم والعجول وبذر وسجلة والطوي ، وهذه الابار كانت موجودة قبل حفر زمزم . اما الابار التي حفرت بعد زمزم بئر حويطب وبئر خالصة وبئر زهير . الازرقي ، اخبار مكة ، ٢٢٤.٢١٨/٢ . ينظر: القزويني ، عجائب المخلوقات . حيث يورد مجموعة من الابار ،ص١٣٥.١٣٢ .



ان مياهها كانت مالحة ، وهذه الصفة تزول في فصل هطول الامطار ، اذ يخفف ماء المطر غلظتها [١].

ان هذا المناخ القاسي والحرارة العالية حدى بسكان مكة الى اللجوء الى الظلال والى اكناف الجبال التي تحيط بمكة للاحتماء بها من الحر كما اسلفنا، ومثلما كان للجبال تأثيرات ايجابية كان لها تأثيرات سلبية على سكان مكة ، خصوصاً عند هطول الامطار ، فمن المعروف ان مكة تحيط بها الجبال الصخرية الشاهقة ، فقلما ينفذ الماء اليها فيذكر الازرقي[٢] " فاذا هطلت الامطار بشدة انحدرت المياه من الجبال والوديان بسرعة فتكونت فيها سيولاً لاتنساب في ازقتها وشوارعها من ناحية الابطح واجياد " ، واستغلت رمال مكة الشديدة الحرارة من قبل المشركون كوسيلة لتعذيب المسلمين في بداية الدعوة الاسلامية فكانوا "يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة اذا اشتد الحر " [٣].

ومن اثار ارتفاع درجات الحرارة هو تأثيرها على العين وتكثر من الذباب وهذا مايفسر الى ماذهب اليه ابن رسته من كثرة العميان في مكة [٤] ، وقد يكون ابن رستة قد مبالغاً بعض الشيء في تأثير ارتفاع درجات الحرارة الى الذهاب بالنظر ، فلو كان ماذهب اليه ابن رستة صحيحاً لكان سكان خط الاستواء جميعهم من العميان ؟.

اما الامطار فكانت تسقط في فصلي الخريف والشتاء وتشح الامطار احياناً فتصيب اهل مكة سنة جدب ، وقد تستمر لحقب طويلة ، وهذا ما دعا بعض الاخبارين الى تفسير اسم مكة بانها مشتق من قلة مائها ، واحياناً تكون الامطار غزيرة حتى انها تكون سيولاً قوية فتنحدر من الجبال الى الوديان والشعاب لقوتها

---

[١] الازرقي ، اخبار مكة ،١١٣/١ .

[٢] اخبار مكة ، ١٦٦/٢ ، هامش(٢) ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢/ ٢٦٠ .

[٣] الزبيري ، ابي عبدالله المصعب بن عبدالله (ت٢٣٦هـ) ، كتاب نسب قريش ، شرح وتصحيح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ط٢، (مصر ، بلا.ت) ، ص٢٠٨ ؛ ابن هشام، السيرة النبوية ، ٣١٧/١ .

[٤] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص٢٢٤ . ينظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ،ص٩٥ .



وهذا مايهدد العمران والحياة غالباً ، وتنقل هذه السيول معها الاوبئة في بعض الاحيان [١] .

وقد تناول القرآن الكريم هذه الحالة بقوله تعالى " وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حباً فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وماعملته ايديهم افلا يشكرون " [٢].

واقدم السيول المخربة سيل حدث في زمن الجرهمين فدخل البيت فانهدم ، فاعادته جرهم ، وسيل اخر في عهد خزاعة فتدفقت مياهه داخل المسجد الحرام واحاطت بالكعبة ويعرف هذا السيل بسيل قارة [٣].

كانت هذه السيول جارفة اذ شكلت تهديداً لعمران مكة ومصدر خطر على الناس ، فيذكر ابن هشام ان مرضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حليمة * السعدية قالت لامه" لو تركت بُني عندي حتى يغلظ فأني اخشى عليه وباء مكة " [٤].

لقد كان لهذا الجفاف والمناخ الحار اثره السلبي الكبير على الحياة الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية واعاق نشوء المجتمعات الكبرى بها .

سكان مكة ومنازلها

---

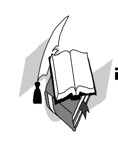
[١] البلاذري ، فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه : د. صلاح الدين المنجد ، دار طباعة مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٦) ، ص٦٦ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٦٦/٢ .

[٢] سورة يس٣٦ ، الآية ٣٣ـ٣٥.وينظر: سورة المؤمنون ٢٣ ، الآيتان ١٨ـ١٩ ؛ سورة عبس ٨٠ ، الآيات ٣٢.٢٤ .

[٣] الازرقي ، اخبار مكة ،١٦٦/٢ـ١٦٧ . ويضيف ان مكة تحيط بجبال صخرية شاهقة قلما ينفذ الماء اليها ، فاذا اهطلت الامطار بشدة انحدرت المياه من الجبال الى الوديان بسرعة فكونت سيولاً تنساب في ازقتها وشوارعها من ناحية الابطح واجياد . كذلك ينظر : الفاسي ، شفاء الغرام ، ٢٦٠/٢ .

* حليمة ابنة ابي ذؤيب امرأة من بني سعد بن بكر وابو ذؤيب عبدالله بن الحارث بن نصر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ،١٦٤/١ .



سكنت مكة قبائل عدة . يذكر لنا المؤرخون بعض اسمائها بلا ذكر معلومات دقيقة عنها سوى بعض الاساطير والقصص الشعبي [١] .

وان الروايات عن سكان مكة في العصور القديمة جاءت مضطربة في بعض الاحيان فالمؤرخون لم يذكروا التسلسل التاريخي لتلك القبائل .

ان عدداً من رواة التاريخ يقولون ان العمالقة هم اول من استوطن مكة ، وهم من العرب البائدة [٢] . فنسبوهم الى " عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح " [٣].

وانتشر هؤلاء العماليق في البلاد وسكنوا الحجاز وعتو عتواً كبيراً فلم يزل بهم البغي والاسراف على انفسهم والالحاد بالظلم واظهار المعاصي والاضطهاد لمن قاربهم حتى حبس الله عنهم المطر وسلط عليهم الذر فخرجو من الحرم ، وبخروجهم كان هلالكهم منه تعالى [٤].

ثم سكنتها قبيلة جرهم الثانية [٥]وتتفق الروايات على ان هذه القبيلة قد اقامت بمكة مع اسماعيل عليه السلام ، وهو يتولى امر البيت الحرام ، لقد حلت جرهم محل العماليق في ظروف غامضة [٦] وهم من قحطان وقد صهر اليهم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وحكمت جرهم في مكة الى ان خرجت خزاعة جرهماً وحكمت خزاعة في مكة ، وارتحل بعض جرهم بعيداً . وخرجت بقية منها الى ضواحي مكة ، وبقي الاسماعليون مع خزاعة في مكة على الحياد التام . واقام بعض بني كنانة حول وادي مكة ايضاً [٧]. ثم غلبت جرهم على البيت ، فكانوا ولاته

---

[١] ماجد ، عبدالمنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٢، (١٩٧١) ، ص٧٧ .

[٢] القلقشندي ، ابي العباس احمد (ت٨٢١هـ) ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تح : ابراهيم الابياري ، الشركة العربية للطباعة ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص ص٢١١،١٥٠.

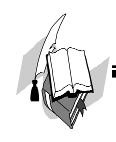
[٣] ابن هشام،السيرة النبوية،٧/١.ينظر:القلقشندي، نهاية الارب،ص١٥١؛ ابن رستة،الاعلاق النفيسة،ص٣٧ .

[٤] الازرقي، اخبار مكة،٩٠/١ ويذكر(كانوا يكرون بظل ويبيعون الماء) . ينظر:القلقشندي، ابي العباس احمد(ت٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، بقلم الشيخ: محمد عبدالرسول،المطبعة الاميرية، (مصر ، ١٩٦٣) ، ٢٦١/٤ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٥٩/١ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٧ .

[٥] جرهم قبيلة من العرب البائدة، كانوا على عهد عاد فبادوا.القلقشندي،نهاية الارب،ص٢١١؛ اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤ هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر،(بيروت ، بلا.ت) ، ٢٢٢/١.

[٦] السباعي ، احمد ، تاريخ مكة ، مطابع دار قريش ، ط٣ ، (مكة المكرمة ، ١٣٨٥هـ) ، ص١٦ .

[٧] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١١٣.١١١/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،٨٢.٨١/١ .



وحجابه واولي الامر بمكة في الوقت الذي تنازعهم ذرية اسماعيل عليه السلام ، هذا الامر لخولتهم وقرابتهم واعظاماً للحرمة .

واستمرت ولاية جرهم للبيت حسب روايات الاخبارين ثلثمائة سنة [١] . واستخفوا بامر البيت ، وبغوا بمكة ،واستحلوا حرمتها ، واكلوا مال الكعبة الذي يهدى اليها ، وظلموا من دخلها ، وارتكبوا فيها المعاصي ثم لم يتناهوا عن ذلك [٢]، بعد ذلك استقر الامر في مكة لقبيلة جرهم الثانية القحطانية ، وكانت منهم جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهي ام فهر بن مالك بن النضر الذي تنتسب اليه قريش [٣]، ولما كانت مكة لاتقر لظالم [٤] ولايستحل حرمتها ملك الا هلك حبس الله عنهم المطر وسلط عليها الرعاف والذر [٥] .

وكان اول من ولى جرهم البيت مضاض الذي يقول :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٠) ، ٢٨٤/٢ .

[١] المسعودي ، مروج الذهب ،٢٢/٢ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ١٣٢/١ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ،١١٣/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،٨٨/١-٩٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٨٤/٢ .

[٣] ابن الكلبي الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)، جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، مكتبة النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٨٦) ، ص٢٢ .

[٤] سميت مكة لانها كانت تمك من ظلم فيها والحد أي تهلكه.ابن منظور، لسان العرب،٤٩١/١٠،مادة (مك).

[٥] ابن منبه ، وهب (ت١١٠هـ) ، التيجان في ملوك حمير ، تح : مركز الدراسات والابحاث اليمنية ، صنعاء ، (اليمن ، بلا. ت) ، ص٢٩٢ .ويورد عمرو بن انيف الغساني قائلاً :

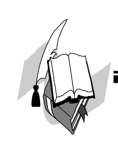
لما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا في بطون كراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت بيضٍ القنا والمرهفات البواتر

بطن مر :بالحجاز بالقرب من عسفان وبينهما اربعة وثلاثون ميلاً وهي قرية عظيمة كثيرة الاهل حسنة المنازل كثيرة النخل والزرع فيها ، وبطن مر متسع وفيه قرى كثيرة وعيون ومنه تجلب الفواكه الى مكة = = ينظر : الحميري ، محمد عبدالمنعم الصنهاجي (ت٧٢٧هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح : احسان عباس ، مطبعة هيد لبرغ ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ص٩٣ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٢٦٠/٤ .

تخزعت : تخلفت . الحلول : النزال . الكراكر : الجماعات . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٢٦٠/٤.

ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص١١٩ .



وتذكر الروايات ان ثعلبة العنقاء * بن عمرو طلب من جرهم الاقامة الى جانبهم بمكة فابت جرهم ان تتركه طوعاً فاقتتل الطرفان حتى انهزمت جرهم ولاذت بالحرم ، ثم اقامت قبيلة الازد بمكة وما حولها فاصابتهم الحمى وعانوا من شدة العيش فشخصوا عنها وانخزعت خزاعة بمكة [١] .

استمرت جرهم تلي امر مكة حتى بلغ من خزاعة عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو الذي استعان ببني اسماعيل وقاتل جرهماً ونفاهم من مكة وتولى حجابة البيت بعدهم [٢]كان ذلك في مطلع القرن الثالث [٣] وبذلك خرجت جرهم عن مكة وخرج معهم ابناء اسماعيل عليه السلام وتفرقوا حول الكعبة وفي تهامة [٤].

اخذت مكة بالتطور على يد زعيمها من خزاعة عمرو بن لحي ، فعمل على تنشيط مجمل حياتها بعد ان كانت جرهم تعتدي على القوافل والتجار والحجاج ، فاصبح عمرو بن لحي اشهر من حكم مكة من خزاعة ، حتى بلغ منزلة رفيعة وبلغ من الشرف في العرب مالم يبلغ عربي قبله ، فكان قوله فيهم ديناً متبعاً ، فهو اول من غير الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام ونصب الاصنام حول الكعبة [٥].

---

* العنقاء : بعد انهيار سد مأرب هاجرت قبيلة الازد من اليمن وتزعمها في هجرتها عمرو بن مزيقياء بن عامر وبعد هلاكه تولى القيادة ابنه ثعلبة العنقاء بن عمرو حتى انتهى بها الى مكة ، وكان من اولاده ثعلبة العنقاء وابو حارثة وعوف وعلبة ومالك ووداعة وعمرو وقيس وعبيد ، وامهم مارية ذات القرطين .

ينظر : وهب بن منبه ، التيجان ، الصفحات ، ٢٧٣،٢٧٤،٢٨٣،٢٩٠ .

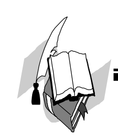
[١] وهب بن منبه ، التيجان ، ص٢٧٩ ومابعدها ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،٨٣/١ ومابعدها .

[٢] ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)، كتاب الاصنام ، تح : احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ، ١٩٤١) ، ص٨ .

[٣] ضيف ، شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني امية ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٧٩) ، ص١٤٧ ؛ سيديو ، خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة : علي باشا مبارك ، مطبعة محمد افندي ، (مصر ، ١٣٠٩هـ) ، ص ٣٤ .

[٤] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٨٥/٢ .

[٥] ابن الكلبي ، كتاب الاصنام / ص٨ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٠٠/١ .



واستمرت ولاية البيت بيد عمرو بن لحي واولاده من بعده حوالي ثلثمائة سنة حتى كان اخرهم حليل بن حبشيه بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي الذي زوج ابنته حّى من قصي بن كلاب [١] يقول الشاعر

ياعمرو لاتظلم بمكة   انها بلد حرام
سايل بعاد اين هم   وكذاك تحترم الانام
وبني العماليق الذين   لهم بها كان السوام

وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت الى ان ظهر قصي بن كلاب وانتزع ولاية البيت من خزاعة في منتصف القرن الخامس الميلادي [٢].

من خلال ماتقدم يتضح ان هذا الترتيب للقبائل التي سكنت مكة ووليت امر البيت ، قد يكون مرتبكاً بعض الشيء ، فقد اغفل هذا الترتيب عن ذكر بعض القبائل التي وليت امر مكة ، ومن هذه القبائل طسم وجديس ، ونلمس من خلال الروايات التاريخية التي لدينا عدة احتمالات اولاً : ان طسم وجديس قبائل لم يكن لها دور بارز في تاريخ مكة لذلك اغفلها المؤرخون اما الاحتمال الثاني : فيبدو ان هناك قبيلتين تحملان اسم جرهم كانت الاولى في زمن اسماعيل عليه السلام وبعد جرهم الاولى ، سكنت قبائل اخرى لم تصل الينا اية معلومات عنها، والاحتمال الاخير هو يمكن ان تكون هذه القبائل قد بادت وانقرضت كما ورد عند الازرقي قائلاً : "ان مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض كان يحذر قومه من المصير الذي اصاب طسم وجديس " [٣] .

قبيلة قريش

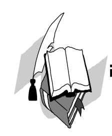
مع اننا لانملك نصاً عن حقبة ماقبل الاسلام يذكر لنا اسم قريش(اهل مكة) وكذلك لم تذكرها كتب اليونان او الرومان ، ولكن هذا لاينفي وجود قريش قبل ان يجمعها قصي ، فقد ورد ذكرها في النصوص الجنوبية القديمة ، ففي عهد الملك

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١١٧/١ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٠١.١٠٠/١ .

[٢] سيديو ، تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط٢ ، (مصر ، ١٩٦٩) ، ص٤٤ ، الشريف ، احمد ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص١٩٤ .

[٣] اخبار مكة ، ٩١.٩٠/١. وينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٥/٢ ؛ ابن هشام، السيرة النبوية ،٧/١ .



الحضرمي (العز بن العز يلط) الذي حكم في القرن الاول قبل الميلاد ، وقيل حكم في القرن الثالث الميلادي ، وهذا هو الارجح عندما نعتمد على ما ورد في هذا النص الذي يفيد ان الملك العز استقبل ضيوفاً اراميين ، ومن تدمر ومن الهند ، وذكر ان عشر نساء قريشيات كن في معية الملك عند زيارة (حصن انود) وان كاتباً يدعى (حبسل قرشم) وكلمة قرشم او قريشم هي قريش ، مما يوحي بان الكاتب كان من قبيلة قريش [١] والتي هي محور دراستنا ، لذا سنتناولها بشيء من التفصيل ، كذلك فانها تعد التاريخ الحقيقي لمكة ، وان تاريخ بني اسماعيل عليه السلام منذ وليت جرهم امر البيت حتى عهد قصي بن كلاب ينتابه الغموض ولا يعرف المؤرخون كيفية ملء هذا الفراغ ، فلم ينتزع لهم شمس فوق افق التاريخ الحقيقي الا في عهد قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي [٢].

ومن الملاحظ كذلك ان الحقبة التي سبقت هذه الحقبة أي القرن الثالث الميلادي ينتابها شيء من الغموض لا تعدو اكثر من اسلوب قصص ، فمن المعروف ان مكة المهد الاول الذي ترعرع فيه بنو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ومكان نشأتهم ، فلما تكاثروا ضاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، واخرج بعضهم بعضاً ، فانتشروا في البلاد الا من اقام حول مكة من ولد نزار تبركاً بالبيت الحرام [٣].

فكانت منازل مضر بن نزار بن معد بن عدنان في حيز الحرم الى السروات [٤]ومادونها من الغور[٥] . ثم تنافس اولاد مضر فيما بعد على المنازل مما ادى الى

---

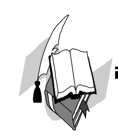
[١] محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة ، ١٩٩٧) ، ص٤٠٩-٤١٠ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٢/ ١٤٣-١٤٥، ٢٣/٤ .

[٢] محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٩ .

[٣] ابن الكلبي ، الاصنام ،ص ٦؛ البلاذري ، انساب الاشراف ،٨/١ .

[٤] السروات : هي اعظم جبال بلاد العرب وهي مابين جرش والطائف . ينظر : البكري ، معجم ماastعجم ،٧٣٠/٣ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٣١٤ .

[٥] الغور : تهامة . البكري ، معجم ماستعجم ، ١٠٠٨/٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/ ٢١٧ .



انتشار اولاد مدركة بن الياس بن مضر في تهامه وما والاها من البلاد فصارت منازلها بناحية عرفات [١] وعرفه [٢] وبطن نعمان [٣]، ورحبل [٤] وكبكب [٥].

اما ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة فقد اقاموا حول مكة وماوالاها [٦].

وقريش من ابناء اسماعيل (عليه السلام) وهي من القبائل العدنانية ، والاشهر ان تسمية قريش اطلقت على ابناء فهر بن مالك بن النضر بن كنانة [٧].

وكانت قريش متفرقة في بني كنانة تسكن شعاب مكة وجبالها [٨].

وعندما نذكر ان التاريخ الحقيقي لمكة يبدأ من قصي بن كلاب ، فاننا نعني ان المدة التي سبقت عهد قصي بن كلاب كانت حقبة غامضة ولم يصل الينا الكثير من اخبارها وماوصل الينا قليل ، ونقلت عن رواة اسلاميين ، ومن ثم فانها قد تكون غير دقيقة هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى منذ ان تولى قصي الزعامة اخذت مكة في طور التحضر والاستقرار في شؤون الحكم والاقتصاد حتى اصبحت زعيمة الجزيرة العربية في نهاية القرن السادس ، ولانعني بهذه العبارة ان مكة كانت قبل هذه الحقبة في طور البداوة ولكن الذي نعنيه ان تطوراً تدريجياً وواضحاً قد اصاب مكة وحسب مقتضيات الاستقرار فيها . ولعل اهم مايميز ذلك العصر فضلاً عما ذكرناه انه العصر الذي تبدأ به السيادة القرشية على مكة بقيادة قصي بن كلاب ، بعد ان ازاح الخزاعيين عن مكة ، اسكن قومه الحرم في بطحاء مكة . وكانوا قبل ايام قصي يعظمونها ويحرمون بناء البيوت فيها مع بيت الله ، وكان السكن في جبال مكة

---

[١] عرفات : حدها من الجبل المشرف على بطن عرفه الى جبال عرفه . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٠٤/٤ .

[٢] عرفه : وادي بحذاء بين مكة والطائف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/ ٢٩٣ .

[٣] بطن نعمان : وادي بين مكة والطائف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/ ٢٩٣ .

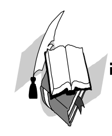
[٤] رحبل : منزل بين مكة والبصرة . ينظر : البكري ، معجم ماستعجم ،٦٤٥/٢.

[٥] كبكب :الجبل الاحمر الذي تجعله خلف ظهرك اذا وقفت بعرفات . البكري ، معجم ماستعجم ،١١١٢/٣ .

[٦] البكري ، معجم ماستعجم ،٨٩/١ .

[٧] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٢.١٨ ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص١٢ .

[٨] الازرقي ، اخبار مكة ، ١٠٤/١ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٤٩/١ .



واوديتها في العهود التي سبقت عهد قريش [١] وبعد ان دخلت قريش مكة وجمع قصي قبائلها تحت لوائه بعد التفرق والتشتت في ضواحي مكة لم تبرحها قط [٢] بعد ان كانت قريش خارج مكة في الشعاب ورؤوس الجبال وكانوا يدخلون مكة نهاراً حتى اذا امسى القوم خرجوا الى الحل لانهم استحرموا اصابة الجناية وغيرها في مكة ، وكذلك الدخول اليها على الجناية اعظاماً لها وللكعبة وصيانة لهما [٣].ان قصياً انزل قريشاً البطاح داخل مكة وانزل قريش الظواهر مكانهم [٤]، فرتب قصي قريشاً على منازلها في النسب فقريش البطاح ، وهم الذي نزلوا الابطح بين اخشبي مكة [٥] وهم منحدرون من كعب بن لؤي في عدة بطون [٦]: .

اولاً : بنو قصي بني كلاب وهم بنو عبد مناف ، وبنو عبدالعزى ، وبنو عبدالدار ، وبنو عبد بن قصي .

وبعد اسكن قصي بن كلاب اهل مكة في بطاح وظواهر ، فقد اسكن قريشاً حول الكعبة وقَسم الوادي بينهم ، فنالت قبيلته الشرف الاسمى بان ّعظمها العرب وبدأ قصي بنفسه اعداد الوادي لبناء البيوت وسكناها فاقتطع الاشجار الشوكية ، بعد ان هاب الناس قطع شجر الحرم وشوكه [٧] وكان لحياة قصي في ارض الشام قد

---

[١] العمري ، ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تح : احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ١٣/١ .

[٢] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٣٧/١ .

[٣]اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٣٩/١؛ البكري ، معجم ماستعجم ،٨٩/١؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ٧٢/٢ .

[٤] البلاذري ، انساب الاشراف ،٥١/١.وذكر ايضاً (لما قسم قصي مكة انزل جميع قريش مكة ثم ان بني كعب في لؤي لما كثروا ، اخرجوا بطوناً من قريش الى ظواهر مكة) .

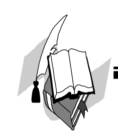
[٥] ابن سعد ، محمد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبرى ، تقديم : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ٧/١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤١٣/٢ مادة (بطح) ويورد :

فلو شهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر

ينظر : جواد علي ، المفصل ، ٤/ ٢٧ .

[٦] الفاسي ، شفاء الغرام ، ٦٢/٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٤٤/١ .

[٧] ابن سعد ، الطبقات ، ٧١/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٢٥٨ .



اعطاه فرصة الاطلاع على المدن الشمالية مما اعانه على تخطيط مكة ، وقد اعتمد خطة رباعية في تقسيم الوادي اذ "اقتطع مكة ارباعاً " [١].

هكذا بنى قصي داره (دار الندوة) واختط لقريش دورها فكانت خطة الدور ثنائية فقد كانت بين كل دارين طريق تفصل بينهما ليكون مسلكاً ينفذ منه الى المطاف [٢].

ونظراً لوجود اخشبي مكة (قعيقعان وابي قبيس)فقد تحددت منازلهم شكلاً هلالياً يميل الى الاستطالة ، فسكن بنو قصي في بطن وادي مكة وكل بطون قريش البطاح ومن ضاق به الوادي من غيرهم فقد سكن شعاب الجبال [٣].

اذ كانت لهذه الشعاب اهمية كبيرة في بداية الدعوة الاسلامية كما ذكرنا انفاً ، اذ كانت مسرحاً لاحداث تاريخية ، وقد حفظت لنا كتب السيرة اسماء هذه الشعاب مثل شعب ابي طالب وشعب بني عامر [٤].

اما قريش الظواهر فقد تم تقسيم سكنهم على اساس ان يختص كل فريق بجزء من الكعبة الذي يقابل منازلهم فالركن اليماني لبني مخزوم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وشق الحجر وهو الحطيم لبني عبدالدار ولبني اسد بن عبدالعزى وبني عدي بن كعب [٥].

مما تقدم يتضح ان منازل قصي وبنو عبدالدار في كوثى [٦]وسكن بنو عبد مناف في المعلاة ونزل بنو مخزوم وبنو تيم في اجيادين (اجياد الصغير والكبير) ، ونزل بنو جمح في المسفلة ولبني سهم الثنية ، يليهم بنو عدي اسفل الثنية [٧].

---

[١] البلاذري ، انساب الاشراف ، ٥٠/١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٥٨/٢ ؛ ابن كثير ،ابو الفداء الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تح : احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، ط٤ ، (بيروت ، ١٩٨٨) ، ١٩٤/٢

[٢] العصامي ، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك (ت١١١١هـ) ، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٣٨٠هـ)، ١/ ١٦٢ ؛ النهروالي ، اخبار مكة المشرفة ، ٤٦/٣ .

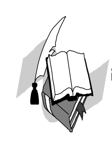
[٣]البلاذري ، انساب الاشراف ،٣٩/١-٤٠؛ البكري ، معجم ماستعجم ،٢٥٧/١-٢٥٨ .

[٤] الازرقي ، اخبار مكة ،٢٢١/٢-٢٣٣ .٢٣٥ .

[٥] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٩٤/٢؛ الازرقي ، اخبار مكة ،٢٩٠/٢ .

[٦] البكري ، معجم ماستعجم ، ١/ ٢٧٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/ ٤٨٧ .

[٧] الفاسي ، شفاء الغرام ، ٣/ ١٦ .



ثانياً : سائر بني كعب بن لؤي ، وهم بنو زهرة ، وتيم ومخزوم ، وجمح وسهم (ابنا عمرو بن هصيص بن كعب) وبنو عدي بن كعب ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو حسل بن عامر بن لؤي [١]. وقد دخل مع قريش البطاح غيرهم مثل بنو هلال بن ضبة رهط ابي عبيدة عامر بن الجراح ورهط سهل وسهيل ابني البيضاء [٢] . وقد لزمت قريش البطاح الحرم ، ومكانها في الابطح لاتبرحه حتى سميت قريش الضب [٣] والابطحيون [٤].

اما قريش الظواهر : وهم الذين نزلوا بظاهر مكة على المرتفعات وفيما حولها على اقل من مرحلة ومن نزل ابعد من ذلك سموا قريش الضواحي [٥]، وتشمل قريش الظواهر على : بني محارب بن فهر ، وبني الحارث بن فهر،وبني الادرم بن غالب بن فهر ، وبني معيص بن عامر بن لؤي [٦] ،بقي ان نذكر ان هناك قريش العائذة وقريش العاربة وغيرهم [٧] وسائر قريش الذين ليسو من الاباطح ولا من الظواهر هم : سامة بن لؤي وبنو عوف بن لؤي، ويقال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الابطحي لانه من عبد مناف وكان يقال لعبدالمطلب سيد الاباطح

---

[١] ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ) ، المنمق ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : خورشيد احمد فاروق ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط١، حيدر اباد ، الدكن ، (الهند ، ١٩٦٤) ، ص١٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٢/٢ .

[٢] البلاذري ، انساب الاشراف ،٣٩/١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،٢٦٩/٢ ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ٣٩٨؛ العصامي ، سمط النجوم ،١٦٢/١.

[٣]البلاذري ، انساب الاشراف ،٣٩/١ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٢٢.

[٤] ابن حبيب ، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ، المحبر ، اعتنى بتصليحه : الدكتورة اليزا ليختن شتير ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت ، بلا . ت) ص١٦٨.١٦٧ ؛ البكري ، معجم ماستعجم ،٨٩/١.

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ،٤١٣/٢ (بطح) ؛ الحميري ، محمد عبدالمنعم (ت٧١٠هـ) ،الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص٧ .

[٦]ابن حزم ، ابي محمد علي بن احمد (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة انساب العرب ، تح : عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٢) ، ١/ ١٥ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١/ ٣٥١ .

[٧] ابن حبيب، المحبر ،ص١٦٨؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ١٤٢،٣٩٨ ؛ العصامي ، سمط النجوم ،١٦٣/١.

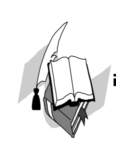
[1] وفـي قـريش رهـط يقـال لـهم الاجربـان وهم بنـو بغـيض بـن عـامر بـن لـؤي ، وبنـو محـارب بـن فهـر وكـان هـذان الرهطـان متحـالفين وكانـا يـدعيان الاجـربين لبأسـهما وقهرهما من ناؤهما فهما الاجربان من اهل تهامة [2].

---

[1] خرجت فروع من قريش ، فهم ليسو من الابطح ولامن الظواهر ومنهم خزيمة بن لؤي وارتحل الى ابني الحارث بن همام بن مرة بن شيبان ، وسموا عائذة قريش نسبة الى امهم عائذة بنت الحمس بن قحافة بن خثعم وقد ولدت مالكاً وتيماً ، وعرفوا ايضاً باسم بنو عائذة . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ،ص١٦٨. ١٦٩ .

[2] فان تصلح فانك عائذي وصلح العائذي الى قباذ

القلقشندي ، نهاية الارب ٣٣٤؛ العصامي ، سمط النجوم ،١٦٤/١ .



المبحث الثاني

يثرب

يثرب مدينة قديمة وهي ثاني مدن الحجاز بعد مكة ، وقد حبتها الطبيعة هذه المدينة المقدسة [1]. بخصوبة التربة ووفرة المياه فضلاً عن اعتدال مناخها .

وتقع يثرب على بعد ٣٣٥كم الى الشمال من مكة المكرمة ، وارضها عبارة عن سهل واسع مكشوف من جميع الجهات " ولها نخيل كثيرة ومياه نخيلهم وزروعهم من الابار " [2].وتتمتع يثرب بمناخ افضل من مكة، فهي واحة خصبة بين لابتين بركانيتين تحيط بها الحرات من جهاتها الاربع ، واهمها حرة واقم في الشرق ، وحرة الوبرة في الغرب ويحدها من الشمال جبل احد ، ومن ورائه جبل ثور ، ومن الشمال الغربي جبل سلع ومن الجنوب الغربي جبل عير ، وهذان الحدان الشمالي والجنوبي يوضحهما الحديث النبوي " المدينة حرام مابين عير الى ثور " [3]. وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق ومن الغرب ، وللمدينة اسماء كثيرة منها اسمها القديم يثرب [4]وقد اورد القرآن الكريم هذه التسمية بقوله تعالى " ياأهل يثرب لامقام لكم " [5]

---

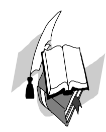
[1] السمهودي ، وفاء الوفا ،٢٥.١٩/١ .

[2] الاصطخري،المسالك والممالك،ص٢٣.اللابتين:تثنية لابة وهي الحرة وهما حرتا المدينة الشرقية والغربية وقال الاصمعي اللابة الارض التي البست الحجارة السود . ينظر: السمهودي ، ، وفاء الوفا ، ١٢٩٦/٤ .

[3] البخاري ، ابو عبدالله محمد اسماعيل (ت٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، تح : قاسم الشماع ، دار القلم ، (بيروت ، ١٩٨٧) ، ٣/ ١١٦٠؛ العمري ، اكرم ضياء ، المجتمع المدني في عهد النبوة ، مطبعة الجامعة الاسلامية، ط١ ،(المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣) ، ص٥٧ .

[4] في اسماء يثرب.ينظر :ابن رسته،الاعلاق النفيسة، ص٧٨؛ ابن النجار، محمد بن محمود (ت٥٧٣هـ)،الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تح : لجنة من كبار العلماء والادباء ، مكتبة النهضة ، (مكة المكرمة ، بلا. ت) ، ص٣٢٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٨٣/٥. على الرغم من الاختلاف في عدد تسميات يثرب .

[5] سورة الاحزاب ٣٣ ، الآية ١٣ .



وفي يثرب جبال كثيرة تحيط بها، منها " المدينة وقباء والفضاء وأُحد والعقيق وبطحان وسلع" [١] " ويحيط باكثرها البساتين ونخيل وقرى ولهم مزارع ومياه عذبة وفيها حياض" [٢]. ومن جبال يثرب"وعير والجماء وذباب والقموص" [٣].

وقد تهيأ لاهل يثرب (المدينة) اسباب قيام الزراعة ، فهناك عدد من الاودية الخصبة التي انتشرت فيها مياه العيون والابار فأقيمت حولها القرى الزراعية ، واصبح معظم اهل المدينة (يثرب) من الزراع ، واضحت الزراعة موردهم الاقتصادي الاول [٤].وتجرى اودية يثرب من الجنوب باتجاه الشمال ، تحمل مياه الامطار التي تسقي مزارع يثرب الخصبة التي تنتج التمور والفواكه والخضار ، واهم اوديتها وادي العقيق وهو من اخصب مناطق يثرب ، ويبعد عنها من جهة الغرب بنحو ثلاثة اميال والعقيق اودية شقتها السيول :احدهما عقيق المدينة ويحيط العقيق بيثرب من جهة الجنوب الغربي ، فهو يقع بعد قباء وكانت تشغله غابات كثيرة، ومن وديان المدينة وادي بطحان يقع الى الغرب من يثرب ، ووادي رانونا، ويبدأ من جبل عير ، ووادي مذينب في الجنوب الشرقي ، ووادي قناة ويقع الى الشمال الشرقي من يثرب ، ووادي مهزور في الجنوب الشرقي ، ويأتي من الحرة الشرقية حرة واقم [٥].وقد اشارت المصادر الى وجود كثير من الابار التي يعتمد عليها الناس في حياتهم وزراعتهم في يثرب ، مما يدل على وفرة المياه الجوفية في هذه المدينة [٦]. وحرات المدينة ثلاث ، فضلاً عن حرة واقم والوبرة وحرة قباء في الجنوب فهناك ثلاث اخر بالقرب من المدينة هي" حرة شوران وحرة ليلى لبني مرة بن عوف بن

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٦ ؛ البكري ، معجم ماستعجم ، ١١٧/١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٠٨/١ .

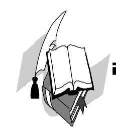
(٢) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٨٠ .

(٣) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص٣٥ .

(٤) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢٣؛ جواد علي ، المفصل ، ٣١٢/٧ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٦٤ ؛ ابن حوقل ، ابي القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ) ، صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص٣٨ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ،٢١٠/٢ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، دراسات في تاريخ العرب ، ص٣٣٥ .

(٦) العلي، صالح احمد،دولة المدينة في عهد الرسول (ص)، مطبعة المجمع العلمي العراقي،(بغداد ،١٩٨٨)، ص٢١ .



ذبيان، يطؤها الحاج في طريقهم الى المدينة، وحرة النار بالقرب من حرة ليلى" [١] ومن ابار يثرب"بئر حا ، وبئر اريس وبضاعه، البصه واورمه" [٢].ويثرب تشبه مكة في استيطان سكانها،فهي تسكن في شعاب،وتسكنها بطون الاوس والخزرج،الاوس في شعاب، والخزرج في شعاب، واليهود في شعاب [٣].

المناخ :

لقد كان لمناخ يثرب اهمية خاصة ، فهذا المناخ اكسبها مقومات وجودها وتكوينها ، فهي تتمتع بمناخ قاري شديد الحرارة في فصل الصيف ، ويميل الى البرودة في فصل الشتاء وهو بهذا قريب الشّبه من مناخ مكة ، وتهطل امطارها في فصل الشتاء . غير ان هطولها غير منتظم ، فقد تتحبس مدة طويلة من الزمن وقد تسقط بغزارة فتحدث سيولاً جارفة ، وتترك هذه الامطار الغزيرة في بعض الاحيان غدران وبرك ومستنقعات ، وكان يترتب على ركود الماء في المستنقعات الضحلة ظهور الحشرات ، والبعوض ، مما يتسبب في انتشار بعض الاوبئة والامراض ، والامراض بيثرب من الظواهر المألوفة فيها ، فقد قَدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه الى (يثرب) ، وهي وبيئه فاشتكى ابو بكر رضى الله عنه واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه آله وسلم شكوى اصحابه قال : " اللهم حبب الينا المدينة كما حببت مكة او اشد وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل وباؤها الى مهيعه " [٤].

---

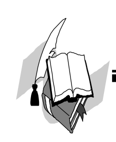
[١] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٤٧/٢ .

[٢] ابن ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٤٠.٣٤٤ .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٤٨/١ .

[٤] البخاري ، صحيح ، ١٤٣/٣ ؛ ابن ماجة ، ابو عبدالله محمد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، سنن ابن ماجة ، تح : محمد عبدالباقي ، دار الكتب المصرية ، (بيروت ، بلا. ت) ، ٢ / ١١٠٥ .

المد:رطل وثلث عند اهل الحجاز، اما الصاع: فهو اربعة امداد عند الحجازيين ، والمهيعة : قريب من الجحفة وهي ميقات اهل الشام، وكان وبائها معروفاً قبل الاسلام. ابن هشام السيرة،٢٤٨/١؛ الخزاعي،علي= = بن محمد بن مسعود(ت٧٨٩هـ)، تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله (ص) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية،تح:احسان عباس،دار الغرب الاسلامي،(بيروت،١٩٨٥) ، ص ٦٢٦ .



ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال انه اذا كان للرطوبة وكثرة المياه في يثرب بعض الاثار السلبية على الصحة بالنسبة لمن لم يعتادوا خاصة على مناخ يثرب مثل مهاجري مكة ، فان لها جوانب ايجابية كثيرة على الزراعة وتلطيف المناخ ، فقد ذكر ان " جو يثرب على العموم خير من جو مكة ، فهي الطف وافرح ولم يعاني اهلها ماعانى اهل مكة من قحط في الماء ومن شدة في الحصول عليه ... ولهذا صار في امكان اهلها زرع النخيل ، وانشاء البساتين والحدائق ، والتفسح فيها والخروج الى اطراف المدينة للنزهة ، فاثر ذلك في طباع اهلها فجعلهم الين عريكة واشرح صدراً من اهل البيت الحرام " [١].

فبتوفر المياه وخصوبة التربة اصبح مناخ يثرب معتدلاً بوجه عام مما جعل سكان يثرب يشتغلون بالزراعة ، وجل زراعة يثرب تقوم على النخيل والشعير والقمح وعلى الفواكه مثل العنب والرمان والموز والليمون والبطيخ والخضروات [٢].اذن توجه اهل يثرب الى الزراعة لانها قد تكون المصدر الاكثر ربحاً في كسب المعيشة ، وبالرغم من ان جلّ اهل يثرب يعملون بالزراعة لكن منهم من كان يملك الاراضي الزراعية الواسعة يزرعها لحسابه او يزرع عليها او يكريها ، ومنهم من كان يملك قدراً يقوم على زراعته بنفسه [٣].وقد اشتهرت يثرب بكثرة نخيلها ومزارعها وبساتينها ،"وكان التمر اشهر منتوج يثرب الزراعي وكان يعرف بالتمر الصيحاني ثم يأتي الشعير بالمرتبة الثانية من بعده " [٤].

وقد ذكرنا ان في يثرب شعاباً وفي هذه الشعاب حوائط ، بساتين صغيرة ، وفي الحوائط (آبار) يستقون منها للشرب والسقي والغسل [٥].

---

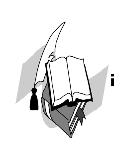
[١] جواد علي ، المفصل ، ١٣٢/٤ .

[٢] احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص٣٥٨ .

[٣] احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص٣٥٨.

[٤] البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٧٨/١ .

[٥] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣٥٧/٢ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٧٩/٧ مادة (حوط) ؛ جواد علي ، المفصل ، ١٣١/٤ . كانت بساتين اهل يثرب وحدائقهم تعرف بالحوائط . ينظر : الكتاني، محمد بن عبدالحي بن عبدالكبير(ت١٣٣٣هـ)، التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة = = العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة العلية ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا. ت) ، ٤٧/٤٠١،٢/١ .



السكان

ان خصوبة ارض يثرب ووفرة المياه فيها ، فضلاً عن وقوعها على طريق التجارة بين اليمن والشام عوامل جذب للناس للاستقرار في هذا المكان والعيش فيه بصورة دائمة . وتاريخ يثرب القديم مجهول فلا توجد مدونات يمكن الرجوع اليها [١].

وقد تباينت روايات الاخباريين حول اقدم من سكن يثرب ، وكذلك فهم لم يذكروا شيئاً عن احوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما جعل تاريخهم عموماً مبهماً وغامضاً ، ولكنهم يتفقون على قدم هذه المدينة ، اذ ورد ذكر اسمها في القرآن الكريم بقوله تعالى " واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم " [٢]، وسوف نستعرض الاقوام التي سكنت يثرب ، وحسب قدمها بصورة موجزة حتى نصل الى القبائل التي تشكل محور دراستنا .

عبيل

قبيلة من العرب البائدة ولانعرف من اخبارها غير نتف قليلة ذكرها الاخباريون [٣] وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل ، فقد ذكرت المصادر انه لما تفرق ولد نوح في الارض نزلت عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام بناحية يثرب وكانوا اهلها في قديم الدهر [٤]. ونزل يثرب بن قانيه بن مهلائيل بن عبيل بالمدينة، وبه سميت يثرب [٥] ثم جاء العماليق فانحدر بعضهم الى يثرب فاخرجوا منها عبيل فنزلوا موضعاً يعرف بـ (مهيعة)

---

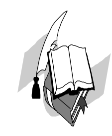
[١] احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ،ص٢٨٩ .

[٢] سورة الاحزاب ٣٣ ، الآية ٣٣.

[٣] القلقشندي ، نهاية الارب ،ص٣٤٨ ؛ جواد علي ، المفصل ،٣٤٣/١ .

[٤] البلاذري ، انساب الاشراف ،٦/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،٢٠٨/١ ؛ ابن دريد ، ابي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) ، الاشتقاق ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة المثنى ، ط٢، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ٨٣/١ ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص٣٤٨ .

[٥] المسعودي، مروج الذهب،٥٣/١ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٣٠/٥؛السمهودي، وفاء الوفا،١٥٦/١.



فاجتحفهم السيل فسميت الجحفة [١] ونزل بيثرب من العمالقة بنو هف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الازرق [٢].

وقد وهم بعض المؤرخين عندما ذكر بان صعل وفالج هم اول من نزل يثرب بعد غرق قوم نوح (عليه السلام) وانهم سكنوها قبل العماليق [٣].

القبائل العربية الباقية :

سكنت يثرب قبل نزول اليهود الاوائل فيها قبائل عربية تنسب الى العماليق وقد تغلب اليهود الوافدون على العرب ، واصبحت لهم السيادة عليهم ، فلما تكاثر اليهود في المدينة عقب هجرتهم من اورشليم بعد عام ٧٠م ، اصبحت لهم الغلبة على يثرب والقبائل العربية التي كانت تسكنها ، ويذكر ابن النجار انه كان يسكن يثرب مع اليهود بطون عربية من اليمن ومن بلى وهم " بنو: نيف حي من بلى ويقال انهم من بقية العماليق وبنو مريد حي من بلى وبنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وبنو الجذما حي من اليمن " [٤] .

وتؤكد روايات اخرى الى ان سكان يثرب انما كانوا من العماليق ثم يهود ثم العرب من اوس وخزرج ، وان العماليق انما كانوا "اول من زرع الزرع واتخذ بها النخيل وعُمّر بها الدور والاطام ، واتخذ الضياع ، وانهم يرجعون في نسبهم الى عملاق بن ارفخشد بن سام " [٥].

اليهود :

لم يكن جميع اليهود بيثرب هم من الاسرائيلين ، بل كان بعضهم من العرب الاقحاح فاليهودية دين لاقومية ، وقد اعتنقه غير الاسرائيلين بمن فيهم بعض القبائل

---

[١] البلاذري ، انساب الاشراف ، ٦/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٠٨/١؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ٨٣/١ .

[٢] الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢٠٨/١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٣٤٦/١ .

[٣] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٥٩ ؛ ابن ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٢٣ .

[٤] الدرة الثمينة ، ص٣٢٥ .

[٥] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٨٤/٥ ؛السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٥٧/١-١٥٩ ؛ محمد مهران بيومي، تاريخ العرب القديم ، ص٤٣٦ .



العربية ، كما هو معروف في نجران واليمن ، وان هذه المجموعات اليهودية كانت مذكورة في تاريخ الصراع بين الاوس والخزرج قبل الاسلام [(١)].

لقد تعددت الروايات التاريخية بشأن استيطان اليهود في يثرب واسبابه فذهب القسم الاكبر من المؤرخين [(٢)] الى ان الهدف من احتلال اليهود يثرب كان سياسياً ، فذكروا ان نبي الله موسى عليه السلام بعد ان اظهره الله على فرعون وطأ ارض الشام فاهلكه الجبابرة ، ثم بعث ذلك البعث الى العماليق بارض الحجاز وامرهم ان يقتلوهم جميعاً فقدموا عليهم فقاتلوهم فاظهرهم الله سبحانه وتعالى ، فقتلوهم اجمعين حتى انتهوا الى ملكهم الارقم فقتلوه ، وابقوا على حياة ابنٍ له كان جميلاً فظنوا به على القتل قالوا: نذهب به الى موسى فنرى فيه رأيه . فلما رجعوا به الى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد توفى ، فاعتقد الاسرائيليون ان ابقاء الجيش على حياة ولد الارقم خروج على تعاليم موسى بن عمران عليه السلام فحالوا بينهم وبين ارض الشام ومنعوهم من دخولها ، فرجع ذلك الجيش واستقر بيثرب ، وكان ذلك اول سكنى لليهود بيثرب [(٣)].

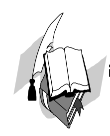
ويذهب اخرون الى ان اليهود استوطنوا بيثرب لاسباب دينية اذ ذكروا انه لما حج موسى بن عمران عليهما السلام بيت الله الحرام بمكة حج معه اناس من بني اسرائيل وفي طريق عودتهم مروا بيثرب فروا موضعها صفتة بلد نبي يجدون صفته في التوراة بانه خاتم النبيين فاشتورت طائفة منهم على ان ينزلوا بموضع سوق بني قينقعاع فكان ذلك اول استيطان لليهود بيثرب [(٤)].

[(١)] ينظر : ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم (ت ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، ٠ بيروت ، ١٩٦٥) ، ٦٥٥/١؛ وعن حروب الاوس والخزرج ينظر ايضاً : المولى، محمد جاد ومحمد ابوالفضل وعلي محمد البجاوي ، ايام العرب في الجاهلية ، مطبعة دار الفكر، (بيروت ، ١٩٦١) .

[(٢)] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٦٠-٦١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،٨٢/٥؛ ابن ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٢٤؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٢٩٤/٤؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٠٢ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٥٩/١ .

[(٣)] الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، تح : محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي،ط٣ ، (مصر ، بلا.ت) ،١٨٩/١؛ ولفنسون ، اسرائيل ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاعتماد ، (مصر ،١٩٢٧) ،ص٦.

[(٤)] السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٥٧/١ .



وفي رأي اخر ان هجرة اليهود الى الحجاز واستقرارهم بيثرب ، انما كانت على عهد الملك البابلي نبوخذنصر حينما اسقط الدولة اليهودية في القرن السادس ق.م اذ هرب قسم منهم الى هذه البلاد واستقروا بها [١].

اما اليعقوبي فقد كان له رأى اخر مخالف تماماً ، فقد دعى عروبة جميع القبائل اليهودية التي كانت تسكن شمال الجزيرة العربية في يثرب وغيرها بنو النضير عنده مثلاً فخذ من جذام نزلوا بجبل اسمه النضير فعرفوا به ، وكذلك بنو قريظة هم فخذ من جذام ايضاً تسموا باسم جبل يحمل هذا الاسم [٢].

وهذا في الحقيقة رأي ليس له سند من منطق او تاريخ قديم فان ظاهرة تسمي اليهود بالاماكن التي ينزلون بها ، فلا يمكن ان يتخذ منها دليل على عروبتهم فيذكر ولفنسون " ان اليهود في دورهم الثاني لم يكونوا يعرفون انسابهم بل عرفوا كلهم باسماء المدن والقرى والاقاليم التي جاءوا منها فيقال فلان الاورشليمي ، وفلان الحبروتي " [٣].

ولكن يستدل من المعلومات التي توصل اليها علماء الاثار على ان مدينة يثرب في"نص الملك نبوئيد ملك بابل الذي سكن تيماء امداً وذكر فيه انه بلغ هذه المدينة " [٤]. كما ذكرت هذه المدينة " في الكتابات المعينية ، وكانت من المواضع التي سكنتها جاليات من معين ثم صارت الى السبئيين بعد زوال مملكة معين " [٥].

وقد ورد ذكر يثرب بـ (JaThripa) في جغرافية بطليموس وعند اسطيفان البيزنطي وعرفت بـ(المدينة) كذلك من كلمة(Medinta - Medinto) الارامية وتعني (مدينة) في عربيتنا و " هكر في العربية الجنوبية " [٦].

عموماً مما قيل عن اليهود فان القرآن الكريم حسم هذا حسماً قاطعاً فخاطب يهود يثرب وغيرهم من يهود الجزيرة العربية مما يدل على انهم اسرائليون . وذكرهم

---

[١] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٣٩/١ .

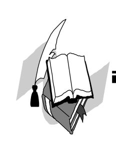
[٢] تاريخ اليعقوبي ، ٥٢.٤٩/٢.

[٣] تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١٥ .

[٤] جواد علي ، المفصل ، ١٣٠/٤ .

[٥] جواد علي ، المفصل ، ١٢٨/٤ .

[٦] جواد علي ، المفصل ، ١٣٠/٤ .



بما كان يحدث من اسلافهم من تكذيب للانبياء بقوله تعالى " يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ، واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ، واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " [١].

وخلاصة قولنا ان جميع الروايات السابقة التي تدور حول وصول الاسرائيليين الى يثرب بصفة خاصة والى داخل الجزيرة عامة ، تؤكد على انهم قوم طارئون معتدون غصبوا اهل البلاد الحقيقين حقهم وشاركوهم في اراضيهم وزاحموهم عليها .

كانت يثرب قبل الاسلام مقسمة على دوائر تسكنها البطون العربية واليهودية وكانت الدائرة تنقسم على قسمين : الاول يشمل الاراضي الزراعية بمنازلها وسكانها والثاني يشمل الاطام [٢]وقد نقل اليهود معهم فكرة بناء الاطام من بلاد الشام اذ بلغ عددها في يثرب تسعة وخمسين اطماً [٣]. وقد اشار القرآن الكريم الى الاطام بقوله تعالى " لايقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة او من وراء جدر " [٤]. والاطم في اللغة : " حصن مبني بحجارة ، وقيل هو كل بيت مربع مسطح ، وقيل الاطم مثل الاجم ، وهي حصون اهل المدينة ، ويقول ابن سيدة الاطم حصن مبني.عن ابن الاعرابي الاطوم القصور، وفي حديث بلال:انه كان يؤذن على اطم ، ...:حتى توارث بآطام المدينة يعني بأبنيتها المرتفعة كالحصون " [٥].اما المسعودي فيقول" الاوس والخزرج تؤرخ بعام الاطام لما تحاربوا على الاطام.وهي الحصون والقصور

---

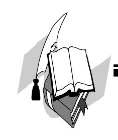
[١] سورة البقرة ٢ ، الآية ٤٧.٤٩ .

[٢] الاطام : هو الحصن المبني من الحجارة وهو بناء مرتفع وجمعه اطام ، وقيل ان كل بيت مربع مسطح هو اطم ، وكانت هذه الاطام في المدينة (يثرب) واليمن . ابن الاثير ، الكامل ، ١ / ٦٨٦ .

[٣] السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٦٥/١.

[٤] سورة الحشر ٥٩ ، الآية ١٤.

[٥] ابن سيدة ، ابي الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت٤٥٨هـ) ، المخصص ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ١/ ١٢٦ . ينظر :ابن منظور ، لسان العرب ،١٩/١٢ (مادة اطم).



وذهب الاصمعي الى انها الدور المسطحة السقوف ، وكانت الاوس والخزرج تتمنع بها فخربت في ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه " [١].

وينقل الشاعر قيس بن الخطيم بقصيدته يوم بعاث * بين الاوس والخزرج فيقول :

فلولا ذرى الاطام قد تعلمونه   وترك الفضا شوركتم في الكواعب[٢]

ويذكر ولفنسون الاطام بقوله ان الاطام كانت ذات اهمية كبيرة وتشمل المعابد وبيوت المدارس ، وكذلك كانت فاخرة الاثاث كثيرة الادوات مملوءة بالاسفار ، كانت تتم فيها المشاورة اذ يقسمون بالكتب المقدسة حتى يهمون بابرام العقود والاتفاقات ، فضلاً عن اهميتها الاساسية الا وهي اللجوء اليها في الحروب فهو ملجأ امن للاطفال والنساء والشيوخ . وكان كل بطن يملك اطماً او اكثر وهذه الاطام كانت ملكاً خاصاً بالاسر العريقة ، ورئيس الاسرة هو صاحب السلطان في الاطم [٣]، ثم يستدرج ولفنسون ويذكر اهم الحصون الى اقامتها اليهود في يثرب ومن هذه الحصون " الابلق للسمؤل والقمومي لبني ابي الحقيق وناعم وسعد بن معاذ ... " [٤].

اما اشهر القبائل اليهودية التي سكنت يثرب فهي يهود بني النضير وبني قريظة حيث سكنوا حرة واقم شرق يثرب وهي من اخصب المناطق أي سكنوا منطقة

---

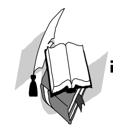
[١] ابي الحسن بن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، التنبيه والاشراف ، صححه وراجعه : عبدالله اسماعيل الصاوي ، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ، (مصر ،١٩٣٨) ، ص١٧٦ .

* يوم بعاث : (كان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام واهله) . ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٦٦٦/١ـ٦٦٨ . ٦٧٥ـ٦٧٦ـ٦٧٨.٦٧٩.

[٢] ديوان قيس بن الخطيم ، تح : ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ص٢٦٧،٩٣،٨٦ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص١٧٧،١٧٦.

[٣] تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١١٦.١١٧ .

[٤] تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١٦ .



العوالي [١] ، فنزل بنو النضير على وادي مذينيب [٢] ونزل بنو قريظة واخوانهم بنو هدل ، وبنو عمرو ابنا الخزرج بن الصريح على وادي مهزور [٣] .

ونزل بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان على وادي بطحان [٤] مما يلي العالية [٥].اما بقية قبائل اليهود فكانت منتشرة في اماكن متعددة من المناطق الغنية في يثرب : فبنو هدل (بهدل) وبنو عوف كانوا الى جوار قبيلة بني قريظة ، ونزل بنو العصيص وبنو ناغضة بقباء ، ومنازل بني مريد وبني معاوية وبني ماسكة تقع شمال وادي مهزور ، وبني زعورا سكنوا منطقة العوالي قرب مشربه ام ابراهيم [٦] وبني عكرمة وبنو مرايه سكنوا طرف حرة واقم الشمالي منازل بني حارث (من الاوس) في حين كان بني ثعلبة وجماعات غيرهم من اليهود يسكنون قرية زهرة بناحية واحة عريضة،وكان يعيش في شمالي يثرب بقرب احد جماعات من اليهود ، وهكذا كان اليهود يسكنون اخصب مناطق يثرب واغناها [٧] وينقل ولفنسون عن السمهودي " ان قبائل اليهود تنيف على العشرين ، وعدة اطامهم واطام من نزل معهم من العرب على السبعين جاء النهي عن هدمها " [٨].

---

[١] السمهودي ، وفاء الوفا،١/١٦٠ـ١٦١. ينظر :ابن رستة ، الاعلاق النفيسة،ص٦١؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/٢٣٤؛ العمري، المجتمع المدني،ص٥٨ ؛ محمد مهران بيومي، تاريخ العرب القديم ، ص٤٤٨ .

[٢] وادي مذينيب : اصله مسيل الماء بحضيض الارض بين تلعتين ، وهو وادي بالمدينة سيل بماء المطر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/٩١.

[٣] وادي مهزور : وادي بالمدينة يسيل بماء المطر خاصة وهو وادي قريظة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،٥/٢٣٤. وينظر : ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٦١ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ١/١٦٠.١٦١ .

[٤] وادي بطحان . وادي بالمدينة وهو احد اوديتها الثلاثة ، العقيق وبطحان وقناة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١/٤٤٦. ينظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٢٨٤ .

[٥] العوالي:هي ضيعة بينها وبين المدينة اربعة اميال وقيل ثلاثة : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/١٦٦ .

[٦] هذه المنطقة كانت تسمى الملك او فراقة النخل وهي من اموال بني النضير التي اصبحت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،وكانت ماريه القبطية ام ابراهيم زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تقيم فيها بالصيف،وكان المسلمون يسمونها البستان،وفيها وضعت مارية ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/١٣٤ .

[٧] السهمودي ، وفاء الوفا ، ١/١٥٩.١٦٥ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٩٦.

[٨] تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص١٦ . ينظر : السمهودي ، خلاصة الوفاء في دار المصطفى ، ص٨٠ .



ونستدل مما تقدم في النصوص التاريخية ان اليهود كانوا جاليات كبيرة متعددة الفروع ، وقد سكن اليهود الجهات الخصبة الغنية في يثرب واغناها كما ذكرنا سابقاً على ان كثير من الاخباريين يعزون انشاء الاطام بيثرب الى اليهود ، فان الدلائل الاخرى تشير الى انه كانت من انشاء الاوس والخزرج نقلوها معهم من اليمن بعد ان طوروا فيها فقد كان في اليمن منشآت مماثلة . ويذكر بهذا الخصوص بروكلمان [1] " ان حضارة العرب الجنوبية ، فقد كان المناخ اكثر ملائمة للزراعة منذ الالف الثاني قبل الميلاد فأنشأت السدود وشيدت الحصون والقصور والهياكل التي ماتزال قائمة " وهذا يفسر الى حد بعيد وجود ما يماثلها عند اللخميين في الحيرة ، وهم قوم من اليمن ايضاً وعرفت الاطام عند بني عمهم الغساسنة في الشام على نطاق اقل انتشاراً ، وهذا يعود بنا الى القول ان اليهود لم يكونوا اول من سكن يثرب وان الاطام انما بنيت على نسق قصور اليمن وعليه لايصح بعد هذا في تقديرنا انشاء الاطام الى اليهود مستندين الى رواية ولفنسون الذي يقول " ان كلمة اطم مأخوذة من اللغة العبرية ، فيقول اطم عينه اغمضها واطم اذنيه سدهما والاطم في الجدران والحيطان هي النوافذ المغلقة من الخارج والمفتوحة من الداخل ويستعمل الاطم في السور أي الحائط الضخم " [2]. لكن البلاذري يؤكد ماذهبنا اليه من رأي حول بناء الاطام فيقول " ان اول من انشأها وعرف قيمتها السكنية والدفاعية العمالقة [3] " ، فعلى هذا وذاك فهي منشآت عربية محصنة لادخل فيها للعبرانيين .

وكان اليهود يستخدمون الاطام كما ذكرنا، فهي حصون يلجأون اليها في اوقات الغارات ، كما حدث عند حصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليهود بني النضير في العام الرابع للهجرة فتحصنوا منه في الحصون [4] .

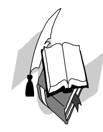
---

[1] كارل ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية : نبيه امين ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٥، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص١٥ـ ١٦ ؛ حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، (مصر ، ١٩٦٤) ، ١/ ٤٤ .

[2] تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١١٦.١١٧ .

[3] فتوح البلدان ، ص٢٩.٣٠ .

[4] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٩٠/٣ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص١٤١.



وقد اشار القرآن الكريم الى ماصاب الله اليهود من نقمتة في قولة تعالى " هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ،فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الابصار " [١].

الاوس والخزرج

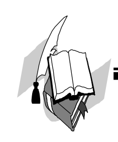
لقد تعاقب على سكنى يثرب كما رأينا بنو عيبل واليهود واخيراً الاوس والخزرج ، لكن هاتين القبيلتين احتلت اهمية خاصة في تاريخ يثرب حتى اقترن اسمهما بهذه المدينة ، وتأتي هذه الاهمية الى اسباب متعددة ، منها ان سكن هاتين القبيلتين بيثرب وتأثيرهما في هذه المدينة من خلال فاعليتهما الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية ، ويرجع الاخباريون مجيء الاوس والخزرج الى يثرب الى حادث سيل العرم ويقولون انهم لما جاءوا الى يثرب وجدوا اليهود قد تمكنوا منها ، فنزلوا في ضنك وشدة ، ودخلوا في حكم ملوك يهود الى ايام ملكهم المسمى (الفطيون) * ، رغم ان الاوس والخزرج اتخذوا منازلهم في عالية يثرب وسافلتها وحسب فروعها [٢]. ولهذا نراهم عندما احسوا بشيء من القدرة والقوة يبادرون الى مطالبة اليهود بتوقيع معاهدة حلف وحسن جوار ، ونشأ عن هذا الموقف الجديد شيء من التكافؤ ضَمن للعرب كثيراً من حقوقهم الضائعة ، وصَحبهُ كثير من الرخاء والازدهار الاقتصادي في الزراعة والتجارة وغيرهما ، وشغل تاريخهم بمشاكلهم مع اليهود وجهودهم في التخلص من تآمر اليهود وشعبهم في زرع العداوات بينهم انتهت بنشوب الحروب

---

[١] سورة الحشر ٥٩، الآية ٢.

* الفطيون : اسم ملك عبراني تملك يثرب ، وقال ابن الكلبي اسمه عامر بن عامر بن ثميلة بن حارثة بن عمرو بن الحارث المحرق ، وقتل من قبل احد رجال الانصار . ينظر : الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) ، الاغاني ، تح : عبدالكريم الغرباوي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ٦٨/١٩ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٤٣٦.٤٥٧ .

[٢] السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٧٧/١ .



والوقائع ، ونجاحهم بعدئذ من السيادة على شؤون يثرب ، وتهيؤهم لاستقبال الدعوة الاسلامية .

لانستطيع تحديد تاريخ نزول الاوس والخزرج بيثرب تحديداً دقيقاً وترى المصادر في اصولهما العرقية انهما ينتسبان الى قبيلة الازد اليمانية ، بل هما من بطونها البارزة [١]. التي خرجت من اليمن الى الشمال في حقب مختلفة ربما يرجع اقدمها في حدود ٢٠٧م عندما هاجرت خزاعة الى مكة [٢]ونما الحيان من الاوس والخزرج وتكاثرت اعدادهم واموالهم،فلم يكن للخزرج غير خمسة اولاد [٣] هم : عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب ، اما اخوه الاوس فليس له الا مالك ، وبقي اسم الخزرج يطلق على الحيين معاً ، فنرى قريشاً تقبل على الاوس والخزرج الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة بمنى يقولون لهم " يامعشر الخزرج انا قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا... وتبايعونه على حربنا" [٤] ، وبهذا الخصوص يقول عبدالعزى بن وديعة المزني :

انى حلفت يمين صدقٍ برةً بمناة عند محِّل آل الخزرج [٥]

ويبدو ان لهذه الغلبة في الاسم تابعة للغلبة في اعداد الخزرج ، تلك الغلبة اضطرت بعض عشائر الاوس الى الهجرة ، ودفع بالبعض الآخر الى طلب الحلف في قريش وفي عبس وذبيان وفي اليهود بني قريظة وبني النضير .

سكن الاوس منطقة العوالي بجوار بني قريظة وبني النضير ، وقد كانت منازل الاوس اخصب من منازل الخزرج مما ادى الى نزاع بين الطرفين [٦].

---

[١] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٢/ ٣٢٩ ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص٩٣.٥٢

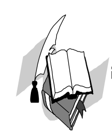
[٢] العمري ، المجتمع المدني ، ص٦٠ .

[٣] القالي ، ابي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي(ت ٣٥٦هـ) ، الامالي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د.ت) ، ١٠٢/١ .

[٤] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣٦٥/٢.

[٥] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص١٤ .ويورد كانت العرب جميعاً في الجاهلية يسمون الاوس والخزرج جميعاً : الخزرج فلذلك يقول (عند محل آل الخزرج) .

[٦] العمري ، المجتمع المدني ، ص٦٠ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣٣٧ .



والاوس والخزرج " هما ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان " [١].

منـازل الاوس

تقسم قبيلة الاوس وبطونها ومنازلها على الوجه الآتي :

اولاً : منازل بني عوف ، وانقسموا على بطون متعددة اهمها : بنو زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الذين انقسموا الى ضبيعة وامية وعبيد ، ثم بنو معاوية بن مالك بن الاوس وبنو جحجبا وبنو لوذان [٢]، فضلاً عن عشائر صغيرة اصغر منها وقد سكنوا جميعاً منطقة قباء جنوبي يثرب ، ماعدا بني معاوية الذي سكنوا شرقي البقيع وبنو امية الذين سكنوا الى جنوبهم [٣] ومن اشهر حصونهم : يخرج واقم والمستظل عند بئر غرس والشنيف ، ويقيم بالقرب من بني عمرو بن عوف ، بنو انيف ومنازلهم بين منازل بني عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة ، وهم حي من بلى حلفاء للاوس،ولبني انيف حصون اهمها: النواحان والاحبش والقائم والمابه [٤] ، وفي العصبة منازل بني جحجبا وعندهم حصن الضحيان والهجيم والقوافل [٥].

ثانياً : منازل عمرو بن مالك وهم النبيت فانقسموا على بطون متعددة اهمها بنو ظفر وبنو حارثة وبنو عبدالاشهل وبنو زعوراء وكانت مساكنهم على الطرف

---

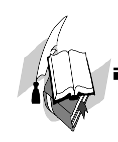
(١) ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ، المعارف ، تصحيح وتعليق ومراجعة : محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الاسلامية ، ط١ ، (مصر ، ١٩٣٤) ، ص٥٠ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ٤٣٧/٢ .

(٢) ابن عبد ربه الاندلسي ، شهاب الدين احمد (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد، تقديم : خليل شرف الدين ، منشورات ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨٦) ، ١٠٦/٣ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٣٨.٣٣٢/٢؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، ١٦٨/١ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٥.١٩٣/١ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣١٠ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفا ، ١١٢١/١٩٣،٤/١ ، ١٢٨٤،١٢٩٨،١٣٢٤ .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفا ، ١١٤٤،١٢٩٤/١٩٤،٤.١٩٣/١ .



الشرقي لحرة واقم [1]. حيث نزل ظفر شرقي البقيع الى الشمال من منازل بني قريضة على وادي مهزور والى شمالهم منازل بني عبد الاشهل والى اقصى الشمال منازل بني حارثة [2] ، اما باقي العشائر النبيت من بني زعوراء وعمرو والحريش فكانت منازلهم عند راتج [3].

ثالثاً : منازل بني جشم بن مالك بن الاوس فهم بنو خطمة ، وكانت منازلهم مجاورة لمنازل بني امية بن زيد في منطقة الماجشونية وعند منازلهم يلتقي وادي مهزور بوادي مذينيب [4] أي انهم يسكنون في العوالي ، ومن اشهر حصونهم(صع ذرع) وحصن الصاع وحصن مريد وحصن بئر الدريك [5].

رابعاً: منازل بني امرئ القيس بن مالك بن الاوس وينقسمون على قسمين او بطنين هما:مالك بن امرئ القيس بطن ، والسلم بن امرئ القيس بطن [6] وكانت منازلهم بالعوالي بين منازل بني قريظة ومنازل بني النضير [7] وكان لبني اسلم حصن شرقي مسجد قباء ، ويعني واقف حصن الزيدات .

خامساً : منازل بني مرة بن مالك بن الاوس بن حارثة (الجعادرة) واهم بطونهم : بنو امية وبنو وائل وبنو عطية ابناء زيد بن قيس بن عامر بن مرة وكانت

---

(1) ابن عبد ربه الاندلسي ،العقد الفريد ، ١٠٦/٣؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٣١/٢-٥٣٢؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ١٣٢،٣٣٨/١ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٠/١ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ٣١٠ .

(2) السمهودي ، وفا الوفاء ، ١٩٠/١ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣١٠ .

(3) راتج : اطم من اطام اليهود (بالمدينة) وتسمى الناحية به . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٣/٣. قال قيس بن الخطيم :

الا ان بين الشرعبي وراتج ضرباً كتخديم السيال المُعضد

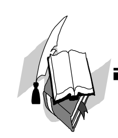
شرح ديوان قيس بن الخطيم / ١٢٥ .

(4) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١٠٧/٣؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٤٣/٢؛ السمهودي ، وفاء الوفا ،١٩٨،٤/١/١٢٩٨.

(5) السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٧/١، ١٠٧٢/٤ .

(6) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١٠٧/٣ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٤٤/٢ .

(7) السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٥/١ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣١١ .



منازلهم بالقرب من قباء عند ملتقى وادي بطحان ، ووادي رانونا [١] ، ثم بنو سعد بن مالك بن الاوس سكنوا راتج على طرف حرة واقم الشمالي [٢]وكان حصن الموجا من اهم حصون بني وائل ، اما اشهر حصون بني امية فهو حصن العذق واليسيرة ، اما حصن شاس فيعود الى بني عطية [٣].

منازل الخزرج

اما الخزرج فلها اربعة بطون رئيسة ومنها تتفرع باقي البطون سنوردها على النحو الآتي:

اولاً : بنو عمرو بن الخزرج : ولهم خمسة بطون هي : بنو مالك وبنو عدي وبنو مازن وبنو دينار، وكلها من بني النجار ، المعروف بتيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج [٤]، وقد سكنت بطون بني النجار حول المكان الذي اسس فيه المسجد النبوي ومساكن بني عدي غربي المسجد ، ومساكن بني مازن في قبلة المدينة ، والى جنوبهم سكن بنو دينار [٥] ومن اهم حصون بني مالك بن النجار ، حصن فويرع وحصن مشعط وهو حصن بني حديلة وفي وسطه بئر حاء ، وحصن السلج لبني مبذول [٦]. اما حصن فارع وهو حصن حسان بن ثابت ، وحصن العريان وحصن الزاهرية ، اهم حصون بني عدي بن النجار [٧] ولبني مازن بن النجار

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية ، ٤٩٤/٢. ويضيف ابن هشام ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة . ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا، ١٢١٦/٤ .

[٢] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٤٥/٢ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣١١ .

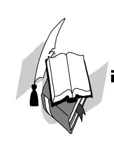
[٣] ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٦/١.١٩٧ ، ١٢٤١/٤،١٣٣٣،١٣١٦،١٢٦٣ .

[٤] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٤٦/٢ .

[٥] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،٣٤٦/٢ . ينظر : ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١٠٧/٣ . ١٠٨؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢١٣/١.٢١٤ .

[٦] ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٤٨/٢ـ٣٤٩ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢١٢/١،٢١٠ ، ١٣٠٧/٤،١٢٨٣ .

[٧] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٧٧/٢؛ البكري ، معجم ماستعجم ،١٠١٣/٣؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢١٣/١،٢١٠.



اطمان احدهما يسمى واسط، والاخر حصن معرض ولبني دينار بن النجار حصن المنيف [١].

ثانياً : منازل بني عوف بن الخزرج بن حارثة ، وانقسموا على ثلاثة بطون : سالم وغنم وعنز، وينتسبون الى عوف بن عمرو بن الخزرج وقد عرفوا بالقواقل [٢]، وكانت منازل سالم وغنم على حرة الوبرة غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانونا،وكانت منازل بني قوقل في طرف بيوت بني سالم [٣] أي ان منازلهم بين قباء والمنطقة الشرقية من وادي بطحان بين منازل بني النجار ومنازل بني ساعدة [٤]. ومن اشهر حصونهم حصن المزدلف والشماخ والقواقل ومزاحم وهو حصن لعبدالله بن ابي سلول ، مع حصون اخرى في جوف بيوتهم [٥].

ثالثاً : منازل بني جشم بن الخزرج بن حارثة وينقسمون على : بني تزيد بن جشم ، وبني غضيب بن جشم ، وينقسم بنو تزيد بن جشم على بطون اهمها : بنو سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن تزيد بن جشم [٦] ، وقد سكن بنو سلمة في الشمال الغربي ليثرب ومن بني سلمة : بنو حرام وبنو عدي وبنو عبيد وبني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة وكانت منطقتهم تمتد من سلع الى وادي العقيق [٧] ومن بطونهم بنو زريق وبنو بياضه وبنو حبيب وبنو عذاره [٨] فسكنوا في جنوب يثرب شمالي مساكن بني سالم بن عوف بن الخزرج على وادي بطحان

---

[١] السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢١٣/١، ١٣١٥/٤ .

[٢] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٥٣/٢.وعرفوا بالقواقل لانهم كانوا اذا اجاروا شخصاً دفعوا له سهماً وقالوا له (قوقل به حيث شئت) أي تنقل به حيث شئت ولاتخشى احدا . ينظر :ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ،١٠٨/٣ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٩/١ ،٢٠٠ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٠ .

[٣] السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٩٩/١ .

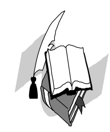
[٤] السمهودي ، وفاء الوفا، ٢٠٠/١ .

[٥] السمهودي ، وفاء الوفا، ٢٠١.١٩٩/١، ١٣٠٦/٤،١٢٩٢،١٢٤٦.

[٦] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٥٨.٣٥٦/٢ ومابعدها.

[٧] السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢٠٢.٢٠١/١ ، وجبل سلع : جبل بسوق المدينة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٣٦/٣؛ الحميري ،الروض المعطار ، ص٣١٨ .

[٨] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ،١٠٨/٣ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٥٦/٢ .



[١]، وابتنى بنو زريق وبنو بياضة وبنو حبيب الاطام،وتذكر لنا المصادر ان مجموع الاطام كان تسعة عشر اطماً [٢]

رابعاً : منازل بني الحارث بن الخزرج بن حارثة ، انقسم بنو الحارث بن الخزرج على بطون عديدة منها : بنو مالك الاغر وبنو جشم بن الحارث وبنو زيد مناة بن الحارث ، وبنو خدرة وجدارة ابنا عوف بن الحارث وبنو صخر بن الحارث [٣]وسكن بنو الحارث بالعوالي شرقي وادي بطحان ، ماعدا بني جشم وبني زيد مناة الذي سكنوا السنح * اما بنو خدرة وجدارة فسكنوا مما يلي سوق المدينة [٤]، ومن اشهر حصون بني الحارث بن الخزرج ، حصن السنح وهو لبني جشم وبني زيد مناة وبه سميت محله السنح ، وحصن الاجرد وهو لبني خدرة [٥].

خامساً : منازل بني كعب بن الخزرج بن حارثة ، واهم بطونها : بنو ساعدة الذين انقسموا على بطنين هما : بنو ظريف وبنو عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة [٦] ومن ظريف سعد بن عبادة [٧] وسكن بنو ساعدة عند المكان المعروف بسقيفة بني ساعدة ، وفي منطقة بئر بضاعة ، وكانت لهم منازل عند وادي بطحان توازي مساكن بني دينار [٨] ومن اشهر حصونهم واسط وحصن وحصن معرض الذي كانوا يشيدونه لما قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يثرب [٩].

---

[١] السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢٠٥،٢٠٤/١ ؛ احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة ، ص٣١٢ .

[٢] السمهودي ، وفاء الوفا ،١٠٦/١،٢٠٥،٢٠٤/١٢٣٩،١٢٢٥ ، ١٢٦٨،١٢٩٨ .

[٣] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١٠٨/٣ ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، المكتبة الهاشمية ، (دمشق ، ١٩٤٩) ، ٢٢٨/١ .

* سنح : هي احدى محال المدينة ، وهي في طرف من اطراف المدينة ، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٦٥/٣ .

[٤] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٦١/٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٢٥ .

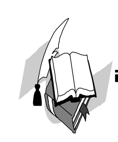
[٥] السمهودي ، وفاء الوفا ،١٩٨/١،١٩٩ ، ١٢٣٧/٤،١١٢١ .

[٦] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣٦٥/٢ .

[٧] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،٣٦٥/٢؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢٠٩/١ .

[٨] السمهودي ، وفاء الوفا ،٢٠٨/١ ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣١٣ .

[٩]السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢٠٨/١،٢٠٩ ، ١٣٠٩/٤ .



نستخلص من هذا التقسيم لمنازل القبائل العربية من الاوس والخزرج ، والذي اردنا من خلاله ان نسهم بالقاء الضوء في تحليل نفسياتهم ، واستعدادتهم ، ونعني على تصور تحركاتهم الحربية في ايامهم الشهيرة ، فمن الوهلة الاولى نستطيع ان نعرف منازلهم التي توحي بشيء من المنافرة وعدم الحرية في الالتحام والمخالطة ، وانها موزعة على اساس الصلة النسبية والعصبية والقبلية الضيقة بين فروع الحيين ، وملاحظة سكن الخزرج بصفه عامة بالسافلة والاوس بالعالية والتي كانت اخصب من الاولى .

ولم يكن انتشار السكان في يثرب يعتمد نظاماً تخطيطاً مدروساً بل كان على الاغلب يعتمد على رغبات البطون ، وهكذا كان لكل بطن حي، ولكل حي اراضيه الزراعية ومنطقته السكنية الخاصة ، وسكانه وحصونه واطامه ، لقد اتخذوا الديار والاموال وتفرقوا في عالية المدينة ليثرب وسافلها ، فمنهم من جاء عفا من الارض لاساكن فيه فنزله ، ومنهم من لجأ الى قرية من قراهم واتخذ الاموال والاطام [١] ويذكر ابن كثير حين قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً ، كانت تبلغ تسعاً ، كل دار مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها واهلها وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم ، وهي كالقرى المتلاصقة [٢] نستنتج من النصوص الانفة ، ان منازل الاوس الواقعة شرق المدينة (يثرب) وجنوبها تعد من افضل مناطق المدينة (يثرب) واكثرها خصوبة ، وذلك راجع الى مرور كثير من الاودية خلالها، فضلاً عن اشتغال العرب واليهود في استغلال تلك الموارد لتنمية الزراعة بشكل واسع حتى كان لهم غزار المياه وكرام النخل [٣].

المبحث الثالث

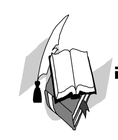
الطائف

---

[١] السمهودي ، وفاء الوفا ، ١/١٩٠ .

[٢] البداية والنهاية ، ٣/٢٠٣ .

[٣] يذكر السمهودي ، ان عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال ، قبيل يوم بعاث : ياقوم ان بياضه بن عمرو ، انزلكم منزل سوء ، والله لايمس رأسي غسل حتى انزلكم منازل بني قريظة والنضير . ينظر : وفاء الوفا ، ١/٢١٧ .



تعد الطائف من اغنى مناطق الحجاز واشهرها لما تتمتع به من موقع متميز وهذا الموقع جعلها مصيفاً للفئة الارستقراطية المكية [1].

وكانت الطائف قديماً تسمى باسم وج وهو اسم (وادي وج) الذي نسب الى وج بن عبد الحي من العماليق ، وتقع الطائف على ظهر جبل غزوان وهو اعظم جبال السراة وابردها الى الجنوب الشرقي من مكة على بعد حوالي خمسة وسبعين ميلاً [2].

واهم مايميز الطائف من مدن الحجاز مناخها فهي ابرد منطقة في بلاد العرب اذ وصفها المقدسي [3]" هي مدينة صغيرة شامية الهواء باردة الماء " لذلك اصبحت الطائف مصيف اهل الحجاز ولاسيما المكييون الذين يفرون من حر مكة. فقد نقل عن ابن عباس قوله"كان المكيون يشتون بمكة ويصيفون بالطائف " [4]. فهي ابرد مكان في الحجاز ، وتتميز من مكة بانها ذات جو طيب في الصيف ، فانها كثيرة الشجر والثمر واكثر ثمارها الزبيب والرمان والموز والاعناب [5].

والطائف محلتان يقال للاولى طائف ثقيف والثانية الوهط يفصل الوادي بينهما ، حيث تجري فيه مدابغ بين المحلتين [6] ، وهي الى جانب خصوبة ارضها وكثرة عيونها ومياهها ووفرة محاصيلها، كانت مركزاً تجارياً مهما ومحطة للقوافل التجارية الذاهبة الى اليمن ، لذا ارتبطت بمكة اقتصادياً واجتماعياً وتاريخياً [7].

هذا الارتباط بمكة رفع من مكانتها الى مكانة مكة كما يظهر ذلك من قوله تعالى " وقالو لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " [8].

---

(1) فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب ، ١٤٣/١ .

(2) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٧٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٩/٤ ؛ عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص١٩٠ ؛ محمد مهران بيومي ، تاريخ العرب القديم ، ص٤٨٣.

(3) احسن التقاسيم ، ص٧٩ .

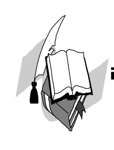
(4) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٩٥ .

(5) البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف ، دار المعرفة ،(بيروت ، بلا . ت) ، ١٩٠/١١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ١٤٢/٤ .

(6) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٩/٤ .

(7) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٢ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١٩١.١٨٨/١ .

(8) سورة الزخرف ٤٣، الآية ٣١ .



ويصف ابو الصلت خصب الطائف :

ويانع من صنوف الكرم عنجدنا   منه ونعصره خـلاً ولذانا

قد أدهأمت وامست ماؤها غدق   يمشي معاً اصلها والفرع ابانا

الى خضارم مثل الليل متجئاً   قوماً وقضباً وزيتوناً ورمانا

فيها كواكب مثلوج مناهلها   يشفي الغليل بها من كان صديانا[١]

والطائف مدينة صغيرة قديمة البنيان ، وقد سميت بهذا الاسم لان رجلاً من الصدف يقال له الدمون بن عبدالملك (كان تاجراً ثرياً) قتل ابن عم له بحضرموت ثم خرج هارباً حتى نزل بارض الطائف ، فخالف مسعود بن معتب الثقفي ، وتزوج من ثقيف . وفي مقابل ذلك اقام لهم طوفاً مثل الحائط حتى لايصل الى ثقيف احد من العرب ، ويكون هذا الطوف حصناً لثقيف فبناه بماله ، وسمي الموضع لذلك بالطائف [٢]، لقد ادت الاساطير والروايات دوراً بارزاً في التسمية [٣].

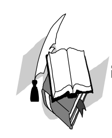
وكان السبب في اختلاف الجغرافيين العرب في جعل الطائف حجازية ، هي وقوعها على الحافة القريبة لهضبة نجد ، ولكن الكثير من الجغرافيين لم يجعل الطائف من ضمن مدن الحجاز، والقسم الاخر من الجغرافيين وضعها ضمن مدن الحجاز بل من مدنه المهمة ، ومن هذه الحسابات قربها الجغرافي من هذه المنطقة لاسيما مكة ، زيادة على تشابه طبيعتها مع معظم مدن الحجاز ، فقد حدد ابن

---

[١] ابن خميس ، عبدالله بن محمد ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة والترجمة والنشر، الرياض ، (السعودية ، ١٩٧٠) ، ص٢٥٦ .

[٢] البكري ، معجم ما استعجم ، ٦٧/١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٩/٤ . ينظر : البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن ابن عبدالحق (ت٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ٨٧٧/٢.

[٣] في تسميات الطائف ينظر : ابن المجاور ، جمال الدين ابي الفتح يوسف الدمشقي (ت٦٩٠هـ) ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بتاريخ المستبصر ، طبعة (ليدن ، ١٩٥١) ، ص١٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٥٨/١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٩/٤ ؛ ابن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، ص٢٦٥ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٠ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ١٩١/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣٠٣/١ ؛ ابن خلدون ، محمد بن عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ) كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون،مؤسسة جمال = = للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٧٩) ، ٧٩/٢ ؛ البستاني ، دائرة المعارف ، ٣٢٧/٦-٣٢٨ ؛ القزويني ، اثار البلاد ، ص٩٧ .



رسته موقعها بانها من مدن الاقليم الثاني [١]وقد اجمع الرحالة الجغرافيون على انها تقع على مسيرة ثلاث مراحل من مكة ، وهي كذلك تقع على خط الطول نفسه من المشرق الى المغرب مع مكة [٢].

المناخ

تقع الطائف على ظهر جبل غزوان وهو ابرد مكان في الحجاز وربما جمد الماء في ذروته في الشتاء وهي على عكس مكة ، مرتفعة ذات جو طيب في الصيف ، فيه زرع وضرع وغنى جادت الطبيعة به على اهلها وقد كانت الطائف وما زالت مصيفاً طيباً يقصده اهل مكة فراراً من وهج الشمس [٣]واهم مايميز الطائف من مدن الحجاز ، فضلاً عن اهميتها التاريخية اذ توغلها في القدم فهي من المراكز الحضارية في الحجاز لها اهمية اقتصادية ، واسهم المناخ وخصوبة الارض وتوفير المياه اذ اشير الى توافر المياه العذبة فيها ، وهي تأتيها من العيون والجداول المنحدرة من الجبال . ساهمت هذه الظروف مجتمعة على ان تكون الطائف مدينة زراعية ومنذ القدم واصبحت الزراعة معاش اهل الطائف وموردهم الاقتصادي الاول [٤]وأَهَلها موقعها على الطريق التجاري الذي يربط اليمن بكل من مكة ويثرب ان تكون سوقاً تجارياً رائجة ترتاده القبائل العربية في اكثر ايام السنة .

ويشرف جبل غزوان ، اعظم جبال السراة على المدينة ، وجبال السراة تمتد بمحذاة البحر الاحمر ، وكان يعتقد انها تبدأ من اليمن لكي تصل الى الشام [٥] وتشرف السراة الشرقية على هضاب متفتحة على بلاد العرب عن طريق افجاج وشعب واودية تنتهي الى البحر ، وقد سهلت هذه الشعب الاتصال بين القبائل الضاربة في الداخل والمدن التجارية بالحجاز ، ومن بين هذه الوديان وادي نعمان

---

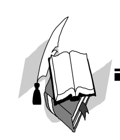
[١] الاعلاق النفيسة ، ص٩٦ .

[٢] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٣٠٣ .

[٣] ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٣٩ ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص١١٩ .

[٤] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٩/٤ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ١/ ١٩١.

[٥] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٨٥ .



بين الطائف وعرفة ، وفيه طريق الطائف المختصرة الى مكة [١]، وجبال السراة جنوبي الطائف امتداد لجبال اليمني ، وهي جبال كانت تتخذ اسماء القبائل التي سكنتها مثل ،" سراة بن علي وفهم وسراة بجيله والازد ابن سلامان وسراة المع ودوس وغامد" [٢].

ويحيط بالطائف نطاق من المزارع والبساتين تمتد الى نحو ثلاثة او اربعة كيلو مترات من المركز العمراني بالمدينة ، ويطوق جبل غزوان جانباً من هذه المزارع في حين ينفتح سهل الطائف تجاه مكة [٣].

وتتميز ارض الطائف بكونها متنوعة بتضاريس الطبيعة ، فمن وديان الطائف وادي وج ووادي وج هو وادٍ الطائف الرئيس يقول فيه الثقفي :

سقينا لوج وجنوب وج   واحتله غيث دراك الثج [٤]

ووادي نخب وهو من الطائف ساعة ، ووادي العرج وهو غير العرج الذي بين مكة والمدينة [٥]. ويذكر البكري ان وادي نخب وادٍ من وراء الطائف [٦] ، ووادي بسل اعلاه لفهم واسفله لنصر [٧] ووادي ليه يقع في شرقي الطائف ، وعلى مقربة من المدينة [٨] ، وفيه البساتين والمناظر الجميلة ومياهه تصب في منطقة يقال لها " المختلطة ويلتقي بوادي نخب " [٩] وان هذا الوادي يقع في القسم الشرقي من الطائف ويسكنه بنو النصر من هوازن [١٠] ، ووادي جفن " من يماني الطائف واد يقال له جفن لثقيف وهو بين الطائف وبين معدن البرام ويسكن معدن البرام قريش

---

[١] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٣ .

[٢] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٣ .

[٣] سالم، السيد عبدالعزيز ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص٣٢١ .

[٤] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص٢٩ ؛ الزمخشري، الازمنة والامكنة والبقاع ، ص٢٢٠ .

[٥] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص٢٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/٩٨.٩٩ .

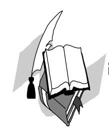
[٦] معجم ماستعجم ، ٤/ ١٣٠١ .

[٧] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص٣٠ ؛ الزمخشري ، الازمنة والامكنة والبقاع ، ص٢١١ .

[٨] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/٣٠.

[٩] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/٢٧٥.

[١٠] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٣



وثقيف [١]، ووادي جلدان منقلب الى نجد في شرقي الطائف ويسكنه بنو هلال [٢] ووادي مشريق وهو لبني امية من قريش " [٣].

ونستنتج من هذا كله ان هذه الاودية المنتشرة باعداد لابأس بها في هذه المدينة وخارجها ربما يعود الى تنوع تضاريسها وغزارة امطارها التي تسقط في الطائف والمناطق المجاورة ، وقد تستخدم هذه الوديان للاغراض الزراعية الواردة في اشارات كتب الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين والتي تركز على اهمية المحاصيل الزراعية والتي تمتاز بجودتها وتنوعها ، وهذه المحاصيل كانت تنتج بكميات كبيرة اذ تفيض عن حاجة السكان المحليين فقد كانت تسوق الى مكة .

ان هذا التنوع في التضاريس الارضية اعطى للطائف صفة مميزة من بقية مناطق الحجاز ونجد ، فقد اجمع الجغرافيون العرب انه لم يجمد الماء في أي مكان في الجزيرة العربية عدا الطائف ، هذا التنوع في المناخ واعتداله بالنسبة للحجاز جعل اهل مكة يتخذون الطائف ملجأ لهم من حر الصيف الشديد وقد قال الشاعر في هذا :

تشتو بمكة نعمة   مصيفها بالطائف [٤]

وقد قورنت الطائف بمكة قبل الاسلام ، واشار بذلك الى هذا المعنى الكريم بقوله تعالى" وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " [٥].

ان هذه المساحات الزراعية الواسعة ووجود الغابات المنتشرة على سفح جبل غزوان شجع اهل الطائف على الصيد ، فأخذوا يمارسون اعمال صيد الحيوانات والطيور واصبحت لهم مهنة تدر عليهم اموالاً كثيرة فاصبح موردهم بعد الزراعة ،

---

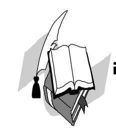
[١] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٤٧/٢ .

[٢] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٣ . ويذكرها الاصفهاني انه بلد بين ليه وبسل وتسكنه بنو نصر ، ينظر : بلاد العرب ، ص٣٠ .

[٣] الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٢٣٣ . ويذكره الاصفهاني بوادي الشريف وهو من بلاد الطائف بين الطائف وبين عرفة . ينظر : بلاد العرب ، ص٣١ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندى وآخرون ، ٥٥.٥٤/١٥ .

[٤] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،ص١٣٤؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،١٢/٤ .

[٥] سورة الزخرف ٤٣ ، الآية ٣١ . الطبري، محمد بن جرير _ ت٣١٠هـ) ، جامع البيان على تأويل القرآن ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٨) ،٣٩/٢٥ .



واشتهر اهل الطائف ببعض الصناعات لاسيما الصناعات الجلدية وصناعة العسل [١].

السكان

كانت الطائف في عصر ما قبل الاسلام قريتين فقط ، احداهما تدعى طائف ثقيف وهو مما يلي الطائف ، والاخرى على الجانب الآخر ناحية الوهط ، والوادي يمر بين القريتين وبالرغم من جودة محاصيل الطائف الزراعية وتعاطيهم كل اسباب التجارة ، الا ان الطائف انذاك كان على حالة سيئة " بيوتها لاطئة حرجة وبقايا مياه الوادي تجري عليه مياه المدابغ فيها الاديم تصرع الطيور رائحتها اذ مرت " [٢].

وبالرغم من ذلك فان الطائف شكلت نقطة جذب لسكان شبه الجزيرة العربية للاستقرار فيها منذ اقدم العصور ، وذلك لتفوق هذه المنطقة على غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية من حيث توفر وسائل العيش فيها ، غير ان مالدينا من معلومات تاريخية عن نشأة هذه المدينة وتطورها على درجة من القلة ، وان معظم ما وصل الينا من روايات في المصادر التاريخية غلب عليه الطابع الاسطوري ولاسيما نشأتها الاولى أي قبل الاسلام بالآف السنين وانما يؤكد ان تاريخ مدينة الطائف يرجع الى زمن بعيد ، وان يكون غامضاً ، فقد عثر الباحثون على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بالمدينة ، وفي مواضع ليست بعيدة عنها ، بعضها بالنبطية ،و بعضها بالثمودية ، وبعضها الثالث بعربية القرآن الكريم وعثر على كتابات تشبه اليونانية واخرى تشبه الخط الكوفي وان كانت جميعها لم تدرس لحد الان [٣] .

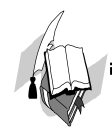
وقد تعددت الاراء حول اول من سكن الطائف ، فقد ذهب بعض الاخباريين الى ان اسمها (وج) نسبه الى وج اخو أجا الذي سمي به احد جبل طيء وهما من

---

[١] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٣٢ .

[٢] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٩/٤ .

[٣] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/ ٩ ؛ كمال ، محمد سعيد حسن ، الطائف ، مجلة العرب ، الجزء الاول ، السنة الرابعة ، ١٩٦٩ ، ص١٧ .



العماليق [1] لكن الهمداني له رأي اخر فيقول " ان وجاً وشرفات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قيان غرسوا اوديته وذللوا خشانة ورعوا قريانة فلما عصوا الرحمن هب عليهم الطوفان " [2].

وهناك من يزعم ان اول من سكن الطائف انما هم من العماليق ثم غلب عليها بنو عدوان بن قيس بن عيلان ، ثم بنو عامر بن صعصعة ، ثم اخذتها منهم ثقيف [3] وذهب اخرون الى ان الذين سكنوا الطائف بعد العماليق ، انما هم قوم ثمود قبل ارتحالهم الى وادي القرى ، ومن ثم فقد ربط اصحاب هذه الرواية نسب ثقيف بالثموديين الذي نسبوهم الى جد اعلى هو (قس بن منبه) الذي يجعله بعضهم من اياد ، في حين يجعله البعض الاخر من هوازن [4].

اما ابن هشام فيرجع اصول ثقيف الى " اياد فهو قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن افضي بن دعمي بن اياد بن معد عدنان " [5].

ومما تقدم نعتقد وبعد استقراء ما اوردته المصادر ان قبيلة ثقيف ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالطائف حتى تصور الكثير ان ثقيف اول من استوطن الطائف ، وقد مرت الطائف بثلاث مراحل حتى وصلت الى تسلم السلطة والسيادة على الطائف ، وقد بدأت المرحلة الاولى حين قابل ثقيف (قسي بن منبه) * عامر بن الظرب العدواني سيد مدينة الطائف في ذلك الحين واقنعه بتزويجه من ابنته التي ولدت له من الابناء ما ساعده على تقوية مركزه وتوسيع نفوذه في الطائف . اما المرحلة الثانية فبدأت حينما تحالف بنو ثقيف مع بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن

---

[1] جواد علي ، المفصل ، ١٤٣/٤ .

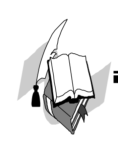
[2] صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٠ .

[3] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،٣٩٧/٢ (مادة وجج) .

[4] البلاذري ، انساب الاشراف ،٢٥/١ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، /٣٠١ ؛ ياقوت الحموي ،١١-٩/٣؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص١٩٨-٢٠٠ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ،٣٤٣/١ ؛ ابن خلدون ، العبر ،٣٠٩/٢ ؛ مونتغمري واط ، محمد في المدينة ، تعريب : شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة ، (بيروت ، بلا) ، ص١٢١-١٥٠ .

[5] السيرة النبوية ، ٤٦/١ .

* قسي : اسم لثقيف : سمي بذلك لانه مر على ابي رغال وكان مصدقاً فقتله فسمي قسياً لقسوته قال : اخبرهم نحن قسى وقسا ابونا) . ينظر : ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٢٥/٦ ، هامش (١) .



بكر بن هوازن ضد بني عدوان ، حتى تمكنوا من اجلائهم عن الطائف . اما المرحلة الثالثة التي تمكن فيها بنو ثقيف بعد ان كثر عددهم وزادت قوتهم الاقتصادية بسبب عملهم في الزراعة من الانفراد بمدينة الطائف فقد تمكنوا من اقناع بني عامر بن صعصعة الذين كانت تغلب عليهم البداوة بان يتخلوا عن اراضيهم لثقيف لاستثمارها في الزراعة مقابل اعطائهم نصف المحاصيل التي تغلها تلك الاراضي وكان بنو عامر طوال هذه الحقبة يحمون ثقيفاً ممن اراد العدوان عليهم من ابناء القبائل المجاورة ، فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنو سوراً على الطائف وحصنوه ومنعوا عامراً مما كانوا يحملونه اليهم من نصف الثمار ، واراد بنو عامر اخذه فلم يقدروا عليه ، فقاتلوهم فلم يظفروا منهم بشيء وانتصرت ثقيف ، وتفردت بعد ذلك بملك الطائف حتى ضربت العرب المثل بمنعه ثقيف في مدينة الطائف ، ففي قصيدة ابو طالب بن عبدالمطلب :

منعنا ارضنا من كل حيّ   كما امتنعت بطائفها ثقيف

اتاهم معشر كي يسلبوهم   فحالت دون ذلكم السيوف [١]

وقال بعض الانصار :

فكونوا دون بيضكم كقوم   حموا اعنابهم من كل عادي [٢]

اما ثقيف فهي فرقتان ، بنو مالك والاحلاف ومن اشهر رجالات بني مالك السائب بن الاقرع ومن رجالات الاحلاق المختار بن ابي عبيد والحجاج بن يوسف الثقفي وامية بن الصلت وابو محجن الثقفي [٣].

لقد دار بين الاحلاف وبني مالك كثير من الحروب بسبب الرئاسة والسيطرة وقليلاً ما كان يسود الصفاء بينهما ، ويلمس ذلك من قول الشاعر ربيعة بن سفيان احد بني عوف بن عقدة من الاحلاف [٤]

وماكانت ممن ارث الشر بينهم   ولكن مسعود احباها وجندبا

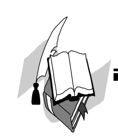
---

[١] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،١١/٤؛ البستاني ، دائرة المعارف (مادة طائف) ،٣٢٨.٣٢٧/٦ .

[٢] ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ١١/٤.

[٣] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤١ . وللتفاصيل ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٢٦٨.٢٦٦/١ .

[٤] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٦٨٥/١ . مسعود : هو مسعود بن معتب على راس الاحلاف. جندب : هو جندب بنو عوف بن الحارث بن مالك على رأس بنو مالك .



عناقاً ضروساً بين عوف ومالك شديداً لظاها تترك الطفل اشيبا

فكانت للاحلاف احد الحزبين عهداً واقلهما اخذاً باسباب الحياة الرغيدة ولكنهم نجحوا في الاستئثار بسدانة اللات ، وقد احسن هؤلاء بانهم دون منافسيهم بني مالك في الثراء وامتلاك الارض فسعوا الى تعويض نقصهم بالبراعة الفائقة في سياسة الامور والتنظيم ، وقد خرج اعظم شعراء الطائف واكثر شيوخها هيبة من الاحلاف اضف الى ذلك " توسطوا الحجاز واحاطة قبائل مضر واليمن وقضاعة فحمت دارها " (١).

ويصف لامانس ذلك الصراع بين الاحلاف وبني مالك هو" صراع بين حزبين فشكل هذا الصراع سعادة الطائف واستقرار اهلها ، وشل اقتصاد المدينة وعاق نموه وازدهاره " (٢).

اما منازل القبائل فيها فان الطائف لم تسكنها العناصر الاجنبية بل كانت تسكنها القبائل العربية " فهوازن بن منصور فيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة احرام كلهم لبكر بن هوازن وهم بنو سعد بن بكر وبنو معاوية وبنو منبه بن بكر وكان بنو سعد قد سكنوا شرقي الطائف " (٣).

واما بنو معاوية بكر بن هوازن ففيهم بطون كثيرة منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن سعد بن عوف ، ومنهم بنو جشم بن معاوية ، ومنهم رهط دريد بن الصمة وكانت مواطنهم بالسروات ، ومنهم بنو سلول ومنهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية وكانوا في الغرب ، ومنهم بنو يزيد ، ومنهم بنو عامر بن صعصعة (٤).

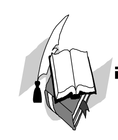
---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٠/٤ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية (مادة طائف) .

(٣) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٢٦٥.٢٦٤/١ ؛ ابن خلدون ، العبر ،٣٠٩/٢ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، ١٤٨/١ . بنو سعد بن بكر وهم آظار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارضعته منهم بنت ابي ذؤيب بن عبدالله بن الحرث بن السحنة بن نصير بن سعد .

(٤) ابن خلدون ، العبر ،٣١٠/٢؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، ٥٤٠ـ٥٣٩/٢ (عند وادي مشريق) .



اما بنو عوف بن ثقيف والذين يعرفون بالاحلاف فمنهم سعد بن عوف ومنهم عتبان بن مالك بن سعد بن عوف ومنهم الاخنس بن شريق بن عمرو الحلاج طبيب العرب [1]. وكانت مواطنهم حول الطائف على جبل الحجاز بين مكة والطائف [2].

خلاصة قولنا ان مساكن الاحلاف في وادي ليه شرقي الطائف ووادي لقيم شمال الطائف اما مساكن بني مالك فهم في شرقي وجنوب شرقي الطائف [3].

مما تقدم يتضح ان القبائل العربية التي سكنت الطائف كانت قد عاشت عيشه هانئة بسبب الطبيعة الجغرافية التي مكنتهم من الاستقرار وتحقيق الاكتفاء والرخاء وكانت مصيفاً لاهل الحجاز .

وعلى الرغم من بعض الروايات التاريخية تشير الى ان الطائف "كانت مهرباً وملجأ لكل هارب من ابناء القبائل " [4] فلا الكتب التاريخية ولا الكتب الجغرافية تحدثنا عن اضطراب او شغب حدث في هذه المدينة ، فقد بقيت لثقيف السيادة الداخلية عليها ونبغ منها عدد كبير من ابنائها ممن كرسوا جهودهم وحياتهم لخدمة الاسلام . اضف الى ذلك العلاقات الطيبة والمصاهرة بينها وبين مكة وبينها وبين يثرب فضلاً عن العلاقات الاقتصادية المتينة والسياسية بين تلك المدن الثلاث .

نلمس مما تقدم ان للطبيعةاثراً بالغاً في طباع الناس ، فاختلفت طبائع اهل الطائف بسبب ارتفاع ارضها وجوها المعتدل ، فصارت اخلاق اهلها اقرب الى اخلاق اهل اليمن ، وصاروا اذكياء وعقولهم متفتحة نيرة ، استغلوا ايديهم فزاولوا الحرف والمهن [5]حتى كان من تأثير الطبيعة ان العربي وصف بالخمول والكسل والرومانطيقية (أي الخيال) وعدم الصبر وبالانانية هذه الصفات ليس حاصل خصائص الدم وانما هي ظروف واحوال اجبرته على ذلك [6].

---

[1] ابن خلدون ، العبر ،٣٠٩/٢ .

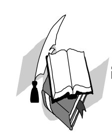
[2] عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، ١٤٧/١ .

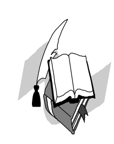
[3] عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، ١٤٧/١ .

[4]ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٢.

[5] جواد علي ، المفصل ، ٢٩٠/١ .

[6] جواد علي ، المفصل ، ٢٩١/١ .





الفصل الثاني

القبيلة ودورها في البنية الاجتماعية

المبحث الاول :

القبيلة ونظامها

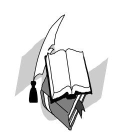
لعصر ما قبل الاسلام اهمية كبيرة فهو فجر امتنا ، والتعرف الى دقائقه سبيل الى التعرف الى مكونات هذه الامة العظيمة ومقوماتها وميزاتها ، وهذا العصر وما دفع فيه من حروب داخلية ، ونمت فيه قيم تعارف عليها المجتمع العربي ، ومثلت هذه القيم والاعراف التي نحن بصدد دراستها بمفهومها الاساسي العلاقات القائمة بين افراد المجتمع ، وفي كل مظاهر حياتهم اليومية .

ان المجتمع العربي اعتمد في تركيبته الاساس على المفهوم القبلي حتى ولو عاش عيشه حضارية . وان صلة الدم او النسب هي العامل الجوهري في الانتماء لهذا المجتمع ، الذي هو مجموعة من القبائل العربية المنتشرة على ارض الجزيرة العربية في صحرائها ، وحواضرها ، وكلها في بنيتها الاساسية الاجتماعية متشابهه ان لم تكن متماثلة . لقد مثلت تلك القيم والافكار القبلية التي سادت عصر قبل الاسلام بفعل عوامل كثيرة ، اسس النظام الاجتماعي لدى عرب الجزيرة بقسميهم البداوة والحضر رغم اختلافهم احياناً تبعاً لتلك العوامل [(١)].

ان فهم العلاقات الاجتماعية لايتم الا من خلال دراستها في اطار الوسط الذي نمت فيه ، أي من خلال الكيانات السياسية وتنظيمات القربى والظروف الاقتصادية وغيرها من التنظيمات الاجتماعية الاخرى التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام [(٢)]، لاسيما الحياة الاجتماعية وعلاقاتها وليدة اسباب متعددة اهمها الحياة اليومية التي يعيشها الفرد وما تتطلبه من حاجات تحتم على طالبها اقامة علاقات مع الجماعات ، لان الجزيرة العربية قد غلبت الطبيعة الصحراوية عليها

[(١)] الجبوري،منذر، ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي،دار الحرية للطباعة، (بغداد ، ١٩٧٤)، ص٦٥ .

[(٢)] الربايعة ، احمد ، عبادة الاصنام في الجزيرة العربية قبل الاسلام ووظيفتها الاجتماعية ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد / ٣ ، العدد الاول ، (الاردن ، ١٩٧٨) ، ص٣٩ .



وظهر الجفاف فيها، لذا كان ذلك سبباً في عدم نشوء مجتمعات حضرية ، وحكومات مركزية كبيرة فيها [١].

ولكن نشأت فيما بينها علاقات اجتماعية وتولدّ داخلها قيماً وتقاليد ، الامر الذي ادى الى بروز الحاجة الى قيام نوع من النظام والحكم يرتب العلاقات داخل هذا الكيان ويعمل على حمايته ، لان القبيلة هي الكائن الاجتماعي الطبيعي في هذه البيئة اصبح لها ضرورة لازمة للدفاع عن النفس والحماية [٢]. اذ انها تمثل الكيان المستقل في مواطنه وادارته ، وقد ساعد ذلك على نشوء قيم واعراف في داخلها ، وتكيف ابناء القبيلة على هذه القيم والاعراف مما ادى الى تكوين مجتمع مستقر ، منظم يوفر الاحساس بالانتماء للجماعة ويؤدي فيما بعد الى نمو العلاقات في جو من التواصل الاجتماعي .

وقبل التطرق الى الاساس الذي قام عليه المجتمع العربي واعتمد على النظام القبلي روحاً وقالباً وشكل النظام الاساس السائد في ذلك المجتمع ، وكانت العرب قد قسمت الانساب على ست مراتب هي : .

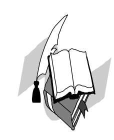
" الشعب لان القبائل تشعبت اما القبيلة وهي ما انقسم في انساب الشعب مثل ربيعة ومضر ، وسميت قبيلة لتقابل الانساب فيها ولان العمائر تقابلت عليها مثل قريش ، وكنانة ، ثم البطن ، وهو ما انقسم في انساب العمارة مثل عبد مناف وبني مخزوم ثم الفخذ وهو ماانقسم في انساب البطن مثل بني هاشم وبني امية ثم الفصيلة وهي ما انقسم فيه انساب الفخذ مثل ابي طالب وبني العباس " [٣]. وانفرد بعض

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ١٨٣/١ .

(٢) الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٩) ، ص٣٥ .

(٣) السمعاني ، ابو سعد عبدالكريم بن منصور (ت٥٦٢هـ) ، الانساب ، تصحيح وتعليق : الشيخ عبدالرحمن أبن يحيى اليماني ، مطبعة المعارف العثمانية ، حيدراباد ، ط١، (الهند ، ١٩٦٢) ، ١٨/١ ؛ المقريزي، ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، قدم له : السيد محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، (النجف ، ١٩٦٦) ، ص٦٢ ؛ ابن رشيق ، ابي علي الحسن (ت٤٥٦هـ) ، العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٢ ، ١٩٢/٢ ؛ ينظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، ١٨٨/٣ـ١٨٩ ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٦٦/٣ ومابعدها .



النسابين وجعلوها عشر مراتب فزاد قبل الشعب الجذم والجماهير وجعل المرتبة العاشرة الرهط ، فهم الرجل واسرته [١].

اولا" : القبيلة

والقبيل في اللغة " الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى كالزنج والروم والعرب ، وقد يكونون من نحو واحد ، وربما كان القبيل من اب واحد كالقبيلة " [٢].

كانت القبيلة تمثل الوحدة الاجتماعية والسياسية المستقلة ، والقبيلة مجموعة من الناس ينتمون الى اصل واحد مشترك [٣].

وشكلت القبيلة التي كان النسب لها بمثابة الروح التي تهب الحياة والدعامة القوية التي قام عليه نظامها ، فقريش قبيلة ، وثقيف قبيلة ، والاوس والخزرج قبيلة ، وذلك لان هؤلاء وان تحضروا او استقروا فانهم ظلوا متمسكين بالانتساب الى جد اعلى بناًء على قوله تعالى " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها " [٤]وقد يكون اباً لعدة بطون ، ثم اباً لقبيلة .

ويلاحظ التباين في المصادر العربية حول عدد افراد القبيلة واطلاق مصطلح القبيلة حتى على افراد لم يتجاوزا الاثنين او الثلاثة افراد [٥]، مما يوحي بان مدلول هذه المصطلحات ليس محل اتفاق في المصادر العربية القديمة .

على العموم كانت القبيلة وحدة سياسية مستقلة قائمة بذاتها وكانت وحدة اجتماعية لها نظمها واعرافها وتقاليدها ، ولكن هذا لايعني ان كل قبيلة قبل الاسلام كانت تعيش في عزلة عن اخواتها سياسياً واجتماعياً ، بل كانت هناك علاقات سياسية تربط فيما بينهم وتتمثل بالاحلاف او المعاهدات والجوار ، وعلاقات

---

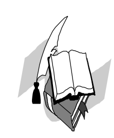
[١] النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، مطابع كوستاتوماس ، القاهرة (نسخة مصورة عن دار الكتب) ، ٢/ ٢٨٣ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٤١/١١ مادة (قبل) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق : حسين نصار ، ٥٣/١٣ .

[٣] فيليب حتي ، تاريخ العرب مطول ، ٣٤/١ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٣٦٥/١ .

[٤] سورة الاعراف ٧، الآية ١٨٩.

[٥] ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٥٦ .



اجتماعية تتمثل بالمصاهرات التي شغلت دوراً هاماً في ربط القبائل بعضها ببعض ، فضلاً عن العلاقات التجارية من خلال تبادل المنتجات بين القبائل في اسواق ومواسم معروفة [١].

وشكلت الاسرة نواة القبيلة ومن تجمع هذه الاسر التي تربط بينها اواصر الرحم وتلتقي انسابها عند الاب المشترك ، لذلك نجد اهل النسب يرجعون نسب كل قبيلة الى جد اعلى ثم يرجعون انساب اجداد القبائل الى جدود اقدم [٢].

فالقبيلة عماد الحياة في شبه الجزيرة العربية سواء كان ذلك في البادية ام في الحواضر . وهي الوحدة السياسية المهمة عند العرب ، بل انها الحكومة الوحيدة التي يفهمها العرب ، ويختلف افرادها من قبيلة الى اخرى ، فالقبيلة في حالة تغير فهي تتجزأ الى عشائر وبطون نتيجة للتوسع الذي يحصل فيها من زيادة افرادها بمرور الوقت [٣].فاذا كنا نسمع عن بني مناف فبمرور الوقت يزداد افراد بني عبد مناف فنسمع عن بني هاشم وبني عبد شمس [٤].

وظل العربي لصيقاً بقبيلته ، لانه لم يشاهد حكومة اخرى فوقها، وظل اسير تقاليد واعراف القبيلة وما عليه من واجبات ومنها الدفاع في اوقات الحرب ولايصدق دفاعهم وذياذهم الا اذا كانوا عصبة واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبيهم ، اذ نعره * كل احد على نسبه وعصبيته اهم ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة ،على ذوي ارحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم ويعد ذلك فيما حكاه القرآن الكريم عن اخوة يوسف حتى قالوا لابيه " لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذاً

---

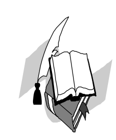
[١] ابي عبيد ، القاسم بن سلام ، النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، تقديم : سهيل زكار ، دار الفكر ، (دمشق ، ١٩٨٩) ، ص٦٤ .

[٢] جواد علي ، المفصل ، ٣١٣/٤ .

[٣] العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص١٥٤ .

[٤] واط ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب : شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة ، (بيروت ، ١٩٥٢) ، ص٤٢ .

* نعره : نعر القوم ، هاجموا واجتمعوا في الحرب . ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٦٦/٣ مادة (نعر) .



لخاسرون " [١] والمعنى انه لايتوهم العدوان على احد مع وجود العصبة [٢]. والعرب تقول " في الجريرة تشترك العشيرة " [٣].

وعلى الرغم من ان القبيلة هي الوحدة السياسية في المجتمع القبلي ، الا انها احياناً لاتحافظ على تماسكها بل قد تنقسم القبيلة الواحدة الى قبيلتين او اكثر تحوي كل منهما سلالة احد ابناء الجد الاعلى وتسمى باسمه وعلى الرغم من وحدة النسب بين القبائل المنقسمة الا ان ذلك لم يمنع من حدوث حروب متكررة بينها[٤]. ويمكن ملاحظة ذلك في مكة ، التي شهدت صراعاً بين هاشم بن عبد مناف وعبد شمس ، وكذلك بين الاوس والخزرج في يثرب [٥].والاحلاف وبني مالك في الطائف [٦].

الا ان هذا التنافس الذي شهده المجتمع الحضري هو اقل حدة مما هو عليه في البادية بسبب ظروف الاستقرار التي وفرها المجتمع الحضري ، فضلاً عن الرغبة القوية في المحافظة على المصالح العليا ، التي خلقها التطور الاقتصادي وذهب المستشرقون بعيداً حين جعلوا الاسرة لا القبيلة هي الخلية الاجتماعية [٧] .

ان القبيلة هي منبع القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك المجتمع لا الاسرة ، فالفرد يشعربولاء مطلق لا لاسرته فحسب ، بل لقبيلته في المقام الاول .

ثانياً : شيخ القبيلة

---

[١] سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٤.

[٢] ابن خلدون، محمد بن عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص١٢٨ .

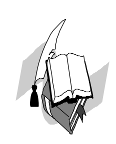
[٣] الميداني ، ابي الفضل احمد بن محمد (ت٥١٨هـ) ، مجمع الامثال ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٨٧) ، ٤٤٣/٢ .

[٤] واط ، محمد في مكة ، ص٤٢ .

[٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٣١،٤٢٩/١ .

[٦] العبيدي ، عبدالجبار منسي ، الطائف ودور ثقيف في العصر الجاهلي الاخير حتى قيام الدولة الاموية ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣ ، ص٨٤ .

[٧] جمهرة من المستشرقين باشراف توماس ارنولد ، تراث الاسلام ، تعريب : جرجيس فتح الله ، المطبعة العصرية ، (الموصل ، ١٩٥٤) ، ١/ ٣ .



تعتمد قوة القبيلة ومكانتها بين القبائل بالدرجة الاولى على قوتها ومكانة رئيسها وقوته وشجاعة ابنائها ، فحكمة الرئيس ودرايته وحنكته وشجاعته ومكانته الاجتماعية تجعله مهيباً بين رؤوساء القبائل الاخرى وتخشى من بطشه فتعقد معه الاحلاف ، وبقوته وقوة حلفائه تتسع دائرة حكمه والعكس صحيح وبهذه الطريقة تكونت قبائل في داخل الجزيرة العربية وتطورت من نظام قبيلة الى نظام دولة مثل قريش والاوس والخزرج وثقيف، هذه القبائل اتصفت بالقوة والمنعة ، وسادت القبائل الاخرى [١].

اما اختيار شيخ القبيلة فيتم عن طريق مجلس القبيلة الذي كان يتألف من الملأ وهم اشراف القبيلة واعيانها والمتنفذين، " وكان اهل الجاهلية لايسودون الا من تكاملت فيه سبع خصال السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان والغنى " [٢].

ففي مجتمع مضطرب كالمجتمع القبلي يكون للصفات التي ذكرناها اهمية كبرى ، فالحلم كان من الخصال المؤهلة للسيادة، فقد جنب الاحنف بن قيس قومه كثيراً من الحروب بحلمه ، والى جانب الحلم الغنى ، اذ ان المجتمع القبلي كثيراً ما ينظر الى الفقير نظرة ازدراء، فاوصى قيس بن عاصم بنيه الحرص على استصلاح المال لانه قيمة الكريم ، لذا وجدنا الشاعر يشترط اجتماع الثراء والجود معاً [٣] من اجل الرئاسة .

اذ المرء اثرى ثم قال لقومه　　　انا السيد المفضي اليه المعمم

ولم يعطهم خيراً ابوا ان يسودهم　　　وهان عليهم رغمه وهو اظلم [٤]

" قال رجل لسلم بن نوفل : ما ارخص السؤود فيكم ؟ فقال سلم : اما نحن فلا نسود الا من بذل لنا مالُه ، واوطأنا عرضه ، وامتهن في حاجتنا نفسه ،فقال الرجل : ان السؤود فيكم لغالٍ " [١].

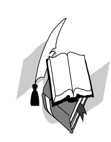
---

[١] علوان ، موسى بناى ، الشورى في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، مجلة الدارة ، العدد /٣ ، المملكة العربية السعودية لسنة ١٩٨٤ ، ص ٥١.

[٢] الالوسي ، بلوغ الارب ، ١٨٧/٢ .

[٣] الاصفهاني ، الاغاني ، ٨٢/١٤ .

[٤] الجاحظ ، ابو عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ) ، الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي، ط١ ، (مصر ، ١٩٣٨) ، ٨٣/٣ .



وكانت القبيلة ترى من حقها مشاركة سيدها في ماله ، وقال رجل من العرب " نحن لانسود الا من يوطئنا رحله ويفرشنا عرضه ويملكنا ماله " [٢].

وضمن نطاق القبيلة فان الوحدة السياسية والاجتماعية تتجلى في خضوع جميع الافراد لسيد القبيلة "فكانت قبيلة هوازن تعظم سيدها زهير بن جذيمة تعظيماً شديداً ولا ترى فيه الا ربا " [٣].

على ان السيادة لم تكن قائمة على مبدأ الوراثة وحدها فنجد عامر بن الطفيل سيد بني عامر يفخر بانه نال السيادة بلا وراثة فقال :

انـي وان كنت ابن سيد عامر   وفارسها المندوب في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة   ابى الله ان اسمو بام ولا اب

ولكنني احمى حماها واتقي   اذاها وارمي من رماها بمنكب [٤]

لكن هذا لايمنع من القول بان انتقال السيادة بطريقة الوراثة كان من المبادئ المتعارف عليها في المجتمع القبلي .

ومثلما كان لشيخ القبيلة حقوق كانت عليه واجبات ، منها الدفاع عن القبيلة وحل الخصومات التي تنشب بين افراد القبيلة ، لكن سلطته لم تكن مطلقة ،بل كانت محددة برأى الزعماء وذوي البصر من اشراف القبيلة ، وقد اشتهر الكثير من رجال العرب بسداد الرأي والحكمة منهم اكثم بن صيفي [٥] وقيس بن عاصم [٦] وعامر

---

[١] ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، عيون الاخبار ، دار الكتاب العربي . نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ،(بيروت ، ١٩٢٥) ، ٢٢٦/٣ ؛ المبرد ، ابي العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ، الكامل ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، دار النهضة ، (مصر ، بلا . ت) ، ١٢٨/١ .

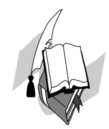
[٢] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٢٦/١ ؛ النص ،احسان ، العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٤) ، ص٧٤ .

[٣] الاصفهاني ، الاغاني ، ٨٢/١١ .

[٤] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٧٧/١ ؛ الجاحظ ، الحيوان ، ٢/ ٩٥ ؛ القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص ١١٨ ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١٢٨/٣ .

[٥] اكثم بن صيفي التميمي ، حكيم العرب في الجاهلية . ادرك الاسلام وقصد المدينة يريد الاسلام فمات في الطريق ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر : ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ٢١٠/١ .

[٦] قيس بن عاصم المنقري : احد امراء العرب وعقلائهم وهو ممن حرم على نفسه الخمر قبل الاسلام وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وفد تميم سنة ٩ هـ فاسلم . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٣٨ .



بن الظرب العدواني [١] فضلاً عن الكثير غيرهم . زيادة على شاعر القبيلة والخطيب والرجال المشهورين بالفروسية واصحاب المكانة كالكاهن والعراف والقصاص وكبار السن [٢] .

ان السيادة كانت تتمع بمنزلة رفيعة ودرجة عالية ، فهي لا تأتي الا باعتراف القوم له بسيادته عليهم ، فكانوا اذا سودوا شخصاً عصّبوه ، ولهذا كانوا يسمون السيد المطاع معصّباً ، وذكر ان العصّابة هي العمامة وكانت عمائم سادة العرب هي العمائم الحمر [٣].

وكانت العرب توقر كبير السن وتحترم اراءه فغالباً ما يتم انتخاب رئيس القبيلة لكبر السن وهي ما تعرف بالمجتمعات الابوية ، وتتمثل فيه الطراز العليا للفضيلة والمروءة ، ويحدد احد المستشرقين هذه المهمة بقوله ان انتخاب رئيس القبيلة " لاتعدو المحافظة على وحدتها " [٤].

والحال تختلف في مكة اذ لم يكن هناك انتخاب لاختيار شيوخ مكة في الملأ ، انما كانوا يختارون ، على مايظهر ، حسب غناهم وخدماتهم التي يؤدونها " وكان هؤلاء الشيوخ ينظرون في شؤون مكة الدينية والتجارية " [٥].

وشيخ القبيلة اب لكل افرادها وليس ملكاً متسلطاً عليها والى ذلك يشير معاوية بن مالك سيد بني كلاب :

نعطي العشيرة حقها وحقيقها ... فيها ونغفرذنبها ونسود
واذا تحملنا العشيرة ثقلها ... قمنا به واذا تعود نعود
واذا نوافق جرأة او نجدة ... كناسمي بها العدو نكيد

---

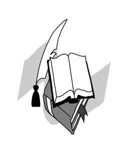
[١] عامر بن الظرب : من حكام العرب وحكمائها ومن المعمرين قبل الاسلام يقال انه عمر ثلاثمائة سنة . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص١٣٥ ؛الجاحظ ، ابي عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبين ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، ١٩٧٥) ، ١/ ٢٩٠ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٢٦٨ ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، ١/ ٦٤.٦٥ .

[٢] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٦ .

[٣] الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٨٦/٣مادة (عمم) ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٤/ ٥٥٩ .

[٤] بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص١٨ .

[٥] ضيف ، شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص١٥٠ .



بل لانقول اذا تبوأ جيرة   ان المحلة شعبها مكدود [١] .

وكان من عادة العرب حمل ملوكهم على الاعناق من مكان الى اخر اذا هو مرض اما نظراً لكبره ، واما ليعلم الناس بالامر فيدعون له بالشفاء يقول النابغة :

الم تر خير الناس اصبح نعشه   على فتية قد جاوز الحي سائرا [٢]

ومن حقوق شيخ القبيلة حقه في اطاعة اوامره ، وهناك شيوخ قبائل كان امرهم في قبائلهم كالدين المتبع لايعمل بغيره ابداً كقصي بن كلاب وكان على شيخ القبيلة ان يعين الضعفاء ، ويفتح بيته للنزلاء والاضياف ويدفع الديات عن فقراء قبيلته [٣].وكذلك جرى العرف ان تكون له بعض الحقوق من الغنائم التي تحصل عليها القبيلة من جراء الحروب والغزوات ، وقد اجملها الشاعر عبدالله بن عتبة التميمي في بسطام بن قيس الشيباني بقوله :

لك المرباع منها والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول [٤]

وبلغ من اهتمام العرب لسيد القبيلة اعتقادهم ، بان دم رئيس القبيلة يشفي من عضة الكلب يقول الشاعر :

بناة مكارم واساه جرحٍ   دماؤهم من الكلب الشفاء [٥]

وكان للعرب حكام ترجع اليها في امورها وتتحاكم في منافراتها ومواريثها ودمائها ، فيذكر اليعقوبي " لم يكن لهم دين يرجع الى شرائعه فكانوا يحكمون اهل الشرف والصدق والامانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة " [٦]

---

[١] الضبي ، ابو عبدالرحمن المفضل بن محمد بن يعلى (ت١٧٠هـ) ، المفضليات ، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٤٢) ، ص٣٥٥.٣٥٦ .

[٢] ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ،(بيروت ، ١٩٦٩) ، ص٦٩ .

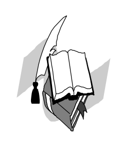
[٣] السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص٣٦٣ .

[٤] الالوسي ، بلوغ الارب ، ١/ ٢٩٣ ؛ ابو عبيدة ، معمر بن مثنى (ت٢٠٩هـ) ، نقائض جرير والفرزدق ، طبعت بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ببغداد على نسخة مطبعة ليدن ، (بريل ، ١٩٠٧) ، ٢٣٦/١ .

المرباع : ربع الغنيمة تغنمها القبيلة والصفايا ، وهو مايصطفيه لنفسه من الغنيمة مثل القسمة . النشيطة : هو ما اصيب من مال العدو قبل اللقاء .ينظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، ١/ ٢٩٣ .

[٥] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢ / ٣١٩ .

[٦] تاريخ اليعقوبي ، ١ / ٢٥٨ .



وكان من عادة اهل مكة قبل الاسلام اذا مات لهم سيد كبير اغلقوا اسواقهم اعظاماً لموته ، تعبيراً عن تقديرهم له ، ومما يذكر انه " لم يقم لموت عبدالمطلب بمكة سوق اياماً كثيرة " [١].

وكان يوم وفاة سعد بن معاذ بالمدينة (يثرب)يوماً مشهوداً وحضر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جنازته وكّبر عليه تعظيماً لشأنه وشهد دفنه[٢] .

اذن ثمة امران في كيان كل قبيلة هما العدد والبيت قال الشاعر :

لنا العزة الغلباء والعدد الذي   عليه اذا عد الحصى يتخلف [٣]

وقال الشاعر :

وجدنا اعز الناس اكثرهم حصى   واكرمهم من المكارم يعرف

وكلتاهما فينا الى حيث تلتقي   عصائب لاقى بينهن العرف [٤]

ويراد بالبيت الذي يتبوأ مركز السيادة في القبيلة لشرفها ، ربما يجتمع الامران لاسرة واحدة ،حينئذ تصبح لها السيادة المطلقة ، شأن بني هاشم وبني امية وبني مالك بن حنظلة بن زيد مناة بني تميم ، وبني ربيعة بن عامر بن صعصعة في قبيلة بني عامر [٥].

على ان مركز الثقل القبلي عرضة للتغيير من حين الى آخر " فقد تنفصل القبيلة بناء على رغبة مجموعة منها ... وكان القانون السائد هو التميز بالشرف الذي يحدده ويشحذه لغيره ، فغالباً كانت تنشب العداوة الشخصية والبغضاء والحرب القبلية فتنشأ مجموعات جديدة وتختفي المجموعات القديمة "[٦].

ثالثاً: مجلس القبيلة

---

[١] انساب الاشراف ، ٨٧/١ . ينظر : جواد علي ، المفصل ، ٤/ ٥٦٠ .

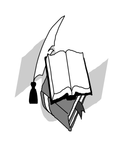
[٢] ابن سعد،الطبقات الكبرى ، ٤٣٣/٣ ؛ الثعالبي ، ابي منصور عبدالملك النيسابوري (ت٤٢٩هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تصحيح : محمد حسين ، مطبعة القاهرة، (القاهرة ، ١٩٠٨) ، ص٦٤.

[٣] نقائض جرير والفرزدق ، ٥٧١/٢ .

[٤] نقائض جرير والفرزدق ، ٥٦٨/٢

[٥] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ١/ ٢١١، ٢٨٠/٢ .

[٦] Muir : Sir Wallam , the Life of Mohammad from original Sourocs , new and rev , ed . by T.H Weir . Ednburgh . 1923 , P. 93



لكل قبيلة من القبائل مجلس هو المنتدى الذي يجتمعون فيه للتداول وابداء الاراء ، ولا وقت معلوم لانعقاده ، اذ الغالب انه ينعقد يومياً في المساء في مضيف شيخ القبيلة ، ولم تكن هذه المجالس متشابهه فمثلاً في مكة كانوا يجتمعون في دار الندوة التي انشأها قصي بن كلاب [١].

اما في يثرب فقد كان مجلس القبيلة يعقد بالسقيفة ، مثل سقيفة بني ساعدة وسقيفة الريان في منازل بني بياضة ، الامر الذي يدل على ان لكل قبيلة من قبائل الاوس والخزرج لها مثل هذه السقائف لكونها محل لاجتماع القبيلة تتخذه للتشاور في امورها الخاصة والعامة [٢] . يقول الشاعر :

وما قام منا قائم في ندينا فينطق الا بالتي هما عرف [٣]

اما في الحالات الطارئة فيعقد الاجتماع بالليل او بالنهار ، وقد ينادى منادٍ ليبلغ الجميع بالحضور وتدور في المجلس الاحاديث والمواضيع الكثيرة فيبرز الخطباء والشعراء والحكماء ، وكانت قرارات مجلس القبيلة تتخذ باغلبية الاصوات ، ولم يكن مجلس القبيلة خاضعاً لقانون مكتوب ، وانما ينظر في الامور على وفق الاعراف والتقاليد السائدة فيها التي كانت تنظم حياة الافراد ، كاقرار الامن وحفظ الحقوق وحماية مصالح الوافدين الى القبيلة والمحافظة على وحدة القبيلة والقضاء على الخلافات الداخلية وحلها حلاً سلمياً على اساس المصلحة العامة [٤]. ويبدو ان المصادر لم تذكر نوادي او مراكز للعشائر وذلك لسعة رقعة يثرب وتباعد محلات سكن اهلها واشتغالهم بالزراعة دون التجارة وعزلتهم النسبية عن العالم الخارجي [٥]

---

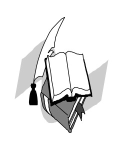
[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٢٥/١ ؛ صالح ، احمد عباس ، اليمين واليسار في الاسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص٢٥ .

[٢] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٠١/٣ ؛ ابن شبة ، ابو زيد عمر بن النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، تح : فهيم محمد شلتوت ، دار الاصفهاني ، (بلا مكان طبع ، بلا . ت) ، ٤١٩/٢ ؛ هيكل ، محمد حسين ، منزل الوحي ، ص٥٢٦ .

[٣] نقائض جرير والفرزدق ، ٢ / ٥٦٤ .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٤٤.١٤٢/١

[٥] صالح العلي ، الدولة في عهد الرسول (ص) ، ص ٧٤ .



نستطيع القول ان الشورى هي الاسلوب الامثل عند العرب قبل الاسلام في في ادارة امورهم [١]، وقد قيل لرجل من عبس : ما اكثر صوابكم ، قال نحن الف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكانا الف حازم ، وكان عامر بن الظرب احد حكماء العرب قبل الاسلام يقول : " دعوا الرأي يغب حتى يختمر ، واياكم والرأي الفطير ، يريد الاناة في الرأي والتشبث به " [٢].

وقد وردت في كثير من الابيات الشعرية اشارات الى هذه المجالس وما كان يدور فيها يقول زهير بن ابي سلمى :

وفيهم مقامات حسان وجوههم   واندية ينتابها القول والفعل [٣]

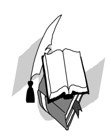
ان المتوفر لدينا من نصوص تاريخية تجعلنا امام حقيقة ثابتة من خلال التنظيمات الاجتماعية التي عرفها العرب، فالحديث عن أي امة ، وفي أي جانب من جوانب حياتها ، يحمل في طياته جوانب مشرقة ، واخرى مظلمة ، وعند حديثنا عن امتنا العربية تحديداً وفي حقبة من حقب حياتها ، نجد الكثير من المستشرقين ومن اخذ برأيهم من المؤرخين العرب على ان العرب التي عاشت الحقبة التي سبقت الاسلام كانوا في حالة من التخلف والفرقة والحروب والنزاعات حتى جاء الاسلام بثورته في كل مجالات الحياة للقضاء على هذا الواقع المتدني واصلاحه وتهذيبه . لانريد ان نغالي اذا قلنا ان العرب بلغت من الكمال مدىً بعيداً في الحقبة السابقة للاسلام ولكن نقول انها قطعت شوطاً طويلاً من الرقي والتقدم الحضاري على جميع الاصعدة فكانت حقاً من الحضارات الراقية وبصورة تدريجية فهي بذلك شأنها شأن الامم الاخرى مع الافضلية لها . وعلى الرغم من ضنك العيش والطبيعة القاسية ، تمكن العربي من تسخير كل الظروف لمصلحته وترتيب حياته على وفق سياقات هي على درجة من الرقى فمارس التشاور وحرية الرأي ان جاز لنا التعبير باروع صورها ، والا بماذا نفسر وجود القبيلة وانتخاب شيخ القبيلة والضوابط الموضوعه

---

[١] الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٩٤) ، ص٣٨٨ .

[٢] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٦٣.٦٢/١ .

[٣] ديوان زهير بن ابي سلمى ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص٦٢ .



لانتخابه ، وعلى وفق معايير محددة يأتي في مقدمتها القدرة والكفاية في قيادة القبيلة ، واضعاً مصلحة هذه القبيلة فوق كل الحسابات زيادة على ذلك تخضع هذه المجتمعات لكبار السن ، فهي تعرف بالمجتمعات الابوية والتي تتمثل فيها الطرز العليا للفضيلة والمروءة فلم تكن القيادة وراثية وانما كانت بالانتخاب وهذه الصفة اعطت للقبيلة الحرية بانتخاب افضل من يمثلها ومن ثم سيكون لشيخ القبيلة الدور البارز في المحافظة على مسيرة القبيلة سواء كانت السلمية ام الحربية ، فوضع شيخ القبيلة مصلحتها وحمايتها نصب عينيه بالمقابل فان افراد العشيرة تعامل شيخها معاملة الاكفاء والقرناء ، وكانت الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها قد سادت بين الناس على الاغلب زد على ذلك " ان للعربي ارستقراطية لاتقل عن ديمقراطيته فهو يؤمن ان فيه اجتمعت مقومات الكمال الانساني ، وان العرب افضل الامم وافخرها" [١]

رابعاً: العصبية القبلية

تعد العصبية القبلية الاساس المركزي الذي تقوم عليه عملية التضامن الاجتماعي في المجتمع القبلي وهي لاتهدف الى مراعاة الحق فحسب وانما تقوم على تضامن ابناء العصبة سواء كانوا ظالمين او مظلومين وقد جاء في لسان العرب [٢] ان العصبية " هي ان يدعو الرجل الى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناؤهم ظالمين كانوا او مظلومين ... وعصبة الرجل، هم بنوه وقرابته القبلية ".

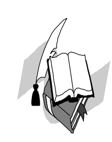
والتعصب القبلي بين افراد القبيلة لايدوم على وتيرة واحدة بين ابناء القبيلة ، وانما يتأثر بعوامل اخرى تكون المصلحة الشخصية في مقدمتها ، اذ يقف ابناء القبيلة متضامنين على الحق او الباطل ، وقد يتنافس ابناء القبيلة الواحدة ويتعصب بعضهم للبعض الاخر كما حدث بين الاوس والخزرج وبين بني امية وبني هاشم[٣].

---

[١] فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، ١/ ٣٦ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ١/ ٦٠٥ مادة (عصب) .

[٣] جمعة ، ابراهيم ، مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الاسلام ، دار الطباعة الحديثة ،ط١، (البصرة ، ١٩٦٥) ، ص٣٩.٣٨ .



ان شروط التضامن بين الفرد والجماعة تفرض على الافراد الولاء لمصلحة الجماعة بالشكل الذي يحفظ لها مكانتها وديمومتها ، وكثيراً ما تلجأ القبائل الى خلع الافراد الذين لايلتزمون باعرافها ، اما العصبية اذارابطة اجتماعية ونفسية شعورية ولا شعورية تربط افراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطاً مستمراً يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد اولئك الافراد بوصفهم افراداً او جماعة [(١)].

وقد ذهب الدكتور العلي الى ان رابطة العصبية القبلية تقوم على اساس من الاتفاق السابق بين الافراد ، فهي توجد حيث يوجد المجتمع ، لذلك فهي ذات طابع غرزي في الانسان ، وانها طبيعية لا مكتسبة [(٢)].

ويبدو ان ماذهب اليه الدكتور العلي لايتفق مع الحقائق العلمية في هذا المجال لان العصبية القبلية رابطة اجتماعية مكتسبة ، وليست غرزية ، مستمدة من طبيعة الظروف المحيطة بالافراد اوالجماعات لذلك فهي لاتدوم على وتيرة ثابتة وكثيراً ما تصاب بالضعف والنكوص اذا مازالت مقومات وجودها ، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في المدينة حيث تضعف هذه الرابطة اذا طالت اقامة البدوي فيها[(٣)]. وتختلف العصبية باختلاف درجات تقارب الانساب ، ولذلك نجد عصبيات مختلفة ، وتشمل العصبية ابناء القبيلة الاصليين ، اذ تكون شدة العصبية وقوتها تابعة لدرجة قرب الدم والنسب ، واقرب دم الى الانسان هو دم اسرته وعلى رأسها الابوان والاخوة والاخوات ثم الابعد فالابعد ، وكلما بعدت العصبية عن دم الابوين خفت حدتها وطبيعي الا تكون العصبية الى القبيلة مثل العصبية الى الاهل في الشدة ، لذلك فانها ترتبط بدرجة الدم والتحام النسب ارتباطاً طردياً [(٤)].

ان رابطة العصبية القبلية تكتسب قيمتها وقوتها من خلال شعور ابناء القبيلة الواحدة باليقظة والحذر تجاه تأثيرات العوامل الخارجية ، كالغزو أو الاعتداء او أي

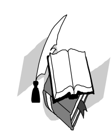
---

(١) الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ،دار الطليعة ، ط٣، (بيروت ، ١٩٨٢) ، ص٢٥٤ .

(٢) محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٥٢ .

(٣) عبدالرحمن ، هاشم يونس ، المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٨٧ ، ص١٥٠ .

(٤) جواد علي ، المفصل ، ٣٩٤/٤ ؛ فروخ ، عمر ، تاريخ العرب في صدر الاسلام والدولة الاموية ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص٤١ .



تهديد اخر ، فانه يخلق حالة من الوعي والتوحد بين افراد العصبية الواحدة اذ ينصر بعضهم بعضاً :

لايسألون اخاهم حين يندبهم　　　في النائبات على ماقال برهانا [١]

ان العصبية تميل الى القوة والالتحام الشديد في المجتمع البدوي بسبب غياب السلطة المركزية او الانظمة الدفاعية ، في حين تميل العصبية الى الضعف والتحلل في المجتمعات الحضرية بسبب وجود الدولة وانظمتها الدفاعية [٢].

وتختلف قوة هذه العصبية من مجتمع الى اخر، فنرى في مجتمع مكة مثلاً ان هذه العصبية تختلف عما عليه في البادية ، بسبب نمو النزعة الفردية بين ابناء العشيرة الواحدة نتيجة للتطور في مجتمع مكة ، فقد لا يتضامن الفرد مع عشيرته اذا كان هذا التضامن يؤثر على مصلحته الفرديه ، فابو لهب مثلاً ، خرج من دائرة عشيرته وانضم الى باقي البطون القرشية عند مقاطعة بني هاشم لدفاعهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

ولايمكن عد هذه الفردية هي الصفة الغالبة في المجتمع العربي ، فهي صفة خاصة وقد تكون شاذة ، فبالرغم من اعتزاز اهل القبيلة بفرديتهم الا انهم يرحلون ويقاتلون سوياً ، وان ارتكب احدهم جناية حملتها قبيلته أي في النعرة والقصاص[٤].

وبذلك فان روح المساواة كانت الاساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي ، فالجميع متساوون ضمن اطار القبيلة في الحقوق والواجبات [٥].

---

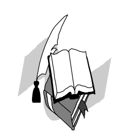
[١] المرزوقي ، ابي علي بن الحسن (ت٤٢١هـ) ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : احمد امين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ١/ ٢٩ .

[٢] ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٢٧ .

[٣] ابن اسحاق ، محمد (ت١٥١هـ) ، السير والمغازي ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بلا مكان للطبع ، ١٩٧٨) ، ص١٥٦ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٣٣٦،٣٣٥ .

[٤] القصاص : من الجراح ، اذا اقتص له منه بجرحة مثل جرحه اياه او قتله وحمل الديات وغيرها من الامور . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٧/ ٧٣ مادة (قصص)؛ابن خلدون ، العبر ، ١/ ١١٠ ؛ فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، ١ / ٢٤ ومابعدها .

[٥] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص١٨ .



لقد تركت العصبية اثراً مهماً في الحياة السياسية والاجتماعية بعد ان صارت قانوناً ملزماً في المجتمع العربي قبل الاسلام لانها كانت من الضرورات اللازمة لحياتهم قبل الاسلام ، ولانها حائل بين الفرد وبين الاعتداء عليه [١] .

وكان العرب ينتمون الى عصبيات قبلية متعادية ولم يكن بالامكان تغليب عصبية واحدة على سائر العصبيات ، ولا جمع العصبيات كلها على هدف عصبية واحدة يتفاخر بها ابناؤها وتثور النزاعات بينهم من اجلها [٢].

لذلك عدت القبيلة في حياة العربي اسرته الكبيرة التي توفر له الحماية ومن خلالها يستطيع ان يحيا حياة آمنه ، وهذا يعني قوة ومتانة العلاقات الاجتماعية السائدة بين افراد القبيلة الواحدة " ان كل حي او بطن من القبائل عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم ايضاً عصبيات اخرى لانساب خاصة هي اشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد او اهل بيت واحد او اخوة بني اب واحد لامثل بني العم الاقربين او الابعدين فهؤلاء اقعد نسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام " [٣].

اذن تمثل العصبية القبلية اخطر الظواهر الاجتماعية التي عرفتها البشرية القديمة فهي كانت قوام المجتمع القبلي ، فالعصبية ثمرة من ثمار النسب او الولاء في اطار ظروف معينة ولايشترط ان تقوم على اساس القرابة ، وانما تعد المصلحة العليا للعصبية فوق كل حساب ، ومن هنا يصبح القول بنقاء دم ابناء العصبية الواحدة مسألة غير دقيقة [٤].

ومع استهجان بعض هذه التقاليد العربية لطبيعة النزعة العصبية الشائعة في المجتمع العربي ، فان ثمة مسوغات لوجودها فيه في مدة عاشت هذه الامة حقب غير طبيعية من الحياة العربية التي لاحكم فيها ولا قانون ولا رادع من خلق او دين ، في خضم هذه الظروف في هذا المجتمع الذي تهيمن فيه سيطرة القوي على

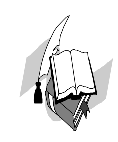
---

[١] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٤/ ٣٩٧ .

[٢] عمر فروخ ، تاريخ العرب في صدر الاسلام ، ص٨٠-٨٤ .

[٣] ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٣١ .

[٤] الجابري ، فكر ابن خلدون ، ص٢٥٩ .



الضعيف كان يلتمس بسبب كل ماتقدم أي عرف او تقليد يحميه ويحفظ حريته ، فالعصبية القبلية وحدها تشكل عاملاً مهماً لدفع الناس بعضهم عن بعض وان كانت لا تضمن في أي شكل من الاشكال تكوين مجتمع موحد المنطلقات والاهداف تنصهر فيه مصالح الفرد بمصالح المجموع .

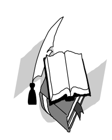
ومن خلال ماتقدم نستطيع القول ان للعصبية القبلية مظهران احدها ايجابي ، هو تنامي الشعور الانساني ، في الوقت نفسه الذي يتمثل فيها تنامي الشعور القومي لانها لاتسعى الى اقامة صلات سلمية تضم جميع وحدات المجتمع القبلي وانما تدين بعقيدة ان كل من لم يكن منا فهو عدونا [١].

اما المظهر الاخر فهو سلبي ان صح التعبير، لما كان يترتب عليه من بروز التعددية وكثرة الرؤوس والاطراف ، ومن ثم حتمية التنازع والتخاصم الدائمين ، اللذين تركا اثارها المشهودة فيهم ، ولكن العصبية بعد ذلك وليدة ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمع القبلي ، اذ لابقاء للقبيلة الا بعصبيتها ، فعن طريق العصبة تلتمس القبيلة لنفسها اسباب العيش في ذلك المجتمع [٢]. وبما ان العصبية القبلية كانت تقوم على رابطة النسب"ويعني النسب لغة القرابة من جهة الاب " [٣]. ورابطة الحلف .

وبسبب طبيعة النظام القبلي القائم على الرابطة الابوية رأينا من الطبيعي ابراز دور النسب واهميته في المجتمع العربي قبل الاسلام ، ولاسيما ان النسب شكل حضوراً مهماً في ذلك المجتمع قبل الاسلام وبعده فلا نكاد نعرف امة من الامم عنيت بانسابها عناية الامة العربية ، ولانعرف امة عاش ماضيها في حاضرها وكان له الاثر الفاعل في توجيه حياتها الاجتماعية والسياسية والادبية كالامة العربية ، بل ان عناية العرب بالانساب لم تكن وقفاً على انساب الناس وقبائلهم وانما تجاوزت ذلك على جنس الحيوان فشملت انساب الخيل وسلالاتها .

---

[١] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص١٠٦ .
[٢] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص١٠٨ .
[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ١/ ٧٥٥ .



وكان الاهتمام بالنسب في عصر ماقبل الاسلام يمثل المرآة التي تظهر فيها نقاوة دم الفرد وارتباطه بالقبيلة [١] .

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ، فان صلة الرحم محبة في الاهل ، مثراة في المال ، منسأة في الاجل مرضاة للرب " [٢].

ويقسم الالوسي الانساب على ثلاثة اقسام : فالاول قسم الوالدين وهم الاباء والامهات والاجداد والجدات ، والقسم الثاني المولدون وهم الاولاد واولاد الاولاد ، والعرب تسمي ولد الولد الصفوة ، اما القسم الثالث فهم المناسبون اذ تدعو حمية المناسبين الى النصرة على البعداء والاجانب [٣].

وعن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " تعلموا النسب ولاتكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا " [٤]

لقد ولد النسب مع ولادة القبيلة العربية وتلازم معها ومع مراحل تطورها لان وجود القبيلة كان رهناً بوجوده .وكانت الانساب درأ يدفعون به كثيراً من الاخطار عنهم ، فوجوده كان الرباط القوي الذي يوحد صفوف ابناء القبيلة الواحدة وغيرها عن باقي المجتمعات المحيطة بها ، فهي الكيان الاجتماعي والسياسي والاخلاقي الذي تعيش ضمن اطاره ، لذلك كان حرص القبيلة على نسبها واعتزازها به من اهم ميزات الحياة الاجتماعية انذاك ، فكل قبيلة ترى مكانتها العظيمة ومنزلتها الرفيعة مقرونة بعراقة نسبها وهذا ماتفاخرت به ، ويؤهلها للسيادة ، وايد ذلك شعر ما قبل الاسلام اذ كان الشعراء والخطباء صوت اعلام القبيلة الذي يوصل ذكرها الى مسامع الاخرين كما ورد على لسان المثقب العبدي حين قال مفاخراً باصله :

انا بيتي من معد في الذرى   ولي الهامة والفرع الاشم [٥]

---

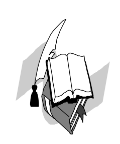
[١] صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٢٩ .

[٢] ابن حنبل ، احمد (ت ٢٤١هـ) مسند الامام احمد ، المكتب الاسلامي ودار صادر ،(بيروت، بلا . ت) ، ٢/ ٣٧٤ ؛ السمعاني ، الانساب ، ١/٥ . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٣/١ .

[٣] بلوغ الارب ، ٣/ ١٨٣. ١٨٥ .

[٤] ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٣٠ ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٣ / ٦٦.

[٥] الضبي ، المفضليات ، ص٢٩٤ .



وكذلك قول يزيد بن الحذاق معتزاً بقومه :

يابي لنا انا ذوو انف   واصولنا من محتد المجد [١]

ويرى علماء الاجتماع ظاهرة تتميز بها المجتمعات البدوية القائمة على القاعدة القبلية في جميع العصور ، لان ذلك يتطابق مع طابع حياتها ، واسلوب معاشها فهي مجتمعات تحرص على تكوين العصبية القبلية لتتمكن من تحقيق الوحدة بين افرادها وتوفير التعاون بينهم وتدرك ثاراتها ، وتقيم ايضاً على اساس النسب مسائل الارث والزواج وبذلك تعيش القبيلة عزيزة الجانب مرهوبة بين جيرانها ، سجل شعراء القبيلة عادة مفاخر تلك الانساب ، واضافوا عليها هالات من الاكبار والتمجيد ، وبذلك تكتسب المكانة العالية والقدسية ، والامة العربية كانت اشد امم الارض تعلقاً بالانساب [٢].

بل ان تلك الظاهرة رافقتها حتى في عصور تقدمها في صدر الاسلام وعصر بني امية ، وكان لها الاثر الفاعل في توجيه حياتها الاجتماعية والسياسية والادبية ، ومن هنا ظهرت طبقة من النسابين كانت في عصر ماقبل الاسلام وصدر الاسلام [٣].

وعلم النسب : القرابة ، وقيل هو في الاباء خاصة ، وقيل النسبة مصدر الانتساب ، ورجل نسيب منسوب : ذو حسبٍ ونسبٍ [٤].

وعلم النسب ، علم يتحدث عن انساب العرب منذ آدم (عليه السلام) ويفصل قبائلهم ، ويحدد فرع كل قبيلة وافخاذها ، ويوضح علاقة القربى بين القبائل كما يتحدث عن اسماء القبائل والاحلاف القبلية ، ويضع لكل قبيلة شجرة نسب تصل الى جد اعلى مشترك ، واول تدوين تم في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٥].

---

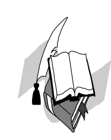
[١] الضبي ، المفضليات ، ص٢٩٦ .

[٢] احسان النص ، العصبية القبيلية ، ص١١ .

[٣] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص١٢ .

[٤] ابن منظور، لسان العرب،٧٥٦.٧٥٥/١ مادة (نسب). ينظر : ابن حزم، جمهرة انساب العرب ، ٢/١ .

[٥] جواد علي ، المفصل ، ٢٣٥/٤ .



وتأتي اهمية النسب استناداً الى الحديث النبوي الشريف السابق فان فائدته " الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنعرة " [١] .

وقد يسقط نسب بأخر بقرابة او حلف او جوار او فرار من قومه لجناية قام بها ، وبمرور الايام يختفي النسب الاول ، فهذا "سليم بن عباد كان حليفاً لابي طالب وولده اليوم يدعون في آل طالب " [٢].

وقد التصق اكثر سكان البوادي بسكان الحواضر نظراً لما في الحواضر من اغراءات العيش وصعوبته ، وتنطبق نظرية ابن خلدون على بعض اهل المدر في داخل الجزيرة العربية مثل سكان مكة والطائف ويثرب ، فيقول : " واما العرب الذين كانوا بالتلال وفي معادن الخصب للمراعي ، والعيش مثل لخم وجذام وقضاعة واياد وغسان فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم وربما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لايعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط " [٣].

وهكذا نرى ان العربي لا يلبث ان يعود الى ماكان عليه قبل الاسلام في الاعتزاز بالنسب ، نلمس ذلك من خلال حديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم انا افصح العرب بيد اني من قريش ، اما يثرب فقد احتفظت بقسط كبير من البداوة ومنها رابطة النسب بسبب ظروف الصراع بين ابناء يثرب من الاوس والخزرج [٤]، كما حافظت الطائف على عدد من القيم البدوية ومنها الثأر والدية [٥].

لقد اصبح النسب هوية الفرد العربي واهتم به وكان مصدر اعتزازه فقد كانوا يعتقدون باهمية الدم [٦]، في تقرير خلق الانسان ويؤمنون بان اعمال الاباء والاجداد تسبغ على الابناء مكانة في المجتمع [١].

---

[١] ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٩٢ .

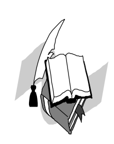
[٢] ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٣١١ .

[٣] ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٣٠ .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/ ٤٢٩ . على انني لم اقف على هذا الحديث في كتب الصحاح .

[٥] عبدالجبار العبيدي ، الطائف ودور قبيلة ثقيف ، ص٤٥ .

[٦] لم تعرف شيه الجزيرة العربية في تاريخها ان دولة اجنبية سيطرت عليهاوحكمتها او فرضت عليها نظمها وحضارتها ، وبالرغم من انها تمكنت في بعض الاطراف مد سموم غزوها ولكنها سرعان ما انتهت هذه



ان اهتمام العربي بالنسب امر طبيعي ، يتناسب مع طبيعة حياته الاجتماعية ، فكان النسب يمثل النواة التي تجتمع حولها كل قبيلة ، وحلقة الوصل القوية التي تربط بين ابناء القبيلة الواحدة ، كما يظهر من تكافل الافراد في دفع الدية وواجب الدفاع عن حمى القبيلة ووراثة من لاوارث له [٢].

يبدأ النسب بالاب في الغالب وبالام في الاقل في حالات تتغلب فيها شهرة الام على شهرة الاب ، واشار اهل الاخبار الى قبائل كانت تتنقل من قوم الى قوم ، فتنتمي اليهم : قالوا لها (النواقل)[٣] ، والتنقل دليل على ان النسب لم يكن من الصرامة والشدة على نحو مايصوره لنا النسابون المتأخرون [٤].فلم تكن تبعية الافراد للقبائل في مثل الصرامة التي استقرت في الاذهان ، ولم تكن نسبة الفرد الى قبيلته هذه النسبة الحادة التي لاتعرف التحول ، وانما يبدو انه كانت هناك حرية واسعة يستطيع معها الافراد من قبيلة ان يغادروها الى قبيلة اخرى ، فينزلوا عليها وينتموا اليهاويبنوا بنساء منها وتكون لهم هذه القبيلة مجتمعاً جديداً وتختلط بنوهم بنسبها [٥].

ونلاحظ ان النسب في القبائل البدوية اكثر منها في القبائل التي تعيش في المناطق الحضرية وتجاور الامم الاخرى وذلك لبعد القبائل المتبدية عن الاختلاط والتصاهر والانصهار ، كذلك فان شظف العيش وصعوبة البيئة وقسوة الحياة التي

المحاولات مع ملاحظة ان الاحوال الجغرافية لم تكن مشجعة للهجرة اليها ، وحتى الذين استقروا من الاجانب كان عددهم قليلاً جداً لهذا احتفظت هذه الجزيرة بنقاء الدم اكثر مما احتفظت به الامم الاخرى . ينظر : صالح احمد العلي ، التاريخ الاجتماعي للعرب نطاقه ومصادره ، مجلة افاق عربية ، العدد/٤ لسنة ١٩٧٧ ، ص٥٧ .

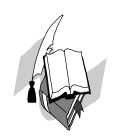
[١] ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن ، الحدائق في علم الحديث والزهديات ، تحقيق : مصطفى السبكي ، دار الكتب العلمية، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٨) ، ٣٥٦.٣٥٣/٢ .

[٢] المشهداني ، محمد جاسم حمادي ، الانساب العربية ودورها في تدوين تاريخ الامة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ص٢٣ .

[٣] النواقل : الغريب في القوم ان رافقهم او جاورهم . ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٧٥/١١ . ٦٧٦ مادة (نقل) ، فيما يشير الزبيدي ان النواقل ، من انتقل من قبيلة الى قبيلة اخري فانتمي اليها . تاج العروس ، ٨ /١٤٣ مادة (نقل) .

[٤] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ، ٣٥٧/٤ .

[٥] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٧٢ .



يعانيها اهل البادية لاتشجع الناس على الهجرة اليهم او الاختلاط بهم والاستقرار معهم ، ولهذا تبقى انسابهم محفوظة بعيدة عن فطنة اختلاطها بغيرها ، وتنطبق نظرية ابن خلدون هذه على بعض اهل المدر في داخل الجزيرة العربية مثل سكان مكة ويثرب والطائف ، اذ لايوجد الخصب الكافي لمهاجرة الاخرين اليها :" ان البدو اصل الحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بناحيه ذلك المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة وانها اصل لها " [١].يعتقد الباحث ان رأي ابن خلدون فيه كثير من الصحة ومطابق للروايات التاريخية لان التاريخ لم يبرر لنا تبدي القبائل في الظروف الطبيعية ، وانما يروي لنا انتقالها من البداوة الى الحضارة ويؤكد الواقع الاجتماعي هجرة البدو الى العواصم والحواضر لا العكس .

المبحث الثاني

مظاهر العصبية القبلية

يعد التضامن الاجتماعي ابرز مظاهر العصبية بين ابناء القبيلة الواحدة ، واهم صور هذا التضامن الثأر والدية والمفاخرات .

اولاً : الثأر

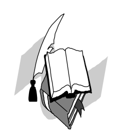
ومن ابرز مظاهر العصبية القبلية الثأر ، وهو القانون الذي ينظم الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع القبلي بوصفه الطريقة البسيطة التي تجعل القبائل المتعددة في مستوى واحد من القوة [٢]. كالذي صنعته قريش حين اجمعت على . قتل الرسول . صلى الله عليه وآله وسلم [٣]

---

[١] ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٢٢ .

[٢] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص ١١٩ ؛ مونتغمري واط ، محمد في مكة ، ص٤٣ .

[٣] ينظر : البلاذري ، انساب ، ١ / ٢٥٩ .



والثأر عادة تأصلت في طباع العربي واصبحت جزء من كيانه اذا اراد ان يعيش بين افراد قبيلته ، لان الاخذ به دليل على الشجاعة والقوة والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة ، وباعث على الاستهانة بالفرد والقبيلة [١]

وقد جعلها المستشرق نيكلسون المثل الاعلى الاخلاقي عند العرب بقوله " شجاعة في القتال وصبر على الشدائد وتمسك بالثأر وحماية للضعفاء وتحد للاقوياء " [٢].

يقول الاخطل في هذا المعنى :

لايثأرون بقتلاهم إذا قُتلوا   ولايكرون يوماً عند احجار [٣]

لقد كلف العرب بالثأر كثيراً وبلغ من كلفهم به ان الضغينة كانت تتملك على عقولهم ، فلا يفكرون الا بالانتقام ، لذلك كانوا يتجافون النساء والخمر والطيب لانهم كانوا يرون فيها ضرباً من التنعم والبهجة ، ومن ثم قد تشغل عن الجد في طلب الثأر ، قال المهلهل في مناجاة اخيه كليب :

خذ العهد الاكيد على عمري   بتركي كل ماحوت الديار

وهجري الغانيات وشرب الكأس   ولبسي جبة لاتستعار

ولست بخالع درعي وسيفي   الى ان يخلع الليل النهار

والا ان تبيد سراة بكر   فلا يبقى لها ابداً اثار [٤]

وبهذا الشأن يقول الربيع بن زياد بصدد قتل مالك بن زهير العبسي :

افبعد مقتل مالك بن زهير   ترجو النساء عواقب الاطهار [٥]

وروى ان امرؤ لقيس حلف الا يغسل رأسه ولايشرب خمراً حتى يدرك ثأر ابيه ، فلما ادرك بعض مايشفيه قال :

---

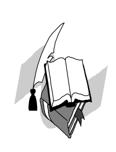
[١] القيسي ، نوري حمودي ، الفروسية في الشعر العربي ، (بغداد ، ١٩٦٤) ، ص١١٢ .

[٢] مونتغمري واط ، محمد في مكة ، ص٤٧ .

[٣] الطائي ، ابو تمام حبيب بن اوس (ت٢٣١هـ) نقائض جرير والاخطل ، تعليق : الاب انطوان الصالحاني اليسوعي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٢٢) ، ص١٣٥ .

[٤] شعراء النصرانية قبل الاسلام ، جمع وتحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة المشرق ، (بيروت ، بلا . ت) ، ١٦٤/١ .

[٥] ديوان الحماسة ، التبريزي ، ٤١٢/١ .



حلت لي الخمر وكنت امراً عن شربها في شغل شاغل

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل [1]

وقال الشاعر تأبط شراً

حلت الخمر وكانت حراماً وبلأي ما المت تحل

فاسقينها ياسواد بن عمرو ان جسمي بعد خالي لخل [2]

ويظهر ان الخمر كانت اهم مايصدرون عنه ، ولذا اكثروا من التحدث بتركها حتى يثأروا واذا لم يدرك الرجل ثأره من غريمه فانه يوصي بذلك الى ابنائه عندما تحضره الوفاة ليقوموا بذلك نيابة عنه [3]. وغالباً مايلتزم ذوو القتيل وهم اقرب الناس اليه بالاخذ بالثأر ، والعرب تقول " اهل القتيل يلونه " [4].

وهذا دريد بن الصمة، كانت امه قد حضته على طلب الثأر لاخيه عبدالله يقول :

وشيب رأسي قبل حين مشيبه بكاؤك عبدالله والقلب طائر

اذا انا حاذرت المنية بعده فلا وألت نفس عليها احاذر [5]

واذا عجز هؤلاء من الثأر فان القبيلة تجد نفسها ملزمة ومتضامنه في الاخذ بالثأر ، ان الاخذبالثار كان امراً مفروضاً على القبيلة مهما كلف ذلك من جهد ومال ، ولكن تسليم القاتل يعد عاراً على قبيلته ، وان قبول الدية من قبيلة القاتل يعد عاراً لقبيلة القتيل ، التي تسعى الى الظفر بالقاتل ، فاذا امتنعت قبيلة القاتل ان تسلمه الى قبيلة القتيل فانها تدخل في حرب بينها وبين قبيلة القتيل وقد تمتد سنيناً

---

[1] شرح ديوان امرئ القيس ، تأليف حسن السندوبي ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، بلا . ت) ، ص ١٥٢ . ينظر : ابن قتيبة ، ابي محمد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، الشعر والشعراء ، قدم له : حسن تميم ، مراجعة : الشيخ محمد عبدالمنعم عريان ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، ١٩٨٦) ، ص٥٩ .

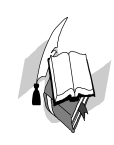
[2] ديوان تأبط شراً واخباره ، جمع وتحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الاسلامي ، (بلا مكان طبع ، ١٩٨٤) ، ص٢٥٠.

[3] ابن حبيب، المنمق ، ص٢٢٤-٢٢٦ . ويبدو ان دواوين الشعراء قد حفلت بالكثير من الابيات الشعرية بما يتعلق بالخمر . ينظر زيادة على ماتقدم ديوان قيس بن الخطيم ،(من يثرب من الاوس)، ص ٩١ ، اذ قال :

ومنا الذي آلى ثلاثين ليلة عن الخمر حتى زاركم بالكتائب

[4] الميداني ، مجمع الامثال ، ٦٥/١ .

[5] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٥٠٨ .



وقد يتدخل وسطاء الخير من قبائل اخرى،وقد تقبل الديات ، وكانت دية النفس عند عامة القبائل مائة من الابل،ولكن دية الملوك والاشراف تصل الى الف بعير [١].

ويعيش اهل القتيل شعوراً مضطرباً حتى يدركوا ثأرهم ، فكانوا يؤاخذون انفسهم بطقوس بدوية منها جز الشعور وشق الجيوب وخمش الوجوه وخروج الابكار وذوات الخدر، وفي ذلك يقول المهلهل :

كنا نغار على العواتق ان ترى   بالامس خارجة من الاوطان

فخرجن حين ثوى كليب حسراً   مستيقنات بعده بهوان

يخمشن من ادم الوجوه حواسراً   من بعده ويعدن بالازمان [٢]

وتعبر الخنساء مفتخرة بقومها :

جززنا نواصي فرسانها   وكانوا يظنون ان لاتجزا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب   بان لايصاب فقد ظن عجزا [٣]

وكثيراً ماتكون هذه الثارات مثاراً لاذكاء نار الحروب بين القبائل والتي اصطلح عليها بايلم العرب ، ولكن نجد ان عدداً من العرب لايرضون بالدية ويرونها ذلاً مابعده ذل ، فالدم عندهم لايغسله الا الدم لذلك يقولون " لاينام من أثار " [٤].

واحياناً قد يكون الثأر من الاقارب ، ويصور لنا الشعر العربي بانه عاطفة راحته بالانتقام مشوبة بعاطفة الاسى والندم لانه ثأر من قريبه وينشد بذلك زيادة الحارثي :

اذكر بالبقيا على من اصابني   وبقيأي اني جاهد غير مؤتلي

فإن لم انل ثأري من اليوم اوغد   بني عمنا فالدهر ذو متطول

فلا يدعني قومي ليوم كريهة   لئن لم اعجل ضربة او اعجل

يقول رجال ما اصيب لهم اب   ولا من اخٍ اقبل على المال تعقل

كريم اصابته ذئاب كثيرة   فلم يدر حتى جئن من كل مدخل [١]

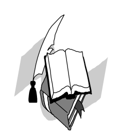
---

(١) الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢٤/٣. ٢٥ ؛ السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ص٣٧٣ .

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ٣١٦/١ ؛ السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ص٣٧٤ .

(٣) ديوان الخنساء ، شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٣) ، ص٨٢ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ١٨/٣ .

(٤) الميداني ، مجمع الامثال ، ١٧٧/٣ .



وقد اقترنت فكرة الثأر باوهام هي الى الايمان الديني اقرب منها الى أي شيء اخر ، لذلك امنوا ان طائراً يخرج من هامه القتيل يسمى (الهامة) يصيح دائماً ويقول : اسقوني اسقوني ولا يكف عن الصياح حتى يقتل القاتل [٢].

فالثأر في نظر العربي يعد سلماً للشرف فافتخروا به ، وامتنع بعضهم عن البكاء على القتيل حتى يؤخذ بثأره ، وان كان للثأر بعض النفع في تلك البيئة وفي تلك الظروف، فلأنه يكبح من سلوك بعض الحمقى الذين تسيرهم شهوات القتل ، فهو خروج عن العرف الاجتماعي وقانون يحترم ، فالتفكير بالثأر يحد من غريزة الرجل ويجعله يتأمل في حدود الامور وعواقبها اكثر ، فهو وازع داخلي له .

وتنطلق اهمية الثأر في المجتمع القبلي من غياب السلطة المركزية وعدم وجود قانون ينظم العلاقات الاجتماعية بين الافراد ويمنع حدوث التصرف غير المسؤول ، ومن هنا اصبح الفرد يمتلك الحق في الاقتباس لنفسه منطلقاً في ذلك من مبدأ (القتل اتقى للقتل) [٣]. ولم يفرقوا بين القتل خطأ والقتل عمداً ، فكانوا يعالجون القتل بالقتل حتى صار الاخذ بالثأر عقيدة ثابتة الغرض منها حماية القبيلة ، فالقبيلة اذا لم تأخذ بثأرها تسقط بين القبائل [٤].

والاخذ بالثأر من القاتل اولى مستلزمات العقاب ، واذا ماتعذر الوصول الى عقاب القاتل ، فان الثار يطول أي فرد من افراد القبيلة والقاتل تساوي مكانة القتيل [٥]. وبسبب الدماء والثارات تأصلت الاحقاد بين كثير من القبائل العربية يتوارثها الابناء عن الاباء جيلاً بعد جيل .

جنى العداوة اباء لنا سلفت فلن تبيد وللاباء ابناء [٦]

---

[١] الطائي، ابو تمام حبيب بن اوس ، ديوان الحماسة، شرح: العلامة التبريزي، دار القلم ، (بيروت، بلا.ت) ، ٨٤/١ .

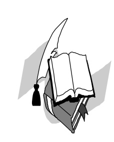
[٢] الاصفهاني ، الاغاني ،٢٦٣/١٣ ، ٣٦٢/١٧ ،٥٠/٢١ . وللتفصيل عن الهامة ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ،١٣٣/٢ ؛ ابو علي القالي ، الامالي ، ١٢٩/١ .

[٣] الميداني ، مجمع الامثال ، ١٤٤/١ .

[٤] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣٤ .

[٥] الاصفهاني ، الاغاني ، ١١/١٠. ١٢ .

[٦] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص١٢٠ .



يتضح مما تقدم ان الثأر هو قانون القصاص في المجتمع القبلي لكنه كان يحمل اثاراً سلبية ونتائج خطيرة ليس على الصعيد الاجتماعي فقط ، بل على الصعيد السياسي ، اذ كثيراً ما كان يؤدي الى اذكاء روح العداء والضغينة في نفوس الافراد من خلال زرع الحقد والكراهية في نفوس هؤلاء الافراد ، اذ غالباً ما يؤدي الى وقوع الضحايا من الابرياء فضلاً عن اشعال نيران عدد من الحروب التي من نتائجها شيوع مظاهر الفوضى [١].

ان هذا الاسراف في القتل وقتل الابرياء صوّره القرآن الكريم ادق تصوير بقوله تعالى "ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصورا " [٢].

" وذلك ان اهل ماقبل الاسلام كانوا يفعلون ذلكاذا قتل رجلاً رجلاً عمداً ولي القتيل الى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله عز وجل عن ذلك عباده وقال لرسوله قتل غير القاتل معصية وسرف فلا تقتل به غير قاتله وان قتلت القاتل فلا تمثل به " [٣]

ثانياً : الدية

على الرغم من ان الثأر كان القانون الوحيد للاقتصاص من الجاني في الجزيرة العربية لعدم وجود سلطة مركزية فان بعضاً من عقلاء القوم كان يدرك خطورة الضرر الذي يلحق بالافراد او الجماعات من جراء التطرف في استخدامه ، لذلك كانوا يدعون الى قبول الدية للتخفيف من نتائج هذا التطرف فقد مدح زهير أبن ابي سلمى كلاً من هرم بن سنان والحارث بن عوف لموقفهما الانساني من الحرب التي كانت دائرة بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القوم بقوله :

يميناً لنعم السيدان وجدتما   على كل حالٍ من سحيل ومبرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم [٤]

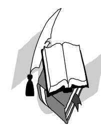
---

[١] ينظر : ايام العرب في الجاهلية .

[٢] سورة الاسراء ١٧ ، الآية ٣٣ .

[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، ١٥/٥٩ .

[٤] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ص٧٩ .



لقد كان ابناء القبيلة الواحدة يتضامنون جميعاً في دفع الدية لعائلة المقتول[١] ،وكانت تختلف باختلاف مكانة القتيل اذ لايمكن ان يتساوى الشريف مع الوضيع[٢].

واذا لم يتوفر دفع الدية دفعة واحدة فتجزء على شكل دفعات في كل عام مقدار معين ، والعرب كما اسلفنا تفتخر عمن يقوم بمهمة حقن الدماء ودفع ديات القتلى من امواله الخاصة [٣] .

وكان الحليف يدفع الدية عن حليفه ، وقد ورد في احد التحالفات في مكة " تعقل عني واعقل عنك " [٤] أي تدفع عني الدية وادفعها عنك .

وقد تصل دية السادة الى الخمسمائة والى الالف ، والسادة هنا رؤساء القوم واشرافهم ، والسيد الذي فاق غيره بالعقل والمال ، وتذكر الروايات ان الدية عند اهل مكة عشرة من الابل ثم جعلها عبدالمطلب بن هاشم مئة من الابل [٥]، وكانت دية المولى في يثرب خمساً من الابل ودية الصريح عشراً [٦].

فعلى هذه النظرية الطبيعية في ذلك المجتمع قيّموا اثمان الديات ، وكانت هذه الديات مقسمة حسب منزلة الفرد في القبيلة ، اذ طبقات السادة قيموا . أي سادة القوم . وحسب المنزلة ، حتى تصل الى ديات المغمورين فتكون اقلها ثمناً وقد بلغت خمساً من الابل ، وهذا بدوره يفسر لنا التمايز الموجود والمذكور سابقاً ، والذي لم يشمل الديات فقط بل شمل جميع مجالات الحياة الاجتماعية الاخرى كالزواج ، " لهذا حرص الاسير الشريف الذي لايعرفه اسره على اخفاء شخصيته على التظاهر بالاملاق وبانه من المغمورين ليجنب نفسه دفع دية عالية قد يفرضها اسره عليه فتوجعه وتؤلمه " [٧].

---

[١] احمد الشريف ، مكة والمدينة، ص٥٦ .

[٢] المرزوقي ، ابو علي الاصفهاني (ت٤٥٣هـ) ، الازمنة والامكنة ، مجلس دائرة المعارف في الهند ، (حيدر اباد ، ١٩١٣) ، ١١٦/٢ .

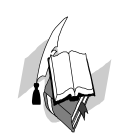
[٣] ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٣١ـ٢٣٢ ؛ ايام العرب في الجاهلية ، ص٣٢٤ . والعرب تسمي الدية التي يحملها قوم عن قوم (الحمالة) . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ١٨٤/١٣ هامش (١) .

[٤] الطبري ، تفسيره ، ٢٧٦.٢٧٥/٨ .

[٥] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٧/٢ .

[٦] الاصفهاني ، الاغاني، ٤٠/٣ .

[٧] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٤٣/٤ .



وكان لعملية جمع الديات في مكة وظيفة خاصة تسمى (الاشناق) [١] وبما ان النظام القبلي هو السائد في يثرب ، وكانوا يسكنون في منطقة واحدة تقع فيها مزارعهم ، فكانوا يشتركون في العاقلة وهي الدية عن القتل الخطأ ، ويتعاونون في الشدائد [٢].

لقد اتسمت العادات الثأرية عندهم بالعنف ، فالدم لايغسله الا الدم فاصبح الشرف معلقاً بالثأر ، الا اذا قبل اهله الدية [٣] .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، فثمة احوال اخرى كانت تؤدي فيها الدية كالجرح والشج وبتر الاصبع ، والحق مهما ضؤل شأنه لايتخلى عنه اصحابه ، وسمي يعمر بالشداخ لانه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة ، وقال قد شدخت هذه الدماء تحت اقدامي فسمي الشداخ [٤].

وعموماً فان الدية تعد مظهراً ايجابياً من مظاهر حل المنازعات بالطرق السلمية ، فضلاً عن كونها تعبر عن روح التضامن باروع صور التضامن الاجتماعي بين ابناء القبيلة الواحدة ، وكذلك عن الاسرة الواحدة .

ثالثاً : المفاخرات

وللمفاخرات اثر كبير في العصبية القبلية اذ كانوا لايتركون مناسبة تمر عليهم الا وكان للمفاخرة بانساب وامجاد القبيلة ، محفل بذلك ، وكانت مواسم الحج والاسواق التجارية تمثل فرصة يستثمرها الشعراء والخطباء للتباهي بمناقب القبائل وتاريخها العريق [٥].

---

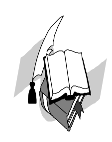
[١] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢٩٤/١ . والاشناق : مابين الفريضتين من الابل والغنم فما زاد على العشرة لايأخذ منه شيء حتى تتم الفريضة الثانية ، والشناق : مادون الدية وذلك ان يسوق ذو الحمالة مائة من الابل وهي الدية الكاملة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٨٨/١٠. ١٨٩ ومابعدها مادة (شنق) .

[٢] صالح احمد العلي ، الدولة في عهد الرسول (ص) ، ص٢٢ .

[٣] فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، ٣٣/١ .

[٤] الشداخ : هو عروة بن اذينة ، واذينة لقبه ، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبدالله بن يعمر ، شاعر غزل من شعراء اهل المدينة (يثرب) وهو معدود من الفقهاء والمحدثين . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٣٢٢/١٨ .

[٥] الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد ، اثر الاسواق في وحدة الثقافة العربية ، بحث منشور في مجلة بيت الحكمة ، العدد / ٥ السنة الاولى ، ١٩٨٨ ، ص٩١ .



فهي تقوم على اساس الفخر بامجاد القبيلة ومحامدها وعراقة نسبها وشجاعة ابنائها ، وقد حملت دواوين الشعراء قبل الاسلام الكثير من الابيات الشعرية التي تفاخر بقبائل هؤلاء الشعراء ، فيصف حسان بن ثابت قبيلته قائلاً :

اولئك قومي خير قوم باسرهم   وليس على معروفهم ابداً قفل

يربون بالمعروف معروف من مضى   فما عد من خير فقومي له اهل

اذا حاربوا او سالموا لم يشبهوا   فحربهم خوف وسلمهم سهل [١]

ويقول حسان ايضاً :

اما سألت فانا معشر نجب   الازد نسبتنا والماء غسان

شم الانوف لهم مجد ومكرمة   كانت لهم كجبال الطود اركان [٢]

وكانت الحروب وسيلة اخرى من وسائل التفاخر ، فقد كان الشعراء يفخرون بشجاعة ابناء قبائلهم وذكر مآثرهم ورثاء قتلاهم [٣].وكان للعرب في ايامهم قبل الاسلام من الانفة والتفاخر بالاحساب والانساب للمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسؤدوهم [٤]. فضلاً عن اعتزاز القبيلة باصلها ونسبها وفخرها بامجادها ومآثرها وايمانها بتفوقها الجنسي وفضلها على القبائل الاخرى " فالعصبية والفخر تؤامان لايفترقان ايا كان لون العصبية " [٥].ومارس المجتمع المكي ظاهرة التفاخر بالاباء والاجداد وبالخصال الخلقية وتفاخروا بالكثرة العددية وبالثروة والاموال،بل تفاخروا بالاموات في مقابرهم [٦]، قال تعالى " الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر " [٧].

---

[١] ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص١٩١، ١٦٤، ١٨٣،٢٠٢ .وينظر مثلاً : ديوان الخنساء ،ص٢٤،٥٦ .

[٢] ديوان حسان بن ثابت ، ص٢٥١.

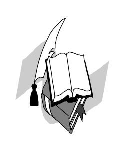
[٣] نالينو ، كارلو ، تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية ، تقديم : طه حسين ، ط١ ، (مصر ، ١٩٧٠) ، ص١٠٦ .

[٤] كحالة ، عمر رضا ، العرب قبل الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، (سوريا ، ١٩٥٨) ، ٨٠/١ .

[٥] احسان النص ، العصبية القبيلة ، ص١٥٧ .

[٦] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥٨٩/٤ .

[٧] سورة التكاثر ١٠٢، الآية ١،٢.



من هنا نرى المعنى الظاهري للاية اذ انهم يذهبون الى قبر فلان ويتفاخرون على الاخرين ، وانهم انشغلوا بهذا التكاثر في المال والبنين وما الى ذلك من مفاخرتهم وعملوا من اجله طوال حياتهم حتى انتهوا الى المقابر [١].

ونجد تدرجاً في مراتب المفاخرة يماشي درجات العصبية ، فثمة مفاخرات بين بطون القبيلة الواحدة ، ولكن هذه البطون كلها تشترك في مفاخرة القبائل الاخرى باصلها المشترك ، أي ان هذه المفاخرات تبدأ بنطاق ضيق ثم تأخذ بالاتساع ، فالقبائل العربية قبل الاسلام لايكاد يضمها مجلس او سوق ، حتى تنزع الى المفاخرة والتباهي بذكر المآثر، وغالباً ما كانت تنتهي هذه المفاخرات الى حروب قبلية ، وقد روى ابو الفرج الاصفهاني :"ان قريشاً كانت تخرج في الجاهلية . قبل الاسلام . الى مكان من شعاب مكة فتتفاخر وتتشائم ولايفترق القوم الا عن قتال " [٢] ، واكثر المفاخرات كانت تجري في الاسواق والمواسم وفي مجالس الملوك وتدور هذه المفاخرات على ألسنة شعراء القبيلة وسادتها فهم الالسنة الناطقة للقبيلة ، يقول طرفه بن العبد مفتخراً بقومه :

انـي من القوم الذين اذا ... ازم الشتاء ودوخلت حجره

رفعوا النيح وكان رزقهم ... في المنقيات يقيمه يسره

تلقى الجفان بكل صادقةٍ ... ثمت تردد بينهم حيره

وترى الجفان لدى مجالسنا ... متحيرات بينهم سؤره [٣]

وينشد عبيد بن الابرص مفتخراً بقومه :

ياايها السائل عن مجدنا ... انك عن مسعاتنا جاهل

ان كنت لم تاتك ايامنا ... فاسأل تنبا ايها السائل

قومي بنو دودان اهل النهى ... يوماً اذا القحت الحائل

كم فيهم من سيدٍ ايدٍ ... ذي نفحات قائل فاعلُ [٤]

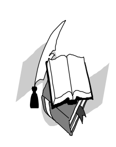
---

[١] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر وجلال الدين محمد بن احمد المحلى ، تفسير الجلالين ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص٨٠٩ .

[٢] الاغاني ، ١٤٧/٩ .

[٣] شرح ديوان طرفه بن العبد ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦١) ، ص٦١ .

[٤] شرح ديوان عبيد بن الابرص،تقديم:كرم البستاني،دار صادر،(بيروت ، بلا . ت)، ص ١٢٤ . ١٢٥ .



ومن صور المفاخرات قبل الاسلام ، المفاخرات التي تشهدها النساء، فقد فاخرت سلمى بن عميص الكنانية الخنساء بقولها:

وكائن ثوى يوم الغميضاء من فتًى　　كريم ولم يجرح وقد كان جارحاً

ولولا مقال القوم للقوم اسلموا　　للاقت سليم بعد ذلك ناطحا

فاجابتها الخنساء

ذري عنك اقوال الضلال كفى بنا　　لكبش الوغى في اليوم والامس ناطحا

نعوا مالكاً بالتاج لما هبطنه　　عوابس في هابي الغبار كوالحا

فان تك قد ابكتك سلمى بمالك　　تركنا عليه نائحات ونائحا [١]

ومن المفاخرات ماكان يشهدها حكام ، كانوا ينظرون في ختامها احد الفريقين ، ومن حكام المفاخرات المشهورين قبل الاسلام اكثم بن صيفي والاقرع بن حابس وهرم بن قطبة وضمرة بن ضمرة ونفيل بن عبدالعزى [٢].

وكانت القبائل العربية اذا شهدت المواسم والاسواق حرصت على اصطحاب شعرائها وخطبائها وسرعان ماكانت حلقات المفاخرة تنعقد بين شعراء القبائل كل يشيد بمآثر قومه ويعدد مكارمهم وينتقص من شأن القبائل الاخرى ، وتقام للشعراء والخطباء منابر بعكاظ يتناشدون عليها اشعارهم ويتفاخرون [٣].

لقد كان لشدة ارتباط الشاعر بقبيلته وتعصبه لها وطغيان الشعور القبلي على الشعور الفردي فيه ، قد عادت على القبيلة بالخير والنفع ، لكن في الجانب الآخر كان لهذا الارتباط له محاذير فكثيراً ماكان التهاجي بين الشعراء يوقع المعارك بين القبيلتين ، لذلك كانت قريش تنكر على الشعراء ان يهجو بعضهم بعضاً وتعاقبهم على ذلك ، وقد همت بقطع لسان ابن الزبعري لهجائه بني قصي [٤] ، وفاخر بنو عامر بن صعصعة بيوم شعب جبلة الذي هزموا فيه قبائل تميم وذبيان واسد المتحالفة عليهم .

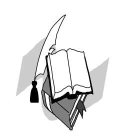
---

[١] شرح ديوان الخنساء ، ص٢٤. ٢٥ .

[٢] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣٩٠/١ .

[٣] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص١٦١ .

[٤] ابن سلام الجمحي ، ابو عبدالله بن سلام (ت٢٣٢هـ) ، طبقات الشعراء الجاهلين والاسلامين ، طبعت على نسخة قديمة وقوبلت على نسخة طبع اوربا ، ص١٩٧ .



ولم نجد من هؤلاء الشعراء من اقدم على مدح اعداء قومه ، او ظاهر ممدوحيه على قبيلته ، بل نجدهم جميعاً يسعون في خير عشيرتهم ، فهذا الشاعر الاعشى على الرغم من تطوافه الطويل في البلدان واختلافه الى الملوك لم يكن ينسى قومه ولايخفي اشتياقه اليهم بقوله :

انني منهم وانهم قو   مي واني اليهم مشتاق [١]

ونجد شاعر اخر لم يجد خيراً في هجو قومه احياناً وفي عرض شعره على الثناء والمديح من اشراف القبائل كونه مترافع النسب مغموز الاصل لهذا ضعفت فيه النزعة العصبية ، لاسيما انه لم يلق من قومه الا الاحتقار والازدراء لكونه هجيناً غير صريح النسب [٢].

ومثلما كانت للعصبية القبلية تأثيرها على عامة ابناء القبلية ، كان تأثيرها اكثر على الشعراء لفرط العرب وحاجتهم الى الشعر الذي " يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ، ويهول على عدّوهم ومن غزاهم ، ويهب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم و يهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم " [٣].

وهذا يتضح بجلاء حين نستقري اغراض الشعر قبل الاسلام ، فالشاعر اوقف جل شعره على الفخر بقبيلته والاعتزاز بها ، وهجاء اعدائها وتحدي خصومها والحض على طلب الثأر وشن الغارة على القبائل المعادية لقومه ، ووصف الايام التي شهدها قومه والوقائع التي خاضوها ورثاء من سقط صريعاً من قومه في هذه الغارات ، لكنها عموماً مستوحاة من العصبية القبلية [٤]، من هنا عرفت القبائل لشعرائها منزلتهم فهو لسان القبيلة الناطق بمحامدها ، والذائذ عن حماها ، فكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر " اتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلقين بالمزاهر ، كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان ، لانه حماية

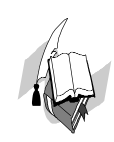
---

[١] شرح ديوان الاعشى ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص١٢٨ .

[٢] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص ١٦٩ .

[٣] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٢٤١/١ .

[٤] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص١٦٩ .



لاعراضهم ، وذبّ عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لايهنئون الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ بينهم او فرس تنتج " [١].

ولعناية العرب بالشعر واستخدامه وسيلة للمفاخرة والمنافرة وابراز المأثر والسجايا فقد ظهر من بين اهل يثرب (المدينة) عدد من الشعراء البارزين كان من اشهرهم حسان بن ثابت ، الذي غدا من غير منازع شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لانه دافع عن الاسلام بشعره ، وبرز من شعراء يثرب عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك [٢].

ويذكر ابن سلام ان يثرب قد تفوقت في مجال الشعر على كل من مكة والطائف ، وتفوق اهل المدينة (يثرب) على غيرهم من مناطق الجزيرة بكثرة الوقائع والحروب التي وقعت بين احياء الاوس والخزرج وذلك لان الحروب تحرك قريحة الشعراء لقول الشعر [٣]، ويواصل ابن سلام حديثه " والذي قلل من شعر قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا " [٤] والحال نفسه في الطائف.

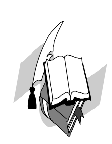
---

[١] ابن رشيق ، العمدة ، ١/ ٦٥ .

[٢] الخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية ، ص٢٣٢،٢٢٢ .

[٣] طبقات الشعراء ، ص١٠٢ .

[٤] طبقات الشعراء ، ص١٠٢ .



المبحث الثالث

التشكيل الاجتماعي للقبيلة

لايختلف اثنان في تكوين مجتمع الحجاز الذي تشكلت اغلب بنيته الاجتماعية من العرب كما هو شأن بقية اجزاء الجزيرة العربية والتي ظلت عربية خالصة لم يدخلها غاصب . وقبل التطرق الى عناصر المجتمع العربي لابد من القاء الضوء على اراء بعض علماء الاجتماع بخصوص المجتمع وتكوينه .

فقد ذهب مرسر (Mercer) الى ان المجتمع الانساني مجموعة من الناس مترابطة وظيفياً تعيش في منطقة جغرافية معينة وتشترك في ثقافة مشتركة وتنتظم في بناء اجتماعي [١].

اما هوب هوس فقد عرف المجتمع بانه مجموعة من الافراد تقطن بقعة جغرافية محدودة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والاحكام الاجتماعية والاهداف المشتركة المتبادلة التي اساسها الدين والتاريخ [٢].

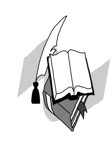
وعلى اساس هذا التحديد للمجتمع وللمجتمع المحلي ، يمكن القول ان القبيلة بالنسبة للمجتمع العربي قبل الاسلام تمثل مجتمعاً محلياً بما تنطوي عليه من مكونات [٣].

---

[١] د. كشك ، محمد بهجت ، المدخل الى تنظيم المجتمع ، الاسكندرية ، (مصر ، د. ت) ، ص٩ .

[٢] الجوهري ، عبدالهادي ، قاموس علم الاجتماع ، مكتبة نهضة الشرق ، (القاهرة ، ١٩٨٣) ، ص١٩٢-١٩٣ .

[٣] دنيكن متشيل ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة : احسان محمد الحسن ، دار الرشيد ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص٢٢٦. ٢٢٧ .



ومما سبق يتضح ان العلاقات الاجتماعية تمثل الرابطة بين فردين فاكثر وهي علاقة مستمرة يقر العرف بوجودها ويصورها بصورة اشياء مختلفة مثل العادات والتقاليد السائدة فالافراد لايستطيعون المعيشة منعزلين الواحد عن الاخر والعلاقات انما تنتج بناءً على اساس تصرف الافراد ازاء بعضهم البعض [١].

ولما كانت الحياة الاجتماعية كلها ليست في الواقع الا نتيجة حتمية للعلاقات التي تربط بين الافراد ، فان دراسة العلاقات الاجتماعية ليست الا دراسة المجتمع بكل مظاهره من خلال دراسة العلاقات السائدة به [٢].

يتكون التشكيل الاجتماعي في القبيلة من الصليبة والموالي والعبيد :

اولاً : الصليبة

وهم ابناء القبيلة الصرحاء اذ يمثل هؤلاء نواة التنظيم الاجتماعي في القبيلة ، وتتميز هذه الفئة بقدم البيت واول المعاشرة ، وغالباً ماتجتمع على نسب اعلى تتخذه هوية لها تميزها من غيرها من البطون ، لذلك كان افرادها يعتزون بذلك ويعدون انفسهم متساوين نظرياً في الاقل [٣].

وقد اطلق على هؤلاء الافراد الصليبة وذلك لانهم اصلاء في النسب فقد جاء في كتب اللغوين ان معنى الكلمة " عربي صليب خالص النسب وامرأة صليبة كريمة المنصب عريقة " [٤].

اما ابن منظور فله رأي آخر اذ ذكر قائلاً " قال اللحياني عن العرب هؤلاء ابناء صلبتهم ، والصلب من الظهر ، فسمي الجماع صلباً لان المني يخرج منه وقول العباس بن عبدالمطلب يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

تنقل من صالبٍ الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

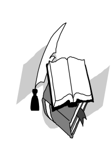
---

(١) سعفان ، حسن شحاته ، العلاقات الاجتماعية العامة (ماهيتها وفلسفتها ومجالاتها وقياسها) ، مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر ، (مصر ، ١٩٦٨) ، ص ٥٠ ، ٧١ .

(٢) حسن سعفان ، العلاقات الاجتماعية العامة ، ص٣٤ .

(٣) صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٣٤ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥١٠.٥٠٩/٢ مادة (صرح) .

(٤) التوحيدي ، ابي حيان ، البصائر والذخائر ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني،مطبعة الانساء ،(دمشق ، بلا. ت) ، ٤٦٥/٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٠٩/٣ مادة (صليب) .



وفي الحديث [١] ان الله خلق للجنة اهلاً ، خلقها لهم وهم في اصلاب ابائهم " [٢].

وكان هؤلاء الصرحاء (الصليبية) يرون انفسهم متساوين في المكانة والشرف وفي الحقوق والواجبات وكان ابن العشيرة عموماً ." يعامل زعيمة الشيخ المتبوع معاملة الاكفاء والقرناء فكان الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها وقد سادت بين الناس على الاطلاق " [٣].

وقد حظي ابناء هذه الفئة بأمتيازات متعددة في القبيلة فكانت الرئاسة "لاتكون في غير نسبهم وهي تعتمد في ذلك على شرف البيت والعدد" [٤]. وصرحاء النسب هم طبقة الاشراف يتفاوتون في الشرف بتفاوت بيوتهم بالحسب ، اذ كانوا يرتبطون بوشائج القرابة والانتماء الى اب مشترك ولهم الصدارة ولكن على الرغم من هذه المكانة المتميزة التي يتمتع بها الصرحاء في القبيلة ، الا ان عليهم الالتزام بتقاليدها ، فكانت القبيلة غالباً ما تخلع ابناءها الذين يخرجون عن تلك التقاليد والاعراف [٥].وقد سلمت قريش من التفكك الداخلي فلم يحدث ان خرج عليها او من دائرتها بطن او عشيرة الى دائرة قبيلة اخرى الا في حالة نادرة [٦].

ومن الواضح ان معظم الصفات صفات اجتماعية لا تورث " فلا يكون ابن الشريف شريفاً الا اذا حافظ باعماله على صفات المروءة ومتطلباتها " [٧].وكان هؤلاء شأنهم شأن الطبقات الاخرى يهّبون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة او مظلومة ، قال الشاعر :

---

[١] مسلم ، صحيح ، ٤ / ٢٠٥٠ .

[٢] لسان العرب ، ٥٢٧،٥٢٦/١ مادة (صلب) .

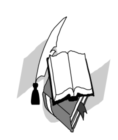
[٣] فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، ٣٦/١ .

[٤] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٢٢٢ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ٧٧/٨ مادة (خلع) .

[٦] التحق بنو عوف بن لؤي بقبيلة غطفان والتحق بنو الحارث بن لؤي ببني هزان بن عنزة بن اسد بن ربيعة . ينظر : الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٤،٢٣ .

[٧] صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٣٤ .



لايسألون اخاهم حين يندبهم   في النائبات على ماقال برهانا [١].

ومثلما كان الفرد يمنح نفسه لقبيلته ، فان القبيلة تمنح افرادها الحماية وحق التصرف كالاجارة ، فاذا اجار احد افراد القبيلة شخصاً ما فأن على القبيلة باكملها حماية ذلك الشخص ، فاذا سلك الفرد سلوكاً شائناً يسيء الى سمعة القبيلة ويجلب اليها العار ، نبذته القبيلة ولم تعد مسؤولةعنه ، وهذا يشكل امراً خطيراً للفرد المخلوع فهو يخرج من حماية قبيلته فلايمكن له العيش من غير ان يكون مرتبطاً بقبيلة او جماعة ، فسوف يكون بمعية هذه الحالة اما ان يلجأ الى قبيلة اخرى يعيش في حماها جاراً او مولى ، واما ان يلجأ الى الصحراء فيتخذ من الغزو والسلب وقطع الطرق وسيلة للحياة واسباب الرزق ، معتمداً على قوته الشخصية في فرض نفسه واثبات وجوده في مجتمع قطع كل صلة معه [٢].

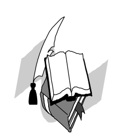
وعند الحديث عن الحجاز في أي جانب من جوانب دراستنا نجد ان مكة تتفرد عن قريناتها من مدن الحجاز الاخرى ، فكانت اكثر استقراراً من يثرب والطائف ، لانها حظيت بنوع من الاستقرار والامن لم يتوفر لغيرها من قبائل الحجاز فقد ضمنت بجوارها للبيت الحرام حرمة عامة ليس في نظر القبائل العربية الاخرى ، بل في نفوس ابنائها وهي بذلك سلمت من الغارات ، ولم تحدث بين بطونها اشتباكات ادت الى وقوع دماء بينها ، بل حرصت على حل منازعاتها حلاً سلمياً ، كذلك فانها توسعت في قاعدة الحكم وارتضت نوعاً من الحكومة وهي حكومة الملأ المكونة من زعماء العشائر ، حتى انها عدّت خروج المهاجرين من المسلمين الى الحبشة ويثرب من اعظم الامور التي تهدد وحدة القبيلة فاتهموا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، بانه فرق بين الناس [٣].وبما ان العرف الاجتماعي يفرض على عاتق ابناء العشيرة الدفاع عنها لحمايتها في الشدائد ووضع مصالحهم الخاصة جانباً ، ووضع مصلحة القبيلة في القمة ، حتى وان بدى له ان قبيلته على خطأ،وقد عبر الشعراء عن ذلك بقول دريد بن الصمة :

---

[١] المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، ١/ ٢٩ .

[٢] ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ١/١٠٠.١٠١ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢٧/٣. ٢٩ .

[٣] احمدالشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٢٥ .



فلما عصوني كنت منهم وقد ارى غوايتهم وانني غير مهتدي

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد [١]

وبهذا نلمس ان الصريح يتمتع بمنزلة كبيرة الا ان هذه المنزلة الكبيرة كانت خاضعة لاعراف القبيلة والخروج عنها يمثل وصمة عار كبيرة في حياة هذا الفرد ، ومن ثم عليه التمسك بها لان فيها ضمان لسلامته وحريته ، وعلى الرغم من انها لم تكن مطلقة ، ولكن هذا لايلغي انها خلقت نوعاً من عدم التوازن والتفاوت الطبقي بين ابناء القبيلة .

ثانياً : الموالي واللصقاء

تعني لفظة مولى في اللغة : المالك ، والصاحب وابن العم والقريب والجار والحليف والنزيل والشرك والرب[٢] . اما اللصقاء : أي الملتصقين بالقبيلة بواسطة الجوار والحلف وبالاصطناع [٣].

ومن ابرز تشكيلات هذه الفئة : الحلفاء والمستجيرون [٤].

أ. الحلفاء

الحلف في اللغة :" اصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق ، مما كان منه في الجاهلية (قبل الاسلام) على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الاسلام ، عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " لاحلف في الاسلام وما كان منه في الجاهلية (قبل الاسلام) على نصر المظلوم وصلة الارحام كحلف المطيين " [٥] . وورد العهد بمعنى الميثاق استناداً الى قوله تعالى " واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم " [٦]. وقوله تعالى " الذين يوفون بعهد

---

[١] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٥٠٧ .

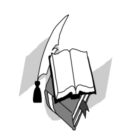
[٢] الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٩٨/١٠ مادة(مولى) .

[٣] الجابري ، العصبية والدولة ، ص٤٦٦ .

[٤] كانوا يسمون الجالية:الذين اجلوا عن اوطانهم ، أي ابعدوا عن اوطانهم.الاصفهاني، الاغاني ، ٢٩٣/٢١ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٣/٩ .

[٦] سورة النحل ١٦ ، الآية ٩١ .



الله ولاينقضون الميثاق "[1]. وتتألف هذه الفئة من الافراد والجماعات الذين ينضمون الى القبائل الاخرى،ويضعون انفسهم تحت حمايتها [2].

فالاحلاف هي ثمرة طبيعية قياساً للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ذلك الوقت ، ويذكر البكري ان القبائل لما رأت " ماوقع بينها من الاختلاف والفرقة وتنافس الناس في الماء والكلأ ، والتماسهم المعاش في المتسع وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش ، واستضعاف القوي للضعيف ، انضم الذليل منهم الى العزيز وحالف القليل منهم الكثير وتباين القوم في ديارهم ومحالهم وانتشر كل قوم فيما يليهم " [3].

ومن الواضح ان الحليف لايرتبط بالعشيرة التي انتمى اليها برابطة الدم ، وذلك لانه في الاصل ينتمي الى عشيرة اخرى ، وانه قد انفصل عن عشيرته لسبب من الاسباب . وكان في جملة الاسباب التي تدعو الافراد للانفصال عن عشائرهم والالتجاء الى عشائر اخرى طالبين الحماية والتحالف هو الخلع ، وكان الافراد يخلعون من عشائرهم اذا ارتكبوا جرائم ضد احد افراد عشيرتهم او اساء التصرف الى الحد الذي يصبح فيه وجودهم بين افراد قومهم غير مرغوب فيه ، وقد يكون سبب انفصال الرجل عن عشيرته والتحاقه بعشيرة اخرى راجعاً لعوامل مصلحية كأن يلتجئ الى عشيرة معينة للعمل بها والمتاجرة مع افرادها او للزواج من احدى نسائها ويعيش بين افرادها الى جانب زوجته [4].

وقد شاع نظام الحلف في عصر ما قبل الاسلام وانتشر انتشاراً واسعاً ، فهو رابطة قوية ، واعتمدت بعض القبائل على نفسها ولم تدخل في احلاف وسميت بـ(

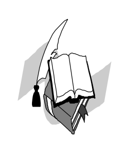
---

[1] سورة الرعد١٣ ، الآية ٢٠ . وقد وردت كلمة احلاف في القرآن في اكثر من موضع ينظر : سورة الاعراف ٧، الآية ١٠٢ ؛ سورة التوبة ٩ ، الآية ٤٠١ .

[2] القلقشندي ، نهاية الارب ، ص٢١ .

[3] معجم ماastعجم ، ٥٣/١ .

[4] محمد ، محمود جمعة ،النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السامية،(القاهرة ، ١٩٤٩)، ص١٤٩،١٤٨ ؛ صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٣٥،١٣٤ .



جمرات العرب) لاعتمادها على شجاعة ابنائها الفردية ويتم الحلف عن طريق المواثيق والعهود [1].

ومن امثال الاحلاف العربية حلف المطيين وحلف الفضول وحلف الرباب وحلف قريش والاحابيش [2].

ومثلما كان الحلف يكون بين الافراد ، كأن يقوم بين القبائل والقبائل ويتحالف الافراد بعضهم ببعض ، ويشهر هذا الحلف ليكون معلوماً بين الناس ، وتتحالف القبائل ايضاً ببعض، وتحمل هذه التحالفات صبغة خاصة فهي حماية للعرض والمال والروح .

واحياناً تأخذ شكل حلف سياسي اواجتماعي أو اقتصادي ، واحياناً لاغراض هجومية او لاغراض اخرى،واحياناً يكون الحلف وقتياً ،وكانت القبيلة تسعى لعقد حلف مع قبيلة اخرى لمساعدتها في صد غزو او هجوم على قبيلة ، أو لاخذ ثأر من قبيلة اخرى، واحلاف كهذه لاتستمر طويلاً اذ تنتهي بانتهاء الغاية التي من اجلها عقد الحلف،وعلى الغالب كان يسعى الضعيف ليعقد الاحلاف .كما اسلفنا . ليقوي عن طريق الحلف نفسه ويرفع مكانته،ومن هنا نعلم انه لايكون في مقدور القبائل او العشائر المحافظة على كيانها من غير حليف قوي يشد من ازرها اذا هاجمتها قبيلة اخرى ، وكان معظم القبائل داخلة في هذه الاحلاف الا اعداداً قليلة من القبائل القوية كانت تتفاخر بنفسها، يقول النابغة الذبياني:

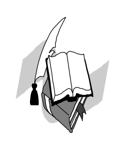
جمع محاشك يايزيد فانني   اعددت يربوعاً لكم وتميماً
ولحقت بالنسب الذي عيرتني   وتركت اصلك يايزيد ذميماً
عيرتني نسب الكرام وانما   فخر المفاخر ان يعد كريما [3]

---

[1] كان العرب يعقدون الحلف على دم الذبائح او بغمس الايدي في جفان مملوءة بالدماء او بغمسها في الطيب . ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/ ١٣٢ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص١٨٠ .

[2] البلاذري ، انساب الاشراف ، ٧٦/١ .

[3] المحاش : هم اقوام ينتمون الى قبائل شتى تحالفوا عندالنار على قوم النابغة حتى احترقوا . يزيد بن سنان بن ابي حارثة . ديوان النابغة الذبياني ، ص١٣٠ .



الا انها كانت تدافع عن حقها بالسيف،وقد تنزل القبائل على حلفائها وتكون الغلبة بطبيعة الحال للقبائل الكبيرة [١].

وحمل الحلف القدسية فقد اقسموا قسماً عظيماً على الصلح فلا غدر والى هذا المعنى يقول زهير بن ابي سلمى :

الا ابلغ الاحلاف عني رسالة   وذبيان هل اقسمتم كل مقسم [٢].

وقد ورد حلف ذي المجاز بمعلقة الحارث بن حلزة قائلاً :

واذكروا حلف ذي المجاز وماقد   م فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل ينـ   قض مافي المهارق الاهواء [٣]

وضرب العرب اروع الامثلة في المحافظة على العهود والمواثيق ، لما تحمل هذه العهود من قدسية خاصة في نفس العربي ، وقد حفظت روايات المؤرخين الكثير من الامثلة على ذلك ، فكان للاحلاف دور كبير في الحياة السياسية فمثلاً في مكة كان الاخنس بن شريق الثقفي الذي بلغ من مكانته ، ان اثر على حلفائه بني زهرة فاقنعهم بالرجوع وعدم المشاركة في معركة بدر "فاطاعوه وكان بينهم مطاعاً " [٤]. وكان لهؤلاء الحلفاء حق الاجارة على ان لايجيروا احداً على حلفائهم لان الحليف لايجير على الصريح [٥].

وكان العرب قبل الاسلام اذا ارادوا ان يعقدوا حلفاً "أوقدوا ناراً وعقدوا حلفهم عندها ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد ، وكانوا يطرحون فيها الملح فاذا استشاطت قالوا للحالف هذه النار تهددك فان كان مبطلاً

---

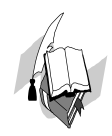
[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ١١٨/١٢ومابعدها .

[٢] ديوان زهير بن ابي سلمي ، ص٨١ . وكان العرب يوثقون (العهد بالتماسح بالاكف والتحالف على النار والتعاقد على الملح وباليمين الغموس مثل قولهم ما سرى نجم وهبت ريح ، وبل بحر صوفه وخالفت جرة درة) . ينظر : الجاحظ : البيان والتبين ، ٧/٣ .

[٣] الجاحظ : البيان والتبين ، ٦/٣ .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٥٨/٢ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٣٠٤ . ٣٠٥ .

[٥] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٣٤٧ .



نكل ، وان كان بريئاً حلف ولهذا اسموها ايضاً نار المهول ، وانما خصوها لانها لاينفقع بها من بين انواع الحيوان غير الانسان " [١].

وكانوا اذا ارادوا ان يستلحفوا رجلاً اوقدوا ناراً والقوا فيها ملحاً من حيث لايشعر الحالف فينفقع الملح ، يهولون عليه بذلك ، وقد اشار اوس بن حجر الى ذلك بقوله :

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف [٢]

وقال الشاعر :

حلفت بالملح والرماد وبالنار وبالله نسلم الحلقه

حتى يظل الجواد منعفراً ويخضب النبل غرة الدرقه [٣]

فضلاً عن حرصهم على هذه التحالفات واهتمامهم بها كانوا يدونوها لتوكيدها وتثبيتها وتحفظ عند المتعاقدين او تودع في اماكن عبادتهم " فكانوا يدعون في الجاهلية (قبل الاسلام)من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيماً للامر وتبعيداً من النسيان " [٤].

وشهادات الشهود على صحة العقود معروفة عند اهل مكة لانهم قوم تجار وقد اكد القرآن الكريم على وجوب المحافظة وعدم كتمانها بقوله تعالى : " ولاتكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم " [٥] ، وكان هذا الحلف يتخذ مظهراً جميلاً تكاملياً بحتاً فيسمون " دمي دمك وهدمي هدمك وثأري

---

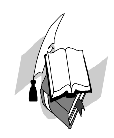
[١] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ١٦٢ .

[٢] شرح ديوان اوس بن حجر ، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص٦٩ . المهول : الذي يتولى تحليف القوم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٧١٣/١١ ، مادة (هول) ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ٧/٣ .

[٣] الحلقة : حلقة القوم ، الدرقة : هو ضرب من الترسة يتخذ من الجلود . الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣/ ٨.

[٤] الجاحظ ، الحيوان ، ١/ ٦٩ ومابعدها . ويذكر البلاذري : ان عدد من كان يكتب في مكة سبعة عشر رجلاً ويدعون (بالكملة) اورد اسماءهم ، وفي المدينة (يثرب) احد عشر رجلاً يكتبون . ينظر : فتوح البلدان ، ص٦٦٠، ٦٦٣ .

[٥] سورة البقرة ٢، الآية ٢٨٣ .



ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك " [١].

زد على ذلك ان الاحلاف شكلت اهمية كبيرة في حياة المجتمع الحجازي بصورة خاصة والجزيرة العربية بصورة عامة ، فهي تقوم على التناصر والمساندة وتجمع ابناء القبيلتين وتجمع كبيرهم وصغيرهم ، فمثلاً عند محالفة عبدالمطلب بن هاشم للخزاعين "تحالفوا على التناصر والمواساة حلفاً جامعاً غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاكابر والشاهد على الغائب تعاهدوا وتعاقدوا ما شرقت الشمس ... " [٢].

لكن تبقى منزلة الحليف دون منزلة الصريح لان هؤلاء الحلفاء لايرتبطون مع القبيلة برابطة القرابة ، لذلك ليس للحليف الحق بالاجارة ، فقد رفض الاخنس بن شريق اجارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال له " انا حليف والحليف لايجير " [٣]. لكن للحليف حق في وراثة حليفه [٤].

غير ان هذه المنزلة للحليف ، والمقيدة ببعض القيود يمكن ان تتحسن مع تقادم الزمن وطول المعاشرة فتختلط الانساب ويمكن للحليف ان يصبح صريحاً [٥].وبقدر ماحمله الحلف من جوانب ايجابية اذ كانت هناك رابطة تجمع القبائل العربية على الرغم من اختلافها ونزاعها الدائم فكان خير مظهر لهذه القومية العربية [٦]. ان صح التعبير .

كذلك فان هذه الاحلاف ادت الى اخراج العصبية القبلية من اطارها المحلي الضيق من خلال روح التفاعل التي اوجدها مع الاخرين ، وعلى الرغم من الاثر المهم الذي تركته الاحلاف في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام ، وكذلك على الرغم من الحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه

---

[١] الحلبي ، علي برهان الشافعي ، السيرة الحلبية ، (بيروت ، بلا . ت) ، ٢٧٢/١ .

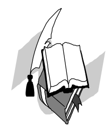
[٢] ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص٩٠ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٧١/١ .٧٢ .

[٣] ابن هشام ، السرة النبوية ، ٣٨١/١ .

[٤] ابو داود ، سلمان بن الاشعث بن اسحق الازدي ، سنن ابو داود ، (مصر ، ١٩٥٢) ، ١١٥/٢ .

[٥] ابن دريد ، الاشتقاق ، ٣١١/١ .

[٦] الخربوطلي ، علي حسين ، محمد والقومية العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص٢١ .



وآله وسلم والذي ناهض الحلف " لاحلف في الاسلام " [١]. فقد ادرك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضررها بالمجتمع العربي اذ كانت من اسباب التفريق .

ولقد تميزت الاحلاف باشكال عدة منها فردية ومنها جماعية ومنها احلاف داخلية واخرى خارجية ، والمهم ان الهدف الذي يقوم من اجله الحلف سواء الفردي او الجماعي هو المحافظة على التوازن بين القبائل المتحالفة زد على ذلك درأ اذى قبيلة كبيرة عن اخرى صغيرة [٢]. فهو حلف يعقده فرد او مجموعة افراد حين ينزلون بجوار احد الافراد او القبائل ومحالفتها على السكن بين ظهرانيها ويقع على الحليف ما يقع على افراد القبيلة التي تحالف معها [٣].

وعلى الرغم من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ادت الى قيام التحالفات السياسية هناك دور للجوار الجغرافي فكثيراً ما كانت القبائل المتحالفة متجاورة في مناطق استقرارها [٤].

ان السمة الغالبة على الاحلاف كانت ذات سمة تناصرية ومؤازرة وهنا لابد من التعرض لمجتمع مكة والمتمثلة بقريش بصورة خاصة ، اذ كانوا مختلفين عن مجتمع يثرب والطائف ، فما يميز قريش هو روح التألف واهتمامهم بشؤون مدينتهم ومصالحهم فهي تمثل حالة فريدة في مدن الحجاز كلها بصورة خاصة والجزيرة العربية بصورة عامة ، فلو نظرنا الى ماذكره اليعقوبي [٥] "ان قريشاً تحالفت احلافاً كثيرة على الحمية والمنعة " ونجد انفسنا امام سؤال في غاية الاهمية هو لماذا كانت قريش كثيرة الاحلاف على الرغم من وضعها الداخلي والخارجي المستقر كما اسلفنا ؟ والجواب عن السؤال ان قريشاً ارادت من وراء هذه التحالفات ايجاد نوع من الموازنة والاستقرار للتعبير عن مصالحها والحد من الاساءة الى علاقاتها الداخلية والخارجية وتشويه سمعتها وسمعة مكة وقداستها ، لذلك نراها لجأت الى اقامة حلف

---

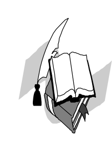
[١] مسلم ، صحيح ، ٤ / ١٩٦٠ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٣/٩ مادة (حلف).

[٢] الجبوري ، ابراهيم محمد ، التحالفات بين القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٩٠ ، ص١٧٨ .

[٣] ابراهيم الجبوري، التحالفات بين القبائل ، ص١٦٥ .

[٤] ابراهيم الجبوري ، التحالفات بين القبائل ، ص ٣٤ .

[٥] تاريخ اليعقوبي ، ١٧/٢ .



الفضول ، لقد ارادت قريش من وراء هذا الحلف القيام بحركة اجتماعية اصلاحية لتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة ولاشاعتها بين الجميع فضلاً عن ان الملأ من قريش والمصالح المشتركة كانت تؤمن العدالة بينهم وتشد من وحدتهم الاجتماعية في رعاية الكعبة [١]. على عكس الاحلاف الاخرى ذات الطبيعة السياسية وللحفاظ على الاخرين وضمان العمليات الاقتصادية داخل مكة [٢].

اما يثرب فقد كانت تفتقر الى وحدة المصالح ، اذ كان سكانها من عنصرين مختلفين العرب واليهود ، فضلاً عن فقدانهم للاهداف المشتركة التي توحد بينهما مما تسبب في سوء علاقاتهم واضطرابها ، بقول قيس بن الخطيم بهذا الصدد يقول:

ويوم بعاث اسلمتنا سيوفنا الى نسب في جذم غسان ثاقب [٣]

اما الطائف فقد ادت المنافسات على الزعامة ، الى قيام الاحلاف الداخلية بين القبائل حتى تقوى الواحدة فيها على الاخرى ، فامتازت الطائف بروح التنافس بين الاحلاف وبني مالك وهذا ما كان ظاهراً اكثر من ظهوره في الجماعات العربية الاخرى [٤].

ومن الاحلاف الجماعية حلف الاحابيش مع قريش وقد ذكرهم كعب بن مالك الانصاري في معركة احد

وجئنا الى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنع [٥]

وكان للاحابيش دور بارز في الدفاع عن مكة عام الفتح بقيادة عمرو بن بلال سيد الاحابيش فقد وجه لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد على رأس قوة كبيرة من المسلمين فقاتلهم وهزمهم [٦].

---

[١] احمد الشريف ، دور الحجاز في القرنين ، ص٤٨ .

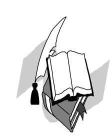
[٢] الجميلي ، خضير عباس ، دور قريش قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القومية ، الجامعة المستنصرية ، ص٨٣ .

[٣] ديوان قيس بن الخطيم، تح : ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، (بيروت ،١٩٦٧) ، ص٨٩، ١٢٣.

[٤] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٦٣/٢ .

[٥] ديوان كعب بن مالك ، دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني،مكتبة النهضة ، (بغداد ، ١٩٦٤) ، ص٢٥ .

[٦] الزبيري ، نسب قريش ، ص٩ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٤٥ . وحول هذا الحلف ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٤١/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١/ ٥٦ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ١٥٠/١ ؛ ابن



وقد حاولت الاحلاف التقرب الى الاوس وانشاء نوع من الحلف بينهما ضد بني مالك الا ان الصراع كان قائماً بين الاثنين ، ومن المرجح ان بين الاوس واحلاف الطائف تشابهاً في الظروف الاجتماعية والقبلية هذا التشابه يكاد يكون له دور في خلق هذه المحاولات في عقد الاحلاف [١].

اما يثرب فقد حالفت الاوس فيها بني قريضة والنضير في حروبهم يوم بعاث [٢].

لقد تميزت الاحلاف بانها مواثيق على الوفاء والالتزامات التي اتفق عليها واتفق عليها بين الاحلاف ، وقد تكون هذه الاحلاف لمدة معينة قد لاتطول مدة طويلة فسرعان ما تنتهي بانتهاء الغاية التي من اجلها عقد الحلف ، زد على ذلك ان هذه الاحلاف اخذت شيئاً من الدلالة على الشعائر والايمان والمعاني الدينية، ويصف هيردوتس نقلاً عن جواد علي طريقة من طرق التحالف والمحافظة على العهود عند العرب فذكر " ان العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظه شديدة لايشاركهم في ذلك احد من الامم ، ولها قداسة خاصة عندهم حتى تكاد تكون من الامور الدينية المقدسة " [٣].

ولهم طريقة معينة للقسم الذي يقسم به المحالفون فمنهم من اقسم بالاصنام ومنهم كانوا يحلفون عند الركن من الكعبة [٤].

وكانت هذه الاحلاف تدون لتوكيدها وتحفظ عند المتعاقدين ، وفي قصيدة قيس بن الخطيم مايفيد بوجود صحف مكتوبة بعهود ، وعقدت بين الاوس والخزرج بقوله :

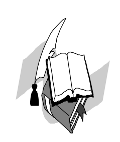
حبيب ، المحبر ، ص٢٤٦ .زيادة في التفصيل عن الاحلاف الجماعية ينظر : رسالة خضير الجميلي ، دور قريش ، ص٢٠٩-٢١٣ .

[١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٦٨٦/١ ؛ مونتغمري واط ، محمد في مكة ، ص٢١٩ . ٢٢٠ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ١١٩/١٧ . وزيادة في التفصيل عن الاحلاف الفردية ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص ٢٧٥، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب ، ١٦٢،٢/١/ ٣٥٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ٢١١/١، ٥٧/٢ ، ٣/٩-٣٤ ؛ مونتغمري واط ، محمد في المدينة ، الصفحات ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٨ .

[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٣٧٩/٤ .

[٤] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٤١/١ .



لعمري لقد حالفت ذبيان كلها   وعبساً على مافي الاديم المدد [١]

وبما ان مراسيم الاحلاف من المراسيم المهمة اقترنت من اجل ذلك بتقديم الطعام للمتحالفين ، ومثالنا في ذلك ما قام به عبدالله بن جدعان من اعداد وليمة للمتحالفين ، فقد تكون هذه الولائم مظهراً من مظاهر مراسيم عقد الاحلاف لما للخبز والملح من ضرورة عند العرب [٢].

ب. المستجيرون

وللجوار اهمية كبيرة لدى عرب قبل الاسلام فالجوار من سنن العرب [٣] ، وامتاز به اهل يثرب خاصة ، واذا استجار شخص بشخص اخر او قبيلة وقبل جاراً ومستجيراً وجبت حمايته ، وحق على المستجار به الدفاع عن مجيره مهما كلف الثمن والا عد ناقضاً للعهد ، وبذلك يكون مخالفاً للتقاليد العربية العريقة ، وقد وردت في كتب اللغة : " يقال للذي يستجيريك (جار) والجار الذي اجرته من ان يظلمه ظالم وجارك المستجير بك ، والمجير هو الذي يمنعك ويجيرك . واجاره : انقذه من شيء يقع عليه " [٤].

والجوار من القوانين التي ترتبط بنظام الحلف وهو يعني ان يعمل الرجل ذمة لرجل آخر فيكون بموجبها جاره فيجيره [٥].

ولايشترط ان يكون فردياً ،اذ كثيراً ما تلجأ القبائل الى قبول حق الاجارة [٦].

وقد ورد في القرآن الكريم آيات ذكر فيها الجوار بمفهومه عند العرب وهو حماية الجار وابلاغ المستجير ومنع الاعتداء عليه [٧].

---

[١] البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢٣٨/١ ؛ ديوان قيس بن الخطيم ، ص١١٧، ١٢٧ .

[٢] ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٣٣/١ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٥ ومابعدها .

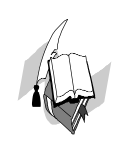
[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٣٦٠/٤ .

[٤] الزبيدي ، تاج العروس ، ٤٧٨/١٠ مادة (جار) .

[٥] الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، (مصر ، ١٩٥٢) ، ٤٠٨/١ .٤٠٩ .

[٦] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٤٠ .

[٧] ينظر : سورة التوبة ٩، الآية ٦ ؛ سورة الانفال٨ ، الآية ٤٨ ؛ سورة المؤمنون٢٣ ، الآية ٨٨ ؛ سورة الملك ٦٧، الآية ٢٨ ؛ سورة الجن ٧٢، الآية ٢٢ ؛ سورة النساء٤ ، الآية ٣٦ .



وقد اعزّوا الجار والحليف حتى انه كان يعد من العشيرة ، لذا كان المجير يرثه في ماله ، وتمادوا في حماية الجار حتى حمايته من الموت ، فاذا مات دفع حاميه ومجيره و ديته الى اهله ، فقد رووا ان الاعشى خاف بني عامر على ما معه من عطايا فاتى علقمة بن علانة فقال له : اجرني . فقال اجرتك قال : من الجن والانس قال : نعم ، قال : ومن الموت . قال : لا ، فأتى عامر بن الطفيل فقال : اجرني قال : قد اجرتك قال من الانس والجن ، قال : نعم . قال ومن الموت قال نعم قال : وكيف تجيرني من الموت ؟ قال : ان مت وانت في جواري بعثت الى اهلك الدية ، فقال : الان علمت انك قد اجرتني من الموت فمدح عامراً وهجا علقمه " [١].

لكنهم لم يجيروا على الملوك ، فقد اوصى حصين بن حذيفة بن بدر اولاده وهو يحتضر وجاء في نصحه لهم : ولاتجيروا على الملوك ، فان ايديهم اطول من ايديكم [٢].

قال عبيد بن الابرص :

انا لعمرك لايضام　　　حليفنا ابداً لدينا [٣]

وقال :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا　　　ونلف بين ارامل الايتام [٤]

وقد كان الاعتداء على الجار يغضبهم ويثير حفيظتهم كأنه اعتداء عليهم ، واذا حدث فانهم يمتشقون الحسام للذب عن الجار فقالوا : فلان منيع الجار حامي الذمار . يقول الشاعر :

وما جار بيني بالذليل فترتجي　　　ظلامته يوماً ولا المهتضم [٥]

---

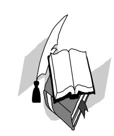
[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ٨/٨ .

[٢] المرتضى ، الامالي ، ١٦٨/٢ .

[٣] ديوان عبيد بن الابرص ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص١٤٤ ؛ شعراء نجد والحجاز والعراق ، جمع الاب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الاباء اليسوعين ، (بيروت ، ١٩٢٤) ، ص٦٠٠ .

[٤] شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص ١٣٢ .

[٥] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٢١٧/٢ .



وكانت حماية الجار دليلاً على الرهبة والقوة وان قلّ عدد افراد القبيلة قال السموأل :

وما ضرنا انا قليل وجارنا   عزيز وجار الاكثرين ذليل [١]

ولم يقتصر فخرهم على حمايتهم للجار ، بل يتنعم بخيراتهم ايضاً ، قال عدي ابن يزيد من بني شيبان في حديثه عن يوم ذي قار ، بانهم يخلطون جارهم بانفسهم ويكرمونه ويحمونه ، قال الشاعر :

اني حمدت بني شيبان اذ خمدت   نيران قومي وفيهم شبت النار

ومن تكرمهم في المحل انهم   لايعلم الجار فيهم انه الجار

حتى يكون عزيزاً من نفوسهم   أو ان يبين جميعاً وهو مختار [٢]

وكما اوضحنا من قبل في موضوع الحلف فقد كان للجوار قيمة كبيرة في المجتمع القبلي لانه يوفر الحماية والدعم لاولئك المخلوعين الذين طردتهم قبائلهم فهما امام امرين : الاول : اما الاحتماء بهذه القبائل ، او اللجوء الى العيش صعاليك متمردين في الصحراء .

ولم يكن جميع الموالي متساوين في الحقوق والمنزلة ، فابن العم هو من ابناء القبيلة الصرحاء اما الجار والحليف فليس في منزلة ابن القبيلة الصريح، والحليف يخضع لتقاليد القبيلة واعرافها والدفاع عنها ، ومن شروطه ان يعقل الرجل عن حليفه اذا ارتكب جناية وان يطالب بدمه اذا قتل [٣].وقد نسمع ان موالي القبيلة يشكون من سوء معاملة حلفائهم وغمطهم حقوقهم [٤].

وكان للنساء حق الاجاره ، ولدينا امثلة كثيرة على ذلك [٥].

---

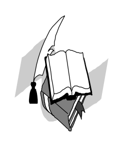
[١] ديوان السموأل ، شرح عيس سابا ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص٩٠ .

[٢] ديوان حماسة التبريزي ، ١/ ١٠٨ .

[٣] ينظر خبر حصين بن حمام وحلفائه . الاصفهاني ، الاغاني ، ١٤/١ ومابعدها .

[٤] ينظر خبر زهير بن ابي سلمى وشكواه من اهتضام حقوقه . الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٩١/١٠ .

[٥] ينظر مثلاً : ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٣٣- ٤٣٤ . وتسمى المراة التي تذهب بزوجها الى قومها فتجيره بالسحوب . وتسمى المرأة التي تتزوج في عربه الطريحة .ينظر ايضاً : نقائض جرير والفرزدق ، ٢٧٨/١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٦١/١ مادة (سحب) ، ٥٢٨/٢ مادة (طرح) .



لقد كان العرب يحترمون قانون الجوار وبالمقابل فان على المستجيران يراعي حرمة جاره وان يلتزم بالقيم والاعراف السائدة ولا يسقط حقه في الجوار ويتم خلعه . وكانت للعرب اساليبهم في منح الجوار منها دخول الخيمة [1] او الدار ولم يكن الجوار مقبولاً في كل الاحوال ، اذ كثيراً ما يرفض اذ تعارض مع المصلحة العليا للقبيلة وقد ذكر ابن اسحاق " ان ابن الدغنة شرط على ابي بكر الصديق رضى الله عنه الذي كان في جواره ان لايعمل بما يتعارض مع مصلحة قبيلة قريش لكي يستمر في جواره " [2].

واشتهر اهل يثرب خاصة بالجوار اذ عرف بنو مرة بن مالك . احد بطون الاوس . بالجعادرة " وانما سموا بذلك بذلك لانهم كانوا يقولون للرجل اذا جاورهم . جعد . حيث شئت فانت آمن أي اذهب حيث شئت " [3].

وعرف بنو غنم بن عوف احد بطون الخزرج بالقواقل " لانهم كانوا اذ استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً فقالوا له : قوقل بيثرب حيث شئت " [4].

وكان في مكة الكثير من ابناء القبائل العربية الذين وفدوا اليها لغرض التجارة والعمل نظراً لمكانتها التجارية او لغرض الاحتماء بالبيت الحرام ، فضلاً عن وجود الخلعاء والصعاليك " الذين نبذتهم قبائلهم وتبرأت منهم ومن فعالهم لعدم انصياعهم لنظام القبيلة ، ويتم خلعهم عن طريق اعلان يعلن عادة في الاسواق العامة كسوق عكاظ " [5].

---

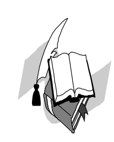
[1] قدامة ، ابو الفرج بن جعفر(ت٣٢١هـ) ، نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص١٦١؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٢/ ٧ .

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٧٣/١ . ٣٧٤ ؛ دروزه ، عصر النبي ، ص٢١٦ .

[3] ابن دريد ، الاشتقاق ، ٤٣٧/٢ .

[4] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/ ٤٣٢؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ٤٥٦/٢ .

[5] عبدالكريم خليل ، قريش من القبيلة الى الدولة المركزية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧) ، ص٢٨٦ . ٢٨٧ .



ولم يكن للمستجيرين دور بارز في الاحداث السياسية ، فلم يصلنا عنهم الا القليل من الاخبار ، لانهم جاءوا لغرض العيش بسلام ، فاساس هذا الحلف هو الشعور بالضعف وطلب الحماية عن طريق الجوار [١].

ورابطة الجوار حالة مؤقتة فهي تبقى ببقاء الجار في كنف مجيره وتنتهي بخروجه عنه وبذلك يعلن المجير انه في حل من حمايته . وكانت الاجارة تعلن على الملأ من الناس ليكونوا على دراية وبينة من ان المستجير اصبح في ذمة ذلك الشخص [٢].

ان حماية الجار من الامور المهمة عند العرب فقد تدخل القبيلة باكملها في حروب طاحنة لحماية شخص اجاره احد افرادها [٣].

ولا تكون منزلة الجماعة النازلة على قبيلة اخرى لتحالفها بمنزلة حليفتها ويعود ذلك الى سبب محالفتها بسبب ضعف الحليفة وشعورها بالحاجة الى حليف تعتز به ، وقد تؤثر الجماعة الدخول في نسب حليفتها وبذلك تتقطع صلاتها بالقبيلة الام . وفي حالة الاندماج يصبح افراد هذه الجماعة بمثابة الابناء الصرحاء وهذه حالة كانت كثيرة لدى المجتمع القبلي ، ولدينا امثلة لمثل هذه الحالة [٤].

ان استقراء واقع العلاقات بين القبائل يضع الباحث امام نمطين اساسين من هذه العلاقات اولهما : ايجابي يتمثل بالاحلاف والجوار والمواسم وثانيهما سلبي يتمثل بالغزو المتبادل بين القبائل سواء اكانت اسباب الغزو سياسية او اقتصادية او اجتماعية .

ويرى المستشرق مونتغمري واط غير هذه الاراء فيعزو سبب الاحلاف والجوار الى الظروف الجغرافية والمادية فيقول " اصبح من الشائع في المدينة(يثرب) استخدام الاطم لاسباب دفاعية وكان من الضروري استخدام عدد من الرجال لبنائها وللاشراف

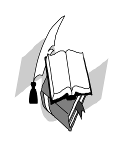
---

[١] ابراهيم جمعة ، مذكرات في تاريخ العرب ، ص٤١ .

[٢] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٩٥/١-٩٦ . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٨٢/٥ .

[٣] ينظر : ايام العرب في الجاهلية ، ص٣٢٠ .

[٤] ينظر مثلاً دخول اليرابيع وهم بطن من نمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد من تغلب . الاصفهاني ، الاغاني ، ٣٤٢/٩ .



عليها ، فكان لابد من انضمام جماعات صغيرة الى جماعات اخرى فوجدت جماعات سماها (اهل راتج) وهي عبارة عن فئات تجمعت لتأمين الدفاع المشترك ثم ربطت بينها بمرور الزمن " [١].

يتبين من هذا الرأي ان بناء الاطام كان سبباً في اهتمام العرب بالجوار وهذا غير صحيح ، لقد سبق وان ذكرنا بان هناك اسباب مجتمعة شجعت العرب على الجوار وليس الظروف الجغرافية والمادية الوحيدة لاقامة الجوار بين القبائل ، واذا كان الحال في يثرب فما هو بالنا في مكة والطائف والمدن الاخرى من بلاد العرب .

وهنا لابد من الوقوف على مايقع فيه المستشرقون [٢]من خطأ شائع وذلك بوصفهم العرب بالفردية ويتناقض مع طبيعتهم الاجتماعية ، وقد عزوا هذه الفردية الى خلق ابائهم الاولين لاسيما طور بداوتهم الاولى .ان ماوردناه يعطي بصورة لاتدعو الى الشك على ان تقليد التضامن الاجتماعي او العصبية الاجتماعية كان راسخاً عند العرب ، وقد كان هذا التضامن ركناً من حياتهم الاجتماعية ان لم يكن اقوى ركن ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ففى بيئة مثل بيئة العرب الصحراوية القاسية بوجه عام والحجاز خاصة فان العصبية الاجتماعية سواء كانت بين ذوي الارحام والقربى ام بين ابناء القبيلة ام القبائل المتعددة المتحالفة، كانت حاجة طبيعية ، لان بدونها لايمكن حفظ التوازن والحقوق ، واذا كان من مجال للنقد فهي للحدود الضيقة للعصبية الاجتماعية ورسوخها التي لم تكن تتعدى الوحدات الاجتماعية كالاسرة والقبيلة والذي ساهم في عوامل التفكك الذي حل بالعرب في القرون الاسلامية الاولى ، فضلاً عما تقدم فالعرب لم تكن الامة الوحيدة التي تتمسك بالتضامن الاجتماعي انما هي صفة عامة في البشر وقد مروا كلهم بهذا الدور[٣] .

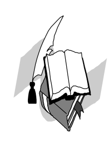
ثالثاً : العبيد

---

(١) محمد في المدينة ، ص٢٦٢ .

(٢) بلاشير . ر ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة ، (دمشق ، ١٩٧٣) ، ص٣٩ ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص١٨ .

(٣) لدينا امثلة كثيرة في التاريخ العربي تدل الى عكس ماذهب اليه المستشرقون ومن الامثلة حديث مقاطعة بني هاشم حيث دخل الهاشميين والمطلبيين انتصاراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، في حين كانوا متمسكين بدين الاباء بدافع عصبية القربى او الرحم . ينظر : ابن اسحق ، السير والمغازي ، ص١٥٦ .



تعد هذه الفئة ادنى الفئات التي شكلت الترتيب القبلي في القبيلة وفي اخر السلم الاجتماعي ، وتعد الحروب والوقائع من اهم مصادر العبيد ، وقد كان هؤلاء المسترقون يجلبون الى الاسواق لبيعهم ، وكانت مكة احدى اسواق تجارة العبيد الذين يسبون في الحروب [١].وكانت المناطق المجاورة لجزيرة العرب من بلاد افريقيا مصدراً مهماً من مصادر العبيد كذلك [٢].

اما الحالة الاجتماعية للعبيد فلم تكن بالمستوى المطلوب لاسيما من كان منهم من اصحاب السوداء او من ابناء الاماء الذين كان العرب يطلقون عليهم اسم الهجناء ويأبون الحاقهم بانسابهم [٣].وكان يقال لولد العربي من غير العربية هجين لان الغالب على الوان العرب الادمة وكانت العرب تسمي العجم الحمراء ورقاب المزاود لغلبة البياض على الوانهم قال عمر بن كلثوم :

ذراعي عيطل ادماء بكر   هجان اللون لم تقرأ جنينا [٤]

وكانت العرب قبل الاسلام اذا كان للرجل منهم ولد من امه استعبده فان انجب اعترفت به والا بقي عبداً ، ومن الامثلة على ذلك عنترة بن شداد كان له اخوة من امه فاغار بعض احياء العرب على قوم من عبس فاصابوهم فتبعهم العبسيون فقاتلوهم فقال ابو عنترة لعنترة : كر فقال عنترة العبد : لايحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر فقال : كر وانت حر، فكّر عنترة وانشد قائلاً :

كل امريء يحمي حره   اسوده واحمره [٥].

"وقال ابن الاعرابي : ابن مدينة ابن أمةَ ، وقال ابن خالويه: يقال للعبد مدين وللامة مدينة ، وقد فسر قوله تعالى (انا لمدينون) أي مملوكون قال الاخطل :

---

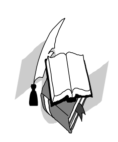
[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٧١/٢ .

[٢] جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، (بيروت ، د. ت) ، ٢٠/٤ .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٣١/١٣ مادة (هجن) ؛ الهاشمي ، على ، المرأ ة في الشعر الجاهلي ، (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص٢٤٩ . الهجين عند العرب :الذي ابوه شريف وامه وضيعة والاصل ان تكون امةً . ينظر : المبرد ، الكامل ، ١٢٥/٢ .

[٤]ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٣١/١٣ مادة (هجن) ؛ الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص١٦٠.

[٥] ديوان عنترة ، شرح كمال البستاني ، دار صادر ، (بيروت، بلا . ت) ، ص٢٠٣؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص١٥٣ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٣٩.٢٣٧/٨ .



ربت وربا في حجرها ابن مدينة   يظل على مسحاته يتركل [١]

وكانت مكة اكبر سوق للرقيق في الجزيرة العربية وكان العرب يحرصون على شراء الجواري والعبيد منها ، لان لاهل مكة عناية خاصة بتربية الجواري والعبيد وتمرينهم على الخدمة المنزلية ، وافضل العبيد والجواري المجلوبون من الحبشة لانهم اخلص في الخدمة واوفى لسادتهم [٢].

وكان العبيد اوالرقيق على نوعين :

أ. الرق الاسود

وهم من اصل افريقي سود البشرة اشتراهم الاثرياء للقيام باعمال شتى خدمة لهم وكان هذا النوع من الرقيق ضرورة في حركة الاقتصاد اذ انه يعوض عن الآلة في الخدمات والاعمال [٣]وكان عددهم في مكة كثيراً فيذكر ان هند بنت عبدالمطلب اعتقت في يوم احد اربعين عبداً من عبيدها ، واعتق سعيد بن العاص مائة عبد اشتراهم فاعتقهم جميعاً [٤]وبسبب سعة اعمال الاثرياء فقد استخدموهم في القوافل التجارية وكان الرقيق يدافعون عن اسيادهم عند الضرورة ، وكان من عادة المسلمين ان يحرروا عبيدهم فمن ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرر عبيد الطائف حين نزلوا اليه وحاربوا معه اسيادهم حين غزا الطائف [٥].

ب. الرق الابيض

وهؤلاء وصلوا الى الجزيرة اما من الشام او من العراق عن طريق الاسر ، ويباعون في اسواق النخاسة وكان الرقيق الابيض يسميه العرب الاحمر او الاصفر مفضلاً على الاسود واغلى ثمناً منه ففي رجاله بأس وفي نسائه جمال وشقره يهواها

---

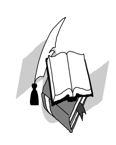
[١] نقائض جرير والاخطل ، ص٥٠ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ١٨/١٧ .

[٢] حافظ وهبه ، جغرافية جزيرة العرب ، ص٣٦ .

[٣] جواد علي ، المفصل ، ١١٨/٤ .

[٤] الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، المحاسن والاضداد ، تصحيح : محمد امين الخانجي ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٣٢٤) ، ص٢٢٨ ؛ احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٢٨ .

[٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤٨٥/٤ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ١١٩/٤ .



العرب ، وفي غلمانه حسن ووسامه ولانه جلب من بلاد متحضره فقد اكتسب ثقافة وفناً [١].

وقسم منهم يجلبه التجار من رقيق اوربا ويباعون في اسواق الشرق ويتميز الرقيق الابيض بحسن ادائه ووفرة في الانتاج ، اما ابرز الاعمال التي انيطت بهؤلاء وهي الخدمة في البيوتات والاشتغال بالمهن التي لابد للعامل فيها ان يمتلك المهارات الاساسية والخيرة والتمرس مع قدر من التفنن وهذه امور لايجيدها الا الخبرة من كان من اهل المدن والحضر [٢].

وكان الرجال يسخرون فيما يحسنون من حرفة وصناعة ، ومن لايحسن عملا كان يسخر في الاعمال الحقيرة ، واما النساء فكن يتخذن لسقي القوم في مجالسهم وتسليتهم بالرقص والغناء وامتاعهم بفنون اللهو والمجون ومنهن البغايا يساعي بهن مالكوهن ، ويقيمون لهن دوراً كانت ترفع عليها رايات حمر ، فعرفن باصحاب الرايات [٣].

ويصور لنا المتطبب البغدادي في رسالته مايتحلى به كل صنف من الاماء وما يختص به من الصفات والطبائع ، فالمدنيات سمر الالوان معتدلات الاقوام وقد اجتمع فيهن حلاوة القول والنعمة قانعات بالقليل لا يغضبن ولا يصخبن ويصلحن للقيان ، اما المكيات خناث مؤنثات لينات الارساخ الوانهن بيض المشرب بسمره ، والطائفيات سمر مذهبات مجدولات السن بامهات اولاد يكسلن في الَحبل وِيهلكن عند الولادة [٤].

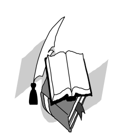
---

[١] الحميري، الروض المعطار ،ص٦٤ ؛ الترمانيني ، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٥) ، ص١١٤ .

[٢] محمد عزة دروزة ، عصر النبي ، ص٢٣٣ .

[٣] مساعاة الامة هو ان يضرب السيد على امته ضريبة الزنا ، منهن امرأة يقال لها ام مهزول . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٠ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٤/٢ .

[٤] ابن بطلان : الشيخ ابا الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ، رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، نوادر المخطوطات ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، ١٩٧٣) ، ص٣٧٢ .



ولم يكن هؤلاء العبيد متساوين في الحقوق والامتيازات اسوة باقرانهم من الفئات الاخرى ، حتى ان العبد لايقدر على الزواج الا بأذن سيده ، وكان ابناء الاماء البيض من اباء عرب يعرفون بالهجناء ، اما ابناء الاماء السود فيطلقون عليهم اسم اغربة العرب [١] وكان الرقيق ملكاً لسيده ولم يكن له حقوق مدنية او سياسية في العشيرة وكان عليه ان يعمل في خدمة سيده ويطيع اوامره طاعة تامة وقد عبر عنترة بقوله :

المال مالكم والعبد عبدكم   فهل عذابك عني اليوم مصروف [٢]

وكان اهل المدينة (يثرب) يكرهون اتخاذ الاماء امهات اولادهم [٣].

وكانت طبقة العبيد في المجتمع العربي قبل الاسلام طبقة محرومة من الامتيازات ، وكانت طبقة مثقلة بالواجبات نحو ساداتها وكان يوكل اليهم بالاعمال التي يأنف العرب في القيام بها مثل الرعي والحدادة والتجارة ، وكان في امكان العبد ان يعتق اذا قام بعمل كبير او ادى خدمة عظيمة لسيده تبرر عتقه وتحريره [٤].

وابن الامة لاترغب فيه الحرائر وكذلك فان بيته لايكون مصاناً كسائر بيوت الناس ، فكانت امرأته تزار رضى بالزيارة هو ام لم يرض [٥].

وقد ورد عند البغدادي في رسالته " من اراد الجارية للذة فليتخذها بربرية ومن ارادها خازنة وحافظة فرومية ، ومن ارادها للولد ففارسية ، ومن ارادها للرضاع ففرنجية ، ومن ارادها للغناء فمكية " [٦]

اما الاماء فقد كلفت باعمال شاقة فهي في الاسر الراقية تقوم بالطبخ ولوازمه، قال طرفه بن العبد :

تبيت اماء الحّي تطهي قدورنا   ويأوي الينا الاشعث المتجرف [١]

---

[١] اغربة العرب : وهم الذين جاءهم السواد من قبل امهاتهم منهم عنترة بن شداد ، وضفاف بن عمير وسليك بن السلكة . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٤٠/٨ .

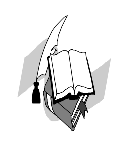
[٢] ديوان عنترة بن شداد ، ص٥٣ ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص١٥٣ .

[٣] الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص٢٥٣ .

[٤] السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ص٣٨٥ .

[٥] علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٤٦ .

[٦] شري الرقيق وتقليب العبيد ، ص٣٢٥ .



وهي تقوم بالطحن والخبز والخدمات المنزلية كافة فقد روى عن دريد بن الصمة انه عندما اسن وشاخ وكل به قومه امة تخدمه [٢].

روي عن ماوية زوجة حاتم الطائي انها ارسلت له جاريتها تخبره بقدوم اضياف ليرسل لهم مايحتاجون اليه فقال :

ايا ابنة عبدالله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس والورد
اذا ماصنعت الزاد فالتمسي له اكيلاً فاني لست اكله وحدي [٣]

وقال شاعر :

فقلت لعبدينا اديرا رحاكما فقد جاء رجاف العشي جرور [٤]

كذلك فان الاماء يقمن بالتحطيب وقطع الاخشاب يقول طرفة بذلك :

لاارى الا النعام به كالاماء اشرفت حزمه [٥]

وقول قيس بن الخطيم :

اصابت سراة الاغر سيوفنا وغودر اولاد الاماء الحواطب [٦].

ويتم عتق العبد اذ عمل عملاً كبيراً وادى خدمات عظيمة كما ذكرنا او قد يتفق مع سيده على شراء حريته بالمال ، فيكتب بذلك عهداً ويطلق على العبد المتحرر بهذه الطريقة (المكاتب) وتعني (الفرض) وفي قوله تعالى " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " [٧] أي فرض عليكم وهي ان يفرض المولى على عبده اداء مبلغاً لقاء عتقه [٨]وربما يعتق بتوصية من سيده قبل مماته تقرباً للالهة ،

---

[١] ديوان طرفه بن العبد ، شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت، ١٩٦١) ، ص٦٨ .

[٢] علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٦٢ .

[٣] ديوان حاتم الطائي ، ص٤٣ ؛ على الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٦٢ .

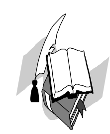
[٤] نقائض جرير والفرزدق ، ٣٤/١ .

[٥] ديوان طرفة بن العبد ، ص٨٥ .

[٦] ديوان قيس بن الخطيم ، ص٩١ .

[٧] سورة البقرة ٢، الاية ١٨٣ .

[٨] عبدالسلام الترمانتي ، الرق ، ص٨٥ .



وهذا مايطلق عليه (المدبر) [1]. وربما يتخذ السيد عتيقة ابناً له وفي هذه الحال لايحق للسيد ان يتزوج زوجة متبناه [2].

وكان بعض الرقيق من اصل عربي اذ تأسر القبيلة بعض افراد قبيلة اخرى في غارة من غاراتهم ثم تسترق هذا بالسبي والعنف والقوة وتبيعهم في اسواق الجزيرة بالمال الى المشترين من تجار القبائل ، فمثلما كانت الحروب غايتها الاستيلاء على اكبر قدر من الغنائم والاسرى ، كانت النساء اللائي لاتفديهن قبائلهن ، يصبحن اماء للقبيلة التي اسرتهن [3]. وعرفت تجارة العبيد باسم النخاسة ، وقد كان عبدالله بن جدعان تاجر للرقيق او نخاساً بل اكبر تجار قريش. ودليل على اهمية النخاسة في مكة ورواجها بين قريش وجود سوق الرقيق الذي نظم خصيصاً لهذا النوع من التجارة عند جبل ابي قبيس قبل جبل فاضح [4].

وتعددت جنسيات اولئك الرقيق فمنهم الحبشي والفارسي والرومي ، واجاد البعض من الرقيق الابيض القراءة والكتابة [5].

ويذكر ان الرقيق كان يباع في اسواق خاصة ، وفيه يعرض النخاسون تجارتهم ويصنفون رقيقهم الى زمر وتعرف كل زمرة بمزاياها وخواصها ويقف الرقيق على منصة ليراهم الشارون : وينادي النخاس عليه ويمتدح مزاياه ومايحسنه وتجري المزاودة عليه فيشتريه من يدفع فيه ثمناً اغلى [6]. ومن طريف مايذكر في هذا الصدد ماذكره القزويني " ان بعض التجار اشترى مملوكاً حسن الصورة بثمن بالغ فلما غاب عنه بائعه ، وجده جارية " [7].

---

[1] ابن الاثير الجزري،مجد الدين ابي السعادات (ت ٦٠٦هـ)،النهاية في غريب الحديث والاثر، تح: طاهر احمد الراوي و محمود محمد الطناجي،دار احياء التراث العربي،(بيروت ، بلا. ت)، ١/ ٤٣ . ٤٤ .

[2] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٤ .

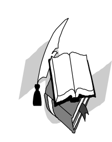
[3] ناصر الدين اسد ، القيان والغناء ، ص٣٦ .

[4] الازرقي ، اخبار مكة ، ٨١/١.

[5] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥٨٩/٦.

[6] عبدالسلام الترمانيني ، الرق ، ص١٠٦ . ينظر : البغدادي ، رسالة في شري الرقيق، نوادر المخطوطات ، ص٣٤٧ .

[7] اثار البلاد واخبار العباد ، ص٥٣١ .



وكان للمشتري الحق ان يقلب العبد او الامة بنظره ويده ، وكان النخاسون يلجأون الى الحيلة والتدليس في اخفاء العيوب ولاسيما الاماء ، فيعمدون الى تغير البشرة فيحيلون السمراء الى ذهبية اللون ويجعدون الشعور السبطة ويسبطون الشعور المجعدة ويسمنون الاعضاء الهزيلة (١).

ولم يكن للرقيق اية حقوق مادية او معنوية ، ولا حقوق اجتماعية ولا سياسية فليس لهم حقوق مدنية اذ يعمل هؤلاء بقوت يومي أي بمأكلهم وملبسهم وسكنهم مقابل الاعمال العديدة الملقاة على عواتقهم ، وكانوا سلاحاً يستخدم للدفاع عن السادة ايام السلم والحرب (٢).

لذلك زادت الحاجة لهؤلاء العبيد فأخذت الاسر الغنية تشتريه وتصتفيهم وتختارهم ،فاصبح عاملاً مهماً من عوامل الرفاهية عند الطبقات المترفة في الحواضر الثلاث ، ونرى في الجانب الاخر أي الجانب الاجتماعي عمل الرقيق على انحلال الاسرة والمجتمع بما اشاعت تلك الطبقة من انحلال في تلك المجتمعات واشاعت الرذيلة واللهو والفساد .

زد على ذلك ان المعروف عن الرقيق اذا ما انفعل عبر عن انفعاله في غير تحرج،وكان العرب يعرفون ذلك فيهم ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم خرج الى حنين في عبيد الحبشة " ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زنوا " (٣).

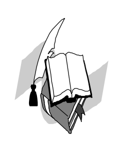
لكن هذه الطبقة عاشت عيشة سيئة لذلك نرى لهذا الوضع السيء سرعة استجابة هؤلاء للدعوة الاسلامية ، لان الاسلام قد قام بثورة اجتماعية ، مما كان له الاثر الواضح في نفوس هؤلاء فالاسلام ساوى بين السيد والعبد والناس كلهم لادم وادم من تراب ، لذلك فان الاسلام انتشل هذه الطبقة من الظلمات الى النور فسارعوا للاسلام ، وهذا مانلمسه جلياً من خلال اسلام مجموعة كبيرة من العبيد في الاسلام فقد كانوا مقاتلين اشداء مؤمنين حتى اصبح للبعض شأن كبير .

---

(١) عبدالسلام الترمانيني ، الرق ، ص١٠٦ .

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ١١٨/٤ ومابعدها.

(٣)ينظر : الهيثمي ، علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، (القاهرة وبيروت ، ١٤٠٧هـ) ، ٢٣٥/٤ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٦٥/١ ؛ الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار القلم ، (بيروت ، ١٩٧٢) ، ص١٥٧ .



شرائح المجتمع

لقد عاشت العرب كغيرها من الامم متفاوته في شرائحها ففيها الغني المترف وفيها الفقير البائس وذلك يعود بالدرجة الاولى الى تلك البيئة الصحراوية التي خلقت تلك الشرائح .

اولاً. الاغنياء

ان المجتمع القبلي من وجهة النظر الاقتصادية مجتمع بسيط التكوين يتألف من ثلاث طبقات ، طبقة المال من التجار واصحاب الابل الذين تتركز في ايديهم الثروة وتتحكم رؤوس اموالهم في الحياة الاقتصادية والطبقة الثانية التي تتألف من صغار التجار واهل الحرف وهم افضل حالاً من الطبقة الثالثة وهم الفقراء الذين لم يستطيعوا المشاركة في النشاط التجاري ، وكانت الهوة الاقتصادية بين هؤلاء قد بلغت حداً كبيراً مما ادى الى اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي ، فشكلت طبقة الاغنياء طبقة متميزة في المجتمع الحجازي ، وكانت لهم السيادة والسيطرة في مجتمعهم ، وكان المال الذي يعد وسيلة التعامل الاقتصادي في المجتمع ، ويختلف مفهومه باختلاف البيئة الاجتماعية والمال فيه يكون فك الاسرى ، ويمهرون زواجهم ، ويدفعون ديات قتلاهم لذلك سموها (النعم) [١]، وكان الاغنياء قد كسبوا اموالهم وكونوا ثرواتهم من اشتغالهم بالتجارة او اشتغالهم بالزراعة ، وكانوا اثرياء العرب قلة اذا ماقيسوا بفقرائهم ، وتكونت هذه الطبقة من كبار التجار والمرابين ومالكي المزارع ، وكثيراً ما كان الواحد منهم يجمع مابين عدة انشطة اقتصادية فلا يقتصر عمله على نشاط واحد [٢]. وكان هؤلاء يرتبط بعضهم ببعض بالمصالح المشتركة [٣]، ولقد بلغ هؤلاء من صور الغنى ارفع الدرجات ، فيذكر ان عبدالله بن جدعان كان ثرياً جداً الى درجة انه يأكل ويشرب بآنية من الذهب والفضة حتى عرف بحاسي الذهب [٤]، ومن مظاهر ثراء قريش ان عثمان بن عفان رضى الله عنه جهز وحده جيش

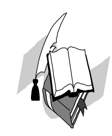
---

[١] النعم : الابل خاصة ، والانعام الابل والبقر والغنم .ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٨٥/١٢ مادة (نعم) . ينظر : الخربوطلي ، علي حسين ، المجتمع العربي ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص٢٩ .

[٢] عبدالكريم خليل ، قريش من القبيلة الى الدولة المركزية ، ص٣٠٠ .

[٣] احمد عباس صالح ، اليمين واليسار ، ص٢٤ .

[٤] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٨٧/١ ؛ جاد المولى وآخرون ، ايام العرب ، ص٢٤٨ .



العسرة(تبوك)بتسعمائة وخمسين بعيراً واتمها الفاً بخمسين فرساً ،وهو الذي اشترى بئر رومة [1] في يثرب ، اشترى نصفها اول الامر باثنى عشر الف درهم فجعله للمسلمين ثم اشترى النصف الثانية بثمانية الاف درهم [2] ، ولقد صور النابغة ترف هذه الطبقة فيصف ملابسهم وثيابهم .

رقاق النعال طيب حجزاتهم　　يحيون بالريحان يوم السباسب

تحييهم بيض الولائد بينهم　　واكسيه الاضريح فوق المشاجب

يصونون اجساداً قديما نعيمها　　بخالصة الاردان خضر المناكب [3]

ومن سادات يثرب قبل الاسلام سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد بن عبادة ومالك بن العجلان[4] ومن سادات الطائف عبد ياليل واخوته (حبيبا) و (مسعودا) و (ربيعة) و (كنانة) وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيره الثقفي .وكانوا اثرياء أجوداً يطمعون بالرياح [5] وبنو علاج من البيوت القديمة المعروفة بالطائف [6] ، ويذكر الطبري ان عروة بن مسعود وهو من وجوه الطائف [7].

وكان هؤلاء الاغنياء من هو ذو حس وعاطفة فعطفوا على المحتاج واطعموا الناس فمثلاً هاشم بن عبد مناف وكان من سادات قريش اذ اصابت قريشاً سنوات قحط فكان يقوم بنحر الابل ويقدمها الى اهل مكة فيشبعهم فسمى هاشماً وفيه يقول ابن الزبعري :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه　　ورجال مكة مسنتون عجاف [8]

---

[1] بئر رومة في يثرب وكانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين وله بها مشرب في الجنة فاشتراها عثمان بن عفان رضى الله عنه بعشرين الفاً . ينظر : البكري ، معجم مااستعجم ، ٦٥٨/٢؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٧٤ .

[2] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٨٣ .

[3] ديوان النابغة ، ص٥٣ .

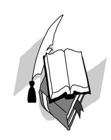
[4] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٩٠/٣ . ٩٣ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ١٣٧/٤ .

[5] ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٦٠ .

[6] ابن دريد ، الاشتقاق ، ٣٠٥/١ .

[7] تاريخ الرسل ، ٣ / ٨٢ ومابعدها .

[8] ابن سعد ، الطبقات ، ٧٦/١؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٦٤/١ .



ويروى ان رجلين من بني سليم دخلا مكة معتمرين في سنة فقالا:" فما وجدنا بها شواءًولا قرى ، فبينما نحن كذلك اذ رأينا قوماً يمضون ، فقلنا اين يريد هؤلاء القوم ، فقيل لنايريدون الطعام ، فمضينا في جملتهم حتى اتينا داراً فولجناها ، فاذا رجل آدم على سرير وعليه حلة سوداء ، واذا جفان مملوءة خبزاً ولحماً فقعدنا فأكلنا وشبعنا ... وسألنا عن صاحب الطعام فاذا هو ابو جهل بن هشام " [١].

وكان حكيم بن حزام بن خويلد وهو من اشهر تجار مكة ذو شرف ومال كثيراً وكان يضع ماله في صناعة البر ومعالجته قبل الاسلام وكان ذا ثروة طائلة ولكنه لم يكتنزها ، بل كان جواداً كريماً حتى انه قاسم الفقراء وذووي الحاجات ارباح تجارته [٢] . وممن اطعم الناس وكان يفتح بيته للضيوف ولا يمنع جائعاً من دخول داره ، وكانت له جفان يأكل منها القائم والراكب [٣] ، وكان منهم من يبخل بماله فلا ينفقه على المحتاجين والمساكين ، وكان منهم من يعتذر عن بخله وحرصه بقوله تعالى " فذلك الذي يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين " [٤]وقال احد بني الخزرج :

الخالطين فقيرهم بغنيهم　　　والباذلين عطاءهم للسائل [٥]

وكانت الايلاف من اهم العوامل التي ادت الى ازدهار تجارة المكيين ، والذي تم به انتقال تجار مكة الى بقية الاقاليم ، وتذكر المصادر ان ابناء عبد مناف ادوا دوراً مهماً ومؤثراً في مساعدة الفقراء والمحتاجين وتعد فكرة الايلاف من المشاريع التي سعت الى تحقيق نوع من التوازن الاجتماعي في مكة من خلال اشراك الفقراء في هذه السياسة ، مقابل بعض الحصص في الارباح نظير اعمالهم [٦].

---

[١] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٤٠ . جفن : اعظم مايكون من القصاع والجمع جفان . ابن منظور ، لسان العرب ، ٨٩/١٣ مادة (جفن) .

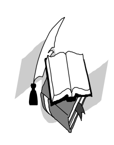
[٢] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٨٣/٥ . ٨٤ .

[٣] العصامي ، سمط النجوم ، ١٩٩/١ .

[٤] سورة الماعون ١٠٧ ، الاية ٢،٣ .

[٥] شرح حماسة التبريزي ، ٢٨٩/٢.

[٦] كستر ، م . ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : د. يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص٥٠ . ٥١ .



لقد كان من نتائج هذا التطور الاقتصادي الذي شهده المجتمع الحضري عامة ، والمكي خاصة ، شيوع مظاهر الغنى والترف والاسراف وظهور فئات عديدة مستقلة تسعى لخدمة مصالحها بلا مراعاة لمصالح الاخرين ، وقد ادى ذلك الى ظهور نمط اجتماعي لا تستند مقوماته الى المبادئ العليا القديمة القائمة على مبدأ التكافل الاجتماعي ، وانما اصبح الثراء الفردي هو القيمة العليا في المجتمع [١]، ففي المجتمع اليثربي كان بعض سادات القبائل واغنيائها ينعمون بحياة وعيش رغيد يتطاولون في امتلاك الثروات والضياع ، يتهافتون في اقتناء الدور والحصون والعبيد ، وقد مهدت لهم ثرواتهم سبل العيش واللذة فعمرت دورهم بمجالس الطرب والشراب ، ولم يكن ذلك الا مظهراً من مظاهر الثراء والترف [٢]

ومن مظاهر الثراء والترف الاهتمام بالمظهر الخارجي وحسن الهندام ، فقد اهتم القرشيون على وجه الخصوص بمظهرهم وحسن هندامهم ، فاقتنوا الملابس الجميلة ، بل اتخذوا كل مايزين في الملبس خاصة ، فلبس عبدالمطلب العمامة فزادته هيبة مظهر ، وهيبة شخصياتهم وجمالهم [٣].وكان امر تنظيم البيع والشراء منعدماً ، فنجد مثلاً في اسواق يثرب لم تكن هناك رقابة رادعة على التجار الذين يغشون في الكيل ويحتالون على الناس [٤]وقد تغير الامر بظهور الاسلام اذ نزلت آيات خاصة بضبط المكاييل[٥] والموازين وقد مارس اهل يثرب ومكة اعمال الصيرفة وكانوا يعدونها نوعاً من التجارة [٦].

---

[١] مكسيم،رودنسون ، حياة النبي (ص) والمشكلة الاجتماعية لاصول الاسلام ، ترجمة : زينب رضوان،مجلة الفكر العربي (الاستشراق)، السنة الخامسة ، العدد/٣، (بيروت ، ١٩٨٣)، ص١٣ .

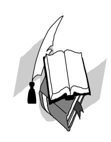
[٢] جميل سعيد ، تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية الى ابي نؤاس ، مطبعة الاعتقاد ،(مصر ، ١٩٤٥) ، ص٢٨ ومابعدها .

[٣] ابن حبيب ، المحبر ، ص٢١ . ٢٢ .

[٤] ابن حجر ، الاصابة ، ٣٦/٤ .

[٥]منها قوله تعالى"اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين"الشعراء٢٦،الاية١٨١،وقوله تعالى"والسماء رفعها ووضع الميزان،الاتطغوا في الميزان"سورة الرحمن ٥٥،الاية٧،٨.ينظر : سورة المطففين ٨٣، الاية ١. ٣ .

[٦] الكتاني ، التراتيب الادارية ، ٣٥/٢ .



وكان في مكة ويثرب والطائف مرابون محترفون ليس لهم سوى العيش على الربا [١]، وقد كان الربا مظهراً من مظاهر الحياة الاقتصادية والتجارية ووسيلة من وسائل التعامل في المجتمع العربي عامة ، وفي المدن خاصة وكان يزاول في مكة ويثرب مزاولة كبيرة بين اهلها انفسهم وبينهم وبين الوافدين اليهم ، وكان وسيلة من وسائل زيادة الثروة وقد مارسه العرب واليهود على حد السواء ، فقد ذكرت الروايات ان احية بن الجلاح احد زعماء الاوس كان يتعامل بالربا حتى مع قومه من الاوس حتى كاد يحيط باموالهم فكان له تسع وتسعون بئراً [٢]، ومنهم من كان يبغي المال والكسب،لذلك كان يقامر بكل مايملك في سبيل الحصول على المال للمياسرة،وروى عن ابن عباس"كان الرجل في الجاهلية . قبل الاسلام . يخاطر على اهله وماله " في سبيل المياسرة [٣].

ويعد الربا تلك الاعمال التي كانوا يتعاملون بها واعمال الصيرفة قائمة على بيع الذهب بالفضة يداً بيد ، وفي بعض الاحيان يكون البيع بالنسأ او التأخير ولم يكن شائعاً [٤].

لقد كان لتجار القبائل سواء في مكة ام يثرب ام الطائف دور كبير ساهم في ازدهار رواج التجارة في اسواقها [٥]وقد ذكر ان عبدالرحمن بن عوف لما هاجر الى المدينة (يثرب) قال : دلوني على السوق حيث اشتغل بالتجارة فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام [٦].وكان من امكانيات الاثرياء ، ان امتلك اثرياء مكة المزارع الخاصة بهم في الطائف ، وذلك للعلاقات المتينة

---

[١] كحالة ، عمر رضا ، مباحث اجتماعية ، ص١٠٢ . ١٠٣ .

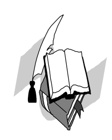
[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ٥١/١٥ ؛ البغدادي ، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبدالسلام هارون ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، ١٩٨٨) ، ٣٣٧/٣ ؛ سعيد الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مطابع دار الفكر ، (دمشق ، ١٩٦٠) ، ص٦٢ .

[٣] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٥٣/٣ ؛ على جواد ، المفصل في تاريخ العرب ، ١٢٧/٥ .

[٤] الكتاني ، التراتيب الادارية ، ٣٦/٢ .

[٥] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١١٤/٣ . ١١٥ . ينظر : الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص٣٩ . ٤٠ .

[٦] الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ٥٠/١ .



الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تربط مكة بالطائف ، فامتلك عمرو بن العاص مزرعة كروم كبيرة بالوهط كلفته الف درهم ثمناً لخشب عرائش العنب وبلغ عددها الف عريش [(١)] وكان للعباس بن عبدالمطلب كرم بالطائف وكان يداين اهل الطائف على زبيبهم [(٢)]كذلك فقد لعبت الاسواق التجارية دوراً مهماً في اشاعة التعامل بين المدينة والبادية [(٣)]. فضلاً عن البيع والشراء فقد ادت الاسواق دوراً مهماً في حياة الجزيرة قبل الاسلام ، فقد كانت وسيلة للتقارب بين العادات والاتجاهات ، وعنصراً فاعلاً في تقريب الشعور واحداث نوع من الاتجاهات العامة ، كما قامت في تنشيط حركة التجارة وفي بث الثقافة ، فضلاً عن اثرها في التقريب بين اللهجات [(٤)] فضلاً عن انها سبب لاينكر في ازدهار الحياة الاجتماعية من خلال خلق وشائج الصلة مع المناطق والبلدان الاخرى،وعلى الرغم من ان الهدف الاساس من اقامتها هو التجارة الا انها تطورت مع تقادم الزمن فاصبحت ظاهرة اقتصادية وادبية واجتماعية لانها تنمي ضروباً من العادات او الشعائر المشتركة بين القبائل [(٥)]،ومن مصادر ثرائهم الاخرى الغزو والغارات المتعددة،وكان لهذه الغزوات الاثر المهم في الحصول على المال [(٦)].

لقد برز التفاوت في الثروة والانقسام الاجتماعي في حواضر الحجاز ايضاً ، فمكة التي هي مدينة تجارية كانت تضم فئة التجار والذين كان منهم التاجر الكبير والصغير ، واذا كان هناك تفاوت بين الناس في يثرب والطائف الا انه بالتأكيد دون حدة التفاوت في مكة بحكم ان الزراعة تعمل على تجزئة الثروة وتقلل من الفوارق ، على حين تسعى التجارة لخلق تفاوت عن طريق تنمية الثروة [(٧)] .

[(١)] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣٨٦/٥ .

[(٢)] الازرقي ، اخبار مكة ، ١١٤/١ . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧٥ .

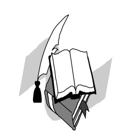
[(٣)] نجد في القرآن الكريم اشارات الى معرفة العرب للنقد بقوله " وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين " سورة يوسف ١٢، الآية ٢٠ . ينظر : سورة آل عمران ٣، الآية ٧٥ .

[(٤)] الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص٤١ .

[(٥)] الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية ، ص٢٢٢ .

[(٦)] احمد الحوفي ، الحياة العربية ، ص٣٠٣

[(٧)] ياسين ، نجمان ، تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، مطبعة بيت الموصل ، (الموصل ، ١٩٨٨) ، ص٦٥ .



نستخلص مما تقدم ان هذا الثراء تحول الى ضروب من الترف والنعيم فاكلوا وشربوا في اواني الذهب والفضة ، ولبسوا السندس والديباج والاستبرق ومقطعات الخز [١]والحرير والحلل الموشاة [٢].

ثانياً الطبقات العامة

نشأت هذه الفئة بين فئتي الاغنياء والفقراء ، وقد ظهرت نتيجة للتطور الاجتماعي ، وتتألف هذه الفئة من صغار التجار واهل الحرف واصحاب قطعان الماشية ، وكان الكثير من اشراف مكة يجمعون بين الحرفة والتجارة فكان ابو طالب بن عبدالمطلب يبيع العطر وكان ابو بكر رضى الله عنه بزازاً والعوام خياطاً ، وعقبة بن ابي معيط خماراً وكان ابو سفيان بن حرب يبيع الزيت والجلود المدبوغة التي كانت تسمى الادم ومنهم من كان يعمل بصناعة النسيج اليدوي [٣]. ولم تقتصر هذه الحرف والاعمال على الرجال فقط وانما كان بعض النساء يعملن في هذا المضمار فكانت الحنظلية ام ابي جهل تعمل في بيع العطور [٤]وهناك مهن اقل شأناً ومنزلة مارسها بعضهم في يثرب مثل مهنة الحجام [٥]وكذلك الجزار ويدعى احياناً لحاماً [٦] ومهنة الخياط [٧] ومهنة حفر القبور وقد يسمى الحفار نباشاً [٨]وعرف اهل يثرب السقاء وكان يحمل الماء للناس على ظهره او على الابل ، واحياناً كان يؤجر نفسه ليستخرج الماء في البئر بالدلو على كل دلو تمرة [٩] وكان لبعض النساء نشاط مهني يتلاءم مع تقاليد المجتمع ، فكان هناك من النساء الماشطة والقابلة

---

[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ٥/ ٦٦ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٦/٤ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٢١/١ ، ٢٧٨ ، ٢٩/١١ .

[٣] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٤٩ ، ٢٥٠ .

[٤] الاصفهاني ، الاغاني ، ٦٥/١ .

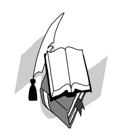
[٥] ابن حجر ، الاصابة ، ١٠٤/٢ .

[٦] ابن حجر ،الاصابة،١٠٢/٤. واللحام بصفة المبالغة بائع اللحم.ينظر :الكتاني، التراتيب الادارية ، ١٠٦/٢ .

[٧] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٩١/١ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، الادارية ، ٢/ ٦٠ .

[٨] واطلق لفظ نباش ، وفيما بعد على صغار القبور لغرض السرقة . ينظر : ابن حجر ، الاصابة ، ٦٧/١ ؛ الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص٧٦٩ .

[٩] ابن حجر ، الاصابة ، ٢٩٧/٣، ٢٩٨ .



والمرضعة [١] وقد عرفت المدينة (يثرب) صناعة النسيج الا انها كانت تمارس على نطاق ضيق ، وكان يقوم بها بعض النساء في البيوت [٢] كذلك حرفة الدباغة وحرفة البناء وضرب الطين او الطوب ، فضلاً عن البراعة في التخطيط ومعرفة القواعد الصحيحة لجعل الاساس وصف الطوب [٣].

ثالثاً الفقراء والمعدمين

شكلت هذه الفئة الاغلبية الساحقة في المجتمع سواءاً في مكة المجتمع التجاري ام يثرب والطائف المجتمعات الزراعية ، فعاشوا في المستوى المعيشي السحيق نفسه وهم لايمتلكون الا قوت عملهم فهم يعملون بالاجرة اليومية لدى غيرهم ،اما في حراسة القافلة وادارتها او غيرها من الاعمال التي يؤجر عليها صاحبها [٤]واكثر هؤلاء لم يجدوا قوت يومهم ، فهم يحيون في ضنك من العيش وقد تصل بهم الحال الى الاعتزال في مكان ما للموت جوعاً ويطلق عليه (الاعتقاد)[٥] وقد فضل عروة الموت على الحياة الذليلة التي شعر فيها بقوله :

اذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح   عليه ولم تعطف عليه اقاربه
فللموت خير للفتى من حياته   فقيراً ومن مولًى تدب عقاربه [٦]

ونشأت عن الفقر حالتان من الرق بيع النفس والاولاد،وافتقار المدين [٧].وقد كان قسم من الفقراء يستدينون ويكون موعدهم الهلال حتى انهم كانوا اذا رأوا الهلال

---

[١] الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص٧٤٧،٧٥١ ،

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤٥٤/١ ؛ الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص٧٠٧ .

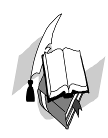
[٣] السمهودي ، وفاء الوفا ، ٣٣٣/١ . ٣٣٤ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، ٧٥/٢ .

[٤] صالح عباس ، اليمين واليسار ، ص٢٦ .

[٥] ذلك ان قريشاً كانوا اذا اصابت احدهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع معروف فضربوا على انفسهم خباءًفماتوا . ينظر : القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ٢/ ٢٤٠ ؛ الصالحي ، محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : الدكتور مصطفى عبدالواحد ، مطابع الاهرام التجارية ، (القاهرة ، ١٩٧٢) ، ٣١٧/١ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٨٠/٥ .

[٦] شرح ديوان عروة بن الورد ، ص١٩ .

[٧] عبدالسلام الترمانيني ، الرق ، ص٤٤ .



قالوا : لامرحباً بمحل الدين ومقرب الاجال ، وذلك لانهم كانوا يتواعدون في دفع الديون على مطالع القمر [(١)].

وكانت طبقة العبيد من بيض وسود في وضع اجتماعي سيء ، فقد سلبتهم . ان جاز التعبير . الارستقراطية العربية والمؤمنة ايماناً عميقاً برابطة الدم كل مايمكن ان يكون لهم من حقوق وفرضت عليهم من الواجبات ما ارهق كواهلهم واهدر انسانيتهم وباعدت بينهم وبين الحياة الاجتماعية الكريمة وضيقت عليهم النطاق في حياة ذليلة مهينه على هامش المجتمع .

فكان من الطبيعي ان تتمرد هذه الطبقة وتفّر الى الصحراء ولم يكن امامها غير طريق القوة حتى تستعيد مكانتها ، فاخذت تثأر من المجتمع الذي ابى عليها حقها في الحياة ،فخرجت وانتشرت من هذه الاوضاع طبقة الصعاليك ، والصعلكة في اللغة : الفقير الذي لامال له ولا اعتماد ، قال حاتم الطائي :

عنينا زماناً بالتصعلك والغنى كما الدهر في ايامه العسر واليسر

فما زادنا بأوا على ذي قرابةٍ غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر [(٢)]

وتكونت الصعاليك من مخلوعي القبائل وشذاذها ومن هجنائها واغربتها ومن فقرائها المتمردين الذين فارقوا قبائلهم ليؤلفوا فيما بينهم مجتمعاً فوضوياً متمرداً يتخذ من الغزو والغارات وسائل للحياة ومن السلب والنهب وقطع الطريق اساليب للعيش يجمعهم هدفاً مشتركاً هو الفقر والتشرد ، ويصف تأبط شراً وهو من مشاهير الصعاليك نفسه بقوله :

شامس في القرِّ حتى اذا ما ذكت الشعرى فبرد وظل

ظاعن بالحزم حتى اذا ما حلَّ حل الحزُم حيث يحل

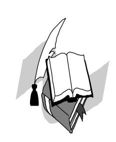
غيث مزنٍ غامر حيث يجدي واذا يسطوفليث ابل

مسبل في الحي احوى رفلّ واذا يغزو فسمع ازل [(٣)]

[(١)] الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٨٦/٧ مادة (هلل) ، ٧٢/٩ مادة (نجم) .

[(٢)] ديوان حاتم الطائي ، ص٥١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٥٥/١ ، ٤٥٦ مادة (صعلك) .

[(٣)] ديوان تأبط شراً ، ص٢٤٩ .



ونتيجة لتلك الظروف برزت فئة اخرى على النقيض من الصعلكة والمتمثلة بالفتوة [١] وكانت الفتوة في عرفهم تقوم على السخاء والكرم والحرية المطلقة واتلاف المال في الجد والهزل ، على ان هؤلاء الفتيان يمثلون ابناء الذوات واولاد الاصول العريقة والمرموقين [٢]كأمرئ القيس وطرفة بن العبد الذي وصفهم بقوله:

اذا القوم قالوا من فتى خلت انني   عنيت فلم اكسل ولم اتبلد

احلت عليها بالقطيع فا جذمت   وقد خب آل الامعز المتوقد

فذالت كما ذالت وليدة مجلسٍ   تري ربها اذيال كل ممدد

ولست بحلال التلاع مخافة   ولكن متى يسترفد القوم ارفد [٣]

والمتتبع لاشعار الصعاليك يجد فيه نزعة انسانية حاولت ان تجد حلاً لمشكلة الفقر في هذا المجتمع بما فرضته من حق للفقراء في اموال الاغنياء ، وكان من اهدافهم تحقيق الحرية للجميع والمساواة ، فضلاً عن ذلك فهم سجلوا اراءهم الاجتماعية والاقتصادية ومايملأ نفوسهم من احساس بالفقر وشعور بالظلم والاضطهاد والذل والهوان ، وعللوا لثورتهم التي اثاروها ضد مجتمعهم ، وفسروا الدوافع المختلفة التي دفعتهم اليها يقول عروة بن الورد يقول :

ذريني اطوف في البلاد لعلني   اخليك او اغنيك عن سوء محضري

فان فاز سهم للمنية لم اكن   جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر

وان فاز سهمي كفكم عن مقاعدٍ   لكم خلف ادبار البيوت ومنظر [٤]

ويحدثنا السليك في بعض شعره كيف كان يغمى عليه من الجوع في شهور الصيف حتى ليشرف على الموت والهلاك :

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة   وكدت لاسباب المنية اعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني   اذ قمت تغشاني ظلال فأسدف [١]

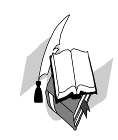
---

[١] عرف شباب ابناء الاغنياء والجاه بالفتيان ، ويراد به الشباب وقد تطلق على السخي الكريم وهو من (الفتوة) . ينظر : الزبيدي تاج العروس ، ١٠ / ٢٧٥ مادة (فتى) .

[٢] سمك ، محمد صالح،امير الشعراء في العصر القديم امرؤ القيس،دار النهضة،(مصر،١٩٢٩) ، ص٧٦ .

[٣] شرح ديوان طرفة ، ص٢٩ .

[٤] ديوان عروة بن الورد ، ص٣٦ .



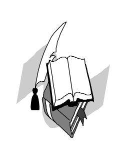
وكان من العرب من يساعد الفقراء والصعاليك بتقديم الخيل لهم للاغارة بها واكتساب الرزق عن طريق الغارات وروى عن الريان بن حريص العبدي " انه كان قد جعل فرسه (هراوة) موقوفه على الاغراب من قومه ، فكانوا يغزون عليها ويستفيدون المال ليتزوجوا ، فاذا استفاد واحد منهم مالاً واهلها دفعها الى اخر منهم فكانوا يتداولونها، فضربت مثلاً فقيل اعز من هراوة الاغراب " [٢] ومنهم من جعل في ماله يؤديها الى الفقراء على وجهه القرب الى الالهة ، او عن دافع انساني او عن حب للظهور والفخر [٣] .

---

[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٠ / ٣٧٨ . اعرف : اصبر . اسدف : اظلمت عيناه من الجوع . الاصفهاني ، الاغاني ، ٢/ ٣٧٨ .

[٢] ابن رشيق ، العمدة ، ٢/٢٣٥.

[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥/ ٨٧ .



الفصل الثالث
الحياة الاسرية

المبحث الأول
الأسرة

تعد الأسرة نواة التشكيل الاجتماعي فهي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع القبلي ، واساس تكوين القبيلة ذلك ان المثل الأعلى للعربي يتمثل بانجابه اكبر عدد من الأبناء الأشداء ، حتى تصبح أسرته بين أقاربه ذات شأن يجعلهم يعدونه شيخهم الأكبر ، ويدعون أنفسهم أبناءه . والذي يعنينا هنا ان افراد كل قبيلة كانوا يؤمنون بانهم أبناء لأب واحد ، فهم يؤلفون أسرة واحدة قائمة بذاتها لا اختلاط فيها متجانسة لا تباين بين أفرادها ويعمل الجميع لهدف واحد هو المحافظة عليها ، وقد نشأ عن هذا الإيمان بالأسرة ايماناً بوحدة اجتماعية تتغلل في نفوس أبناء القبيلة نشا عنه إحساسهم بالذوبان في هذه الوحدة احساساً قوياً [١]،وتتألف الأسرة من الأب والام والأبناء ويقوم نظامها على أساس النظام الأبوي * الذي يتمتع فيه رب الأسرة بنفوذ واسع فيها [٢]

وقددفعت هذه الأسباب إعطاء الرجل دوراً اكثر أهمية وتأثيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، في حين قل دور المرأة وضعف ليصبح واجبها الأساسي هو تربية الأبناء والاهتمام بشؤون البيت ، هذا في البادية ، اما في الحواضر فالوضع مختلف تماماً فقد شكلت المرأة أهمية كبيرة بفضل التطور الاقتصادي الذي شهده هذا المجتمع سواء المجتمع التجاري ام الزراعي والذي اثر الى حد كبير في طبيعة النظام الاجتماعي واوجد نوعاً من الاستقرار [٣].

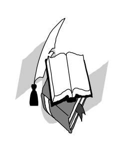
---

[١] خليف ، يوسف ، الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٦) ، ص٩١ .

* المجتمع الابوي : يعني ارجاع علاقة القرابة الى جماعة الذكور في الاسرة وذلك لاغراض اجتماعية . معجم علم الاجتماع ، ص٢٢٤ .

[٢] الهاشمي ، احمد ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء العرب ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٩٦٠) ، ٢/ ٧-٨ ؛ صالح احمد العلي ، محاضرات ، ص١٣٦ .

[٣] كحالة ، عمر رضا ، العرب من هم وماقيل عنهم ، (بيروت ، ١٩٧٩) ، ص١٢٥ ؛ احمد امين ، فجر الاسلام ، ص١١ .



ففي إطار مجتمع يثرب او الطائف الزراعي الذي يقوم على الأسرة بوصفها وحدة أساسية في الإنتاج أسهمت المرأة اسهاماً فاعلاً ، وبدأت تقوم بعمل مزدوج يجمع بين الحقل والبيت ، وهذا بدوره اكسب المرأة مكانة في نفوس الرجال ، وان التفاعل الاجتماعي في الحقل صقل شخصية المرأة واكسبها مزيداً من الخبرة والمعرفة [١] ناهيك عن المجتمع المكي ، ذلك المجتمع التجاري الذي لعبت المرأة فيه دوراً مهماً وفاعلاً من خلال المشاركة في ذلك النشاط الى جانب دورها ربة بيت ، ولانعدم ان تكون المرأة قد لعبت دور الوكيل لزوجها الذي كان ينتقل سعياً وراء الربح ، وهذا طبيعي في مجتمع قبلي ، فالرجل هو قوام الأسرة وربها والمسؤول عن حياتها ورزقها وشؤونها وهو المكلف بالحرب والدفاع والمطالب بالثأر وهو المخاطب في المسؤوليات الاجتماعية المتنوعة ، فهو اذن صاحب الرأي والكلمة والمظهر البارز ، على ان المرأة من حيث العموم ظلت تابعة للرجل ومنسوبة اليه وتحت حمايته ومسؤوليته .

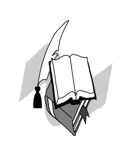
ويرى علماء الاجتماع انه ليس لاصطلاح الأسرة تعريف او معنى واضح متفق عليه ، ومع هذا يحاول كلاً من برجسن ولوك في كتابهما (الأسرة) تعريف الأسرة على انها جماعة من الأفراد تربطهم روابط قوية من صلات الزواج والدم والبنين تعيش في دار واحدة وتربط أعضاءها الأب والام والابن والبنت علاقات اجتماعية متماسكة أساسها المصالح والأهداف المشتركة [٢].

والأسرة من خلايا المجتمع الأساسية وهي العماد الهام الذي يقوم عليه البنيان الاجتماعي ، وتختلف وظائفها بالنسبة للماضي والحاضر ، وتختلف باختلاف المجتمعات ، على ان هناك وظائف عامة للأسرة لابد من توافرها لصالحها كنظام اجتماعي ولصالح المجتمع واستمراره ، ومن وظائفها إمداد المجتمع بالأعضاء الجدد من خلال الوظائف البيولوجية ، كإرضاء النزعات الجنسية ووظائف نفسية ، وعاطفية تتصل بتوفر الاستقرار والأمن والحماية لأعضاء الأسرة ، فضلاً عن

---

[١] الهاشمي ، علي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٦٠ ، ص١٨٥ .

[٢] دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، ص١٣٩. ١٤٠ .



الوظائف التربوية ، المتمثلة بالتنشئة الاجتماعية ، والأسرة اقدر الهيئات في المجتمع على القيام بذلك [١]

ومن المعروف ان مجالات الاختيار الحضاري عند الإنسان لا يحددها قانون ثابت وانما تنبثق هذه الاختيارات من خلال الحاجة والقدرة والتطور والشعور لتأكيد ان الإنسان جزء من تركيبة اجتماعية واقتصادية تتحرك في إطار واقع اجتماعي شاركت في بنائه تقاليد وأسهمت في تحديد تركيبة ضوابط وقيم ، وان تركيبة هذه الاختيارات دائماً تعيد أشكال الأطر الاجتماعية وتجعلها قادرة على الاستمرار ، ولكنها قد تختلف وتحدد قرابة الأشخاص من الواجبات والحقوق والعلاقات الاجتماعية المختلفة وعندها تجد القرابة مجالها للتشابك ، ودورها في التقارب ، وقدرتها في تأكيد المدلول الاجتماعي للتماسك والشعور بوحدة الانتماء في ظل هذه الحسابات تتحدد العلاقة داخل الأسرة وخارجها [٢].

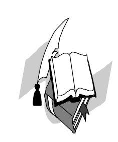
لقد شكل نظام الأبوة في مكة في حقبة ما قبل الإسلام النظام الأكثر شيوعاً ، فضلاً عن هذاان السيادة الأبوية كانت على ما يبدو عنصراً هاماً من عناصر التنظيم الاجتماعي في مكة في هذه الحقبة بدليل ان الوحدة الاجتماعية كانت القبيلة المبنية على أساس من علاقات النسب كما أسلفنا ، ونجزم أن هذا النظام كان السائد في مكة منذ زمن قصي بن كلاب ، الذي لم يكتنف قصة حياته وحياة أبنائه وأحفاده أي ظل او شك ، ولم يكن الحال نفسه بيثرب ، ولكن الأمر لا يخلو من بعض الشواذ فمثلاً اسم ابي كبشة كان من الأسماء المؤنثة الشائعة في يثرب ، ولم يكن كذلك في مكة وانه في بعض الكنيات اليثربية أسماء مؤنثة كاسم ابي لبابة ، ومن المؤكد ان اسم ابي كبشة الذي كان يطلق على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاعلاقة له اطلاقاً بابي كبشة الذي كان من موالي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي حارب في صفوف المسلمين في معركة بدر [٣]. وقد يكون السبب في إطلاق

---

[١] نور ، محمد عبدالمنعم ، المجتمع الانساني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، (القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص٦٤.٦٥ .

[٢] القيسي ، نوري حمودي ، النسب الى الام عند العرب بين نظام الامومة والطوطمية ، مجلة دراسات الاجيال ، السنة الاولى ، العدد ٢ ، ايار ١٩٨٠ ، ص٧٦.٧٧ .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٧٨/٢.



هذا الاسم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كني ابو كبشة فكناه أهل يثرب (المدينة) لاظهار نسبه بمدينتهم [1]على ان الأبوة كنظاماً يحدد العلاقات في المجتمع والأسرة في ظل النظام السائد الذي تجمع كل الدلائل على سيادته وثبوت أركانه في المجتمع المكي ومن الشواهد الإرث والثأر والزواج ، فالأب وزوجه يرتبط بعضهما ببعض بأواصر أسرية سابقة تأخذ نمطاً جديداً في التنظيم الأسري بعد المصاهرة يطلق عليه (العمومة والخؤولة) الذي يمثل الاتصال الجذري بانتماء ركني الأسرة ، ومن تجمع عدد من الأسر المنظوية تحت هذا التنظيم نشأت القبيلة ، وتختلف تلك الصلات في جذورها من مجتمع لآخر ، وبالرغم من ان الأسرة نظام اجتماعي عام كثير التباين والتفاوت بتباين المجتمعات البشرية وتفاوتها، الا إننا نجد ان بناءها يعتمد على دعامتين نشاهدهما في كل المجتمعات فالدعامة الأولى هي حاجة الإنسان الى ان يعيش في جماعة لان ضمان حياته وبقائه أمر جمعي اكثر منه أمر فردي ، اما الدعامة الثانية فتعود الى النوع الإنساني كله من اصل واحد مما جعل خصائصه البيولوجية متقاربة ومشتركة لذلك نجد تشابهاً في سلوكه وعاداته من ناحية الإطار العام والأساليب المتصلة بالأسرة كالزواج والأمومة والعناية بالأطفال [2].

ونجد ان بعض المجتمعات ترجعها الى خط الأب وهو ما يعرف بالنظام الأبوي ، وأخرى ترجعها الى خط الام وهو ما يطلق عليه النظام الأمومي الذي يعتمد محور الصلة فيه على الام وحدها وعلى هذا سارت الأقوام الجزرية القديمة جميعها ،ومنها الأمة العربية وتسير عليه الأمم الإسلامية في العصر الحاضر[3] فالاتصال الأسري يبدأ في الغالب بالأب ، وفي أحوال نادرة تتغلب فيه شهرة الام [4] ، ومن المعروف ان انتماء القبيلة الى اب واحد يعني ان اسمها مأخوذ من اسمه مثل مذهل وعامر وشيبان وعبد قيس وثقيف ونحوهم من أسماء القبائل العربية ، ولعل هذا الغالب في

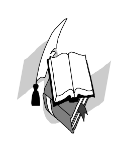
---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٠٩/١ . ينظر : ياقوت الحموي ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، الدار العربية للمطبوعات ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ٢٧/١.

[2] محمد عبدالمنعم ، المجتمع الانساني ، ص٦٢ .

[3] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٣٥٣/٤ .

[4] ينظر : مقالة الدكتور القيسي ، النسب الى الام ، ص٨٠.٨١ .



مسميات القبائل العربية عامة [١]وهناك طائفة من القبائل سميت باسم الام او لقبها في مثل خندف[٢] وبجيلة وبنو قيلة (الاوس والخزرج) وما شابهما [٣] وربما نسبت في تسميتها الى الحاضنة من ذلك قبيلة ضبنة وكذلك باهلة احتظنت أبناء معن بن اعصر فنسبوا اليها [٤].

والأسرة في اللغة أسرة الرجل ورهطه لانه يتقوى بهم وعشيرته الادنين وقال بعضهم عشيرة الرجل واهل بيته [٥] ، والبيت يعني : " أهل الرجل واخص الناس به " [٦]، والأهل : " أهل الرجل واهل الدار ، واهل الرجل اقرب أقاربه ، والمختلطون به وهم آله ، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري " [٧] ، وقال أمية بن ابي الصلت :

قومي ثقيف ان سألت واسرتي   وبهم ادافع ركن من عاداني [٨]

لقد صور لنا الشعر عند العرب قبل الإسلام الحياة الاجتماعية عامة ، وما تعلق منها بصلات الأسر التي تمثل عنوان الوجود العربي في بيئته القاسية التي تحفز على النصرة والتلاحم وتدعو الى الافتخار واظهار القوة والقدرة الجماعية ، ففيما ذكره عبدالله بن الزبعري مفتخراً بأسرته وقبيلته [٩].

لعمرك ما جاءت بكر عشيرتي   وان صالحت إخوانها لا ألومها

---

[١] ابن حزم ، جمهرة انساب ، ٣١٦/٢ ومابعدها ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص٤٠٤

[٢] خندف لقب لام مدركة : ليلى بنت حلوان بن عمران بن قضاعة ، والخندفه : المشي في سرعة وقد ذكر ان زوجها قال لها : وكانت مسرعة في طلب ابل اظلت لها علاما تتخدفين وقد وردت الابل فسميت خندفة . ابن دريد ، الاشتقاق ، ٤٢/١ .

[٣] القلقشندي ، نهاية الارب ، ص٤٠٤ . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، ٥١٥/٢ .

[٤] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٥٢/١٣ (ضبن) ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ٢٧٠/٢ .

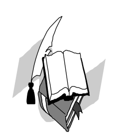
[٥] الزبيدي ، تاج العروس ، ١٢/٣ مادة (أسر) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٠/٤ مادة (أسر) .

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٩/١١ مادة (اهل)

[٧] سورة طه ٢٠، الآيات ٢٩، ٣٠ ، ٣١، ٣٢ . ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٨/١١ مادة (اهل) .

[٨] شرح ديوان امية بن ابي الصلت ، تعليق : سيف الدين الكاتب ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص٨٦ .

[٩] ان علماء الانساب العربية ، لم يستقروا على رأي محدد لمفهوم الصلات الاسرية كما انهم لم يتفقوا على ترتيب منسق للتنظيمات وبداية تطورها مما ادى الى صعوبة الاستقرار لتوكيد المحتوى والمفهوم .



يود جناة الشر ان سيوفنا بإيماننا مسلومـة لا نشيمها [١]

وقال عبيد بن الأبرص مفتخراً بقومه الذين قتلوا حجراً ابا الشاعر امرؤ القيس :

أتوعد اسرتي وتركت حجراً يريغ سواد عينيه الغراب

ابوا دين الملوك فهم لقاح اذا ندبوا الى حرب أجابوا [٢]

ولم نلمس من خلال النصوص الشعرية دلالـة الأسرة العددية ، ولكننا قد نلمس بعض المفاهيم المحددة من نصوص قليلة كقول لبيد وهو يفتخر باسرته وقد حددهم بقوله :

فعمي ابن الحيا وابو شريح وعمـي خالد حزم وجود

وجدي فارس الرعشاء منهم رئيـس لا اسرولا سنيد

وشارف في قرى الأرياف خالي واعطي فوق مايعطي الوفود

وجدت ابي ربيعاً لليتامى وللاضيـاف اذ حب الفئيد

وخالي خديم وابو زهير وزنباع ومولاهـم اسيد

وقيس رهط آل ابي اسيم فان قايست فانظـر ما تفيد

أولئك اسرتي فاجمع اليهم فما في شعبتيك لهم نديـد [٣]

وكان لبعض علماء الاجتماع قول آخر فقد وجدوا ان الأسرة كانت تنظم جميع افراد العشيرة اذ لا يوجد فرق عندهم بين مفهومي الأسرة والعشيرة [٤] لذلك ربط هؤلاء الاجتماعيون دلالة العشيرة برباط قدسي ديني دعوه بالطوطمية [١].

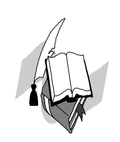
---

[١] ابن رشيق ، العمدة ، ٦٥/١ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٣/ ٨٤ . ٨٥ .

[٢] شرح ديوان عبيد بن الابرص ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص٤٤ .

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٤٥ ؛ شعراء النصرانية ، جمعه ونسقه الاب لويس شيخو اليسوعي ، دار المشرق ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص٦٤ . ينظر : ديوان حماسة التبريزي ، ٤٣١/١ ، ٤٣٢ .

[٤] معجم العلوم الاجتماعية ، نخبة من الاساتذة المصرين والعرب المتخصصين ، مراجعة : ابراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر ، ١٩٧٥) ، ص ٢٢٥ .



ويبدو من خلال النصوص التي بين أيدينا ان نظام الصلات الأسرية الذي يقوم على احتواء جميع الأقارب من ناحية الذكور تشترك فيه معظم الأمم التي تنتمي الى الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، فقد كانت الأسرة عند العرب قبل الإسلام " تنظم جميع الأقارب من ناحية الذكور " [٢] فالولد لا يلحق بابيه الا اذا رضي الاب ان يلحق به ، واذا اختصموا في مولود استفتوا أصنامهم عن حقيقته ، فيذكر ابن الكلبي " كان في جوف الكعبة : هبل وخريمة وقدامة سبع اقدح مكتوب في أولها صريح ، وفي الاخر ملصق ، فاذا شكوا في مولود ، اهدوا له هديةً ،ثم ضربوا بالقداح فأن خرج صريح الحقوه،وان خرج ملصق دفعوه" [٣] ، ولم يكن اقتناع الاب ببنوة الولد ملزماً له الى الابد في الاعتراف ، فقد كان بامكانه ان يطرده وهو مايسمى في مجتمعهم (بالخلع) [٤] كما مر .

سن الضعائن اباء لنا سلفوا فلن تبيد وللاباء ابناء [٥]

ولهذا الحق لم يكن للوِلِد الاعتراض على ما يفرضه ابوهم عليهم من حقوق ولا مخافة أوامره ونواهيه فيوسع والدهم فرض مايراه عليهم من عقوبات فلا يمنعه منها الا قوة الولد وتوسط الناس [٦] بقوله تعالى " ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم " [٧] وقد ورد في امثال العرب " الولد

---

[١] الطوطمية : هي اصل حيواني او نباتي تتخذه عشيرة ما رمزاً لها ولقباً لجميع ابنائها وتعتقد انها تؤلف معه ، وحدة اجتماعية وتنزلة وتنزل الامور التي ترمز اليه منزلة التقديس ، فاذا كان الذئب مثلاً طوطماً لعشيرة ما فمعنى ذلك انها تتخذه رمزاً يميزها عن غيرها من العشائر ويصبح لقباً يحمله ابناؤها جميعهم ، ومعظم الطواطم في الحيوان والنبات ، والحيواني اكثر من النباتي ، وربما كانت مرحلة عامة مرت بها المجتمعات الانسانية جميعاً . ينظر : ويلكن ، أ . ج ، الامومة عند العرب ، تعريب : بندلي الجوزي ،(قازان ، ١٩٠٢)،ص٤ ؛ علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص٧ ؛ معجم علماء الاجتماع ، ص٣٥٩ .

[٢] علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص٨ .

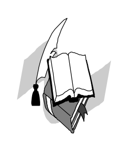
[٣] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٢٨ . ينظر : ابن حزم ، جمهرة النسب ، ص٤٩٢ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٦٧/٣.

[٤] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢٧/٣ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٤١٠/٤ .

[٥] ابن قتيبة، عيون الاخبار ، ١٠٧/٣ ؛ الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت٨٥٠هـ) ،المستطرف في كل فن مستطرف مراجعة : عبدالعزيز سيد الاهل، المشهد الحسيني ،(القاهرة ، بلا . ت) ، ٢١٢/١ .

[٦] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥٢٨/٥.

[٧] سورة الاحزاب ٣٣ ، الآية ٥ .



للفراش وللعاهر الحجر " [١]. وتتجلى العصبية بشدة في مجال الاسرة وبوضوح شديد ، لان الفرد دائم الاتصال باسرته في حين يخضع ارتباطه بقبيلته لمتطلبات المجتمع وظروف الحياة والمصالح المتبادلة بينه وبينها لذلك نجده في حيرة عندما يعتدي احد من ابناء قبيلته على احد افراد اسرته قال الشاعر :

قومي هم قتلوا اميم اخي   فاذا رميت يصيبني سهمي

ولئن عفوت لاعفون جللاً   ولئن مرعت لاوهنن عظمي [٢]

وتعد الصلات الاسرية من اقوى الروابط التي تربط الافراد بعضهم ببعض وتختلف هذه الصلات من حيث الشدة ، فالمجتمعات التي تسودها العصبية تغالي في قيمة الروابط الاسرية ، وتجعل لها المقام الاول في الحساب بالنسبة للاهداف التي تواجه الافراد في المواقف المختلفة [٣] .

فالعربي لايتراجع عن الثورة والانتقام لابناء اسرته لاسيما المقتول ان كان رئيساً لاسرته او من اقربائه الادنين ، كأن يكون اخاه اوعمه فلا يتوانى ان يقتل حتى خاله ثأراً لابيه فمما ذكر عن الهجرس بن كليب وائل انه قتل خاله جساس بن مرة وتراً لابيه مع ان خاله قد رباه وزوجه ابنته وقال مفتخراً :

اصاب ابي خالي وما انا بالذي   امثل امرئ بين خالي ووالدي

واوردت جساس بن مرة غصةً   اذ ما اعترتني حرها غير بارد [٤]

واذا ولد المولد سر اهله بميلاده والعرب مثل غيرهم من الشعوب القديمة كانوا يفرحون بميلاد ولد ذكر ، ويغتمون اذا ولدت لهم انثى ، ويقيمون وليمة لميلاده وكثرة البنين من المفاخر التي يفتخر بها العرب قبل الاسلام [٥] استناداً الى قوله تعالى" المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك " [٦].

---

[١] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/٤٢٩ . أي للفراش الذي يولد فوقه .

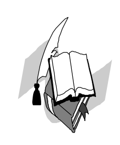
[٢] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣/٨٨ . ينظر : ديوان حماسة التبريزي ، ١/ ١٩٩ .

[٣] محمد عبد المنعم ، المجتمع الانساني ، ص٦٧ .

[٤] المزرباني ، ابو عبيدالله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) ، معجم الشعراء ، تح ، عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص٤٧١ ؛ الابشيهي ، المستظرف ، ٢١٢/١ .

[٥] جواد علي ، المفصل ، ٤/ ٦٥٠ .

[٦] سورة الكهف ١٨ ، الآية ٤٦ .



نخلص مما تقدم ان الاسرة هي اصغر وحدة اجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات ، وتتكون من الافراد الذين ينتسبون الى الاب ، اذ كان الاب هو رأس الاسرة وبيده تصريف جميع امورها وتعرف بالمجتمعات الابوية . وبما ان الاسرة شكلت العمود الاساس للقبيلة فمن هنا برز دور الابن فكان من اهتمامهم بالذكور انهم كانوا يربون ابناءهم على البطولة والمحامد وارادوا ان يوصوا اليهم بالقوة والشدة ظناً منهم ببناء ابناءهم اقوياء اشداء فتخيروا لهم اسماء فيها قوة ورهبة مثل اسد وثور وصخر رهبة لاعدائهم وكانوا يعزون الذكور لان الذكر يغني اذ لاتغنى الانثى " واذ بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسود وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هونٍ ام يدسه في التراب الا ساء مايحكمون " [١]

نعتقد أن العرب في تلك البيئة القاسية والظروف الصعبة والحروب المستمرة كانوا يرون ان للولد اهمية كبيرة سوف نستعرضها، فهو فضلاً عما تقدم، الوريث للاباء والمدافع عن حمى الديار ، فالارث في مكة كان ارثاً ابوياً يرث الابن بموجبه ما كان لابيه دون ان يكون للولد البكر اية حقوق تفوق حقوق بقية اخوته ، فزيادة على وراثة ابيه فقد كان له ايضاً ارث وظائفه ومظاهر سيادته ، فاولاد قصي بن كلاب واحفاده ورثوا وظائف ابيهم وجدهم وتمتعوا بمظاهر السيادة التي كانت له ، ومميزات اذا كان اهلاً لذلك ، ولم يقتصر الامر على قصي فقد ورث الوليد بن المغيرة مركز ابيه المغيرة سيد بني مخزوم ، وانتقلت هذه السيادة بعد ذلك الى ابن اخيه ابي جهل [٢] ، أي انهم ورثوا اباءهم لانهم كانوا اهل لذلك ، ثم تأتي بعد ذلك قاعدة الوراثة ، " وكان عبدالمطلب بن هاشم قد نذر ، حين لقى من قريش مالقي عند حفر بئر زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم عند الكعبة " [٣].

---

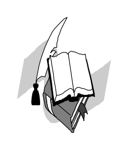
[١] سورة النحل ١٦ ، الآية ٥٨ . ٥٩ ، ومن امثال العرب لوصف الاخ واهميته :

اخاك اخاك ان من لااخاً له   كساع الى الهيجا بغير سلاح

ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، ١/ ٣٥ .

[٢] البلاذري ، انساب الاشراف ، ١/ ١٣٣ ؛ ابن دريد ،الاشتقاق ، ٩٨/١ ومابعدها .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٥١/١ .



وكذلك الحال بالنسبة للقبائل التي سكنت في مكة قبل عهد قصي ، فلما جاء قصي خاطب كنانة وقضاعة فقال : لنحن اولى بهذا منكم ، وتمكن بالفعل من الغلبة على ما كان بأيديهم ، معتقداً انه استرجع حقوق قومه [١].

ومما زاد من اهمية الولد القتال ، فمن المعروف ان المجتمعات في نظر علماء الاجتماع لديها اعمال تتدرج من البساطة والسهولة الى التعقيد والصعوبة، فالاعمال البسيطة تستطيع اداءها غالبية الافراد اما الاعمال المعقدة فلا يتسنى القيام بها الا لفئة محددة مما يترتب عليه النظر لهذه الاعمال على انها اكثر اهمية فهي تكسب الشجاعة والبطولة والشهرة [٢]

بلغ من اهتمامهم بالذكر منذ طفولته ان غرسوا فيه تعاليم ذلك المجتمع وكل الصفات الحميدة عند العرب قال الشاعر :

اذا المرء اعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد [٣]

وقال آخر :

وتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم [٤]

" وكان الرجل اذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل " [٥] ، ان المعاني التي تدل عليها الاسماء هو الخبرة وحرص العربي على تفسير كثير من مظاهر الحياة ، وموافقتها بطبيعة الحياة التي كانت تختار الاسماء بوصفها رموزاً للانسان ، فان الاسماء في كل اشكالها تمثل الخلاصة الحية للتجربة الانسانية التي تحاول ان تجسد مطامحها وتحقيق وجودها ويذكر الجاحظ "واعلم ان للعرب مذاهب في تسمية ابنائها فمنها ماسموه تفاؤلاً على اعدائهم نحو غالب وظالم ومعارك وثابت ، ومنها ماتفاءلوا به للابناء نحو بائل ووائل ومدرك وسالم وسعد وما اشبه ذلك منها ماسمي بالسباب ترهيباً لاعدائهم نحو اسد وليث وذئب وضرغام ، ومنها ما سمي بما اغلظ وخشن لمسه وموطنه مثل حجر وصخر وصندل ومنها ان الرجل كان يخرج

---

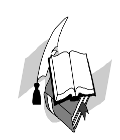
[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٢٣/١ .

[٢] محمد عبدالمنعم ، المجتمع الانساني ، ص٥٤ .

[٣] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١١٦/٢.

[٤] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١١٦/٢ .

[٥]الجاحظ ، الحيوان ،٣٢٤/١ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٣١٩/٣.



من منزله وامرأته تمخض فيسمى ابنه بأول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلب وصنب وكلب ...وكذلك ايضاً تسمى باول من يستح او يبرح لها من الطير نحو غراب " [1].

وبلغ من حبهم لاولادهم وحزنهم عليهم اذا هم فقدوهم فقال احدهم:"موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الابد " [2] وجاء بقوله تعالى فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه اليه في الولد "وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرني فرداً وانت خير الوارثين " [3]وقوله تعالى في كتابه الحكيم " واني خفت الموالي من وراءي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً " [4]. وقال اعرابي وهو يرقص ولده

احبه حب الشحيح ماله   قد كان ذاق الفقر ثم ناله [5]

وقول زهير بن ابي سلمى :

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم   قوم لاولهم يوماً اذا قعدوا

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم   طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا [6]

وقال عمرو بن زيد الكلبي يوصي ابنه :

ابني ازودني اذا فارقتني   في القبر راحلة برحل فاتر

للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا   مستوسقين معاً لحشر الحاشر [7]

واما اولادهم من الاماء فكانوا يستعبدونهم ، الا اذا انجب الولد فحينئذ يعترف به ابوه كما وقع لعنترة بن شداد والا بقي ، وكان من عادة نساء العرب ان لايرضعن

---

[1] ينظر : الحيوان ، ٢٤٠/١ ، ١٨٤/٢ ، ٢١٩/٢ ، ٤٣٩/٣ ، ٢٩١/٤ ، ٤٦٤/٦ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،٢٢٨/٧ مادة (مخض) ؛ الفيروز ابادي ، تحفة الابيه فيمن نسب الى غير ابيه ، نوادر المخطوطات ، ص٩٧.

[2] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١١٨/٢ .

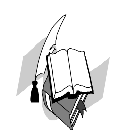
[3] سورة الانبياء ٢١، الآية ٨٩.

[4] سورة مريم ١٩ ، الاية ٥ ، ٦ . .

[5] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ١١٩/٢.

[6] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص٢٦ .

[7] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٤ .



اولاد غيرهن لان ذلك عار عندهم فتجوع المرأة الشريفة النفس ولا تأجر نفسها للرضاع ولذلك جرى في المثل عندهم " تجوع الحرة ولاتأكل بثديها " [١].

وعلى الرغم من انتشار الاسترضاع ، واحتراف بعض النسوة له والتماس الاجر عليه ، لم تحترفه القرشية فلم تسترضع قط ، ومن هنا نفهم وبصورة عامة ان الاسترضاع كان في البوادي ، ولذلك التمسوا المراضع خارج المدن حرصاً منهن على تنشئة الاطفال في البادية لاكتساب قوة الجسد وفصاحة اللسان ، ومما هو جدير بالذكر ان تقوم النسوة من ذوي القربى بارضاع اولاد بعضهن البعض وهذه هي الاخوة بالرضاعة ، وكان حمزة بن عبدالمطلب عماً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم واخاً له في الرضاع [٢].ان لهذه المكانة المتميزة للولد في نفس ابيه دور ايجابي ، لكن بالمقابل فان الولد اذا اساء اتجاه ابيه فانه لن يتردد في خلعه " وكان الرجل اذا غلبه ابنه اتى به الى الموسم ثم نادى ياايها الناس الا اني خلفت ابني هذا فان جرَّ لم اضمن وان جُرّ عليه لا اطلب أي قد تبرأت منه فكان لايؤخذ بعد ذلك على جرائره " [٣].لكن تبقى محبة الاب للابن هي الصفة الغالبة ، فقد ذكر ان عبدالمطلب اخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ولادته وحمله الى البيت واخذ يطوف به ، واحاط به بقوة وهو يقول :

الحمد لله الذي اعطاني ... هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... اعيذه ذي الاركان
حتى اراه بالغ البنيان ... اعيذه من سر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان [٤]

ولاهمية الولد عند العرب قبل الاسلام فقد ذكر ان ام ضرار اول عربية كست البيت بالحرير والديباج واصناف الكسوة،وذلك ان ابنها العباس رضى الله عنه ضّل

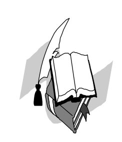
---

[١] الميداني ، مجمع الامثال ، ١٢٩/١ ؛ التوحيدي ، ابي حيان ، البصائر والذخائر ، تح : احمد امين واحمد الصقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (مصر ، ١٩٥٣) ، ص٢٥٠ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٠٨/١ .

[٣] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢٨/٣ ؛ الطرابلسي ، نوفل ، صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، ١٩٨٢) ، ص٧٠.

[٤] البلاذري ، انساب الاشراف ، ١/ ٨١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٠٣/١ .



وهو صبي فنذرت لوجدته تكسو البيت فوجدته فوفت بنذرها [١]. وكانوا يفاخرون بالولد اذا كانت امه حرة زاكية الاصل ويسمونها ام البنين [٢].

ان حب الاباء المفرط لابنائهم قابله طاعة الابناء واحترامهم لهم ، ولدينا في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تصور لنا هذه الناحية ، ولعل ادق تعبير لهذا الاحترام في قصة اسماعيل عليه السلام عندما اجاب اباه ابراهيم عليه السلام انى ارى في المنام اني اذبحك اجابه " قال ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين " [٣].

ولو استثنينا هؤلاء كونهم من الانبياء فاننا سنجد الكثير من الامثلة في الحقب اللاحقة ، ويروى ان عبدالله بن عبدالمطلب قد تعرضت له امرأة من بني اسد وهي رقية اخت ورقة بن نوفل عندما جرت عليه عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه " انّى تذهب ياعبدالله قال مع ابي ، قالت : لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علّي فرفض وقال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه ثم تركها وذهب مع ابيه ليزوجه امنه بنت وهب " [٤].

ولم يقف الحب عند الوالد لابنه فقط ، بل امتد ليشمل حب الولد لابيه وافتخاره به ، هذا امية بن ابي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان وهو في مرضه قائلاً :

انت الجواد ابن الجواد   بكم ينافر من ينافر

اباؤك الشمُّ المراجيح   المساميح الاخاير [٥]

نخلص من ذلك كله الى ان المجتمع العربي قبل الاسلام كان مجتمعاً ابوياً على عكس ماذهب اليه بعض المستشرقين [١] ، والذين حاولوا تأكيد شيوع الامومة

---

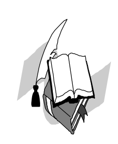
[١] ضرار بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي هو اخو العباس لام واحدة هي نتيلة بنت جناب بن كليب ببن مالك بن النمر بن ماسط . الزبيري ، نسب قريش ، ص١٨ ؛ ياقوت الحموي ، المقتضب ، ص٢٧ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص١٠٩ .

[٢] البستاني ، بطرس ، ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، دار المكشوف ودار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص٢٣ .

[٣] سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٠٢ . ينظر : سورة يوسف ١٢ ، الاية ٢١ ، ١٠٠ ؛ سورة ابراهيم ١٤ ، الآية ٤١ .

[٤] ابن اسحاق ، السيرة والمغازي ، ص٤٢ . ٤٤ .

[٥] ديوان امية بن ابي الصلت ، ص٣٩ .



عند العرب . وقد بنوا هذه الافكار من خلال جمع اشتات من الاخبار المتفرقة من الاحداث والوقائع تمت الى عصر قبل الاسلام محاولين تعليل كل ظاهرة يرونها عند قوم او فئة بانها تمسك بنظام الامومة فاذا ورث الرجل ابن اخته عدوا ذلك من اثار نظام الامومة ، ان الملاحظة الهامة في محال القرابة عن طريق الزواج ان المكيين كانوا لايسوون بين اقربائهم لابيهم واقاربهم لامهم ، وقد نجد في بعض الحالات وهي التي لايمكن حسبانها قاعدة ، فهي حالات فردية ، على ان لا نترك الظواهر الاجتماعية السائدة والاعراف المتداولة والتقاليد التي بنى عليها المجتمع نظامه ، فنجد مثلاً الكثيريين كانوا لايفرقون بين القرابتين ، وكثيراً ما كانوا يقدمون نسبهم لامهم على نسبهم لابيهم ، فبعض القبائل تنسب صراحة الى امرأة كبني هذيلة وبني فعالة ، حتى ان الاوس والخزرج كثيراً ما كانوا يدعون قبل الاسلام ببني قيلة نسبة الى امرأة يعتقدون انهم انحدروا منها [٢]. ونسب بني دهن بن وديعة من ثقيف الى امهم وائلة [٣] وكان بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن هوازن ينسبون الى امهم سلول [٤] .

واذا كانت القبائل تنسب الى نسوة فان بعض الافراد ايضاً كانوا ينتسبون الى نسوة هن في الغالب امهاتهم مثل معاذ وعوف ومعاوذ ابناء عفرة ، وعبدالله بن ابي الذي يعرف بعبدالله بن سلول نسبه الى جدته سلول ، من الامثلة المعروفة ، وكان من تأثير هذه التسميات انها انتقلت الى يهود يثرب ايضاً في هذه الحقبة ، ومثال على ذلك كعب بن الاشرف العربي الاب واليهودي الام ، خير ما يضرب للدلالة على ماقدمناه فكعب ينسب الى بني النضير اليهودية وهي قبيلة امه في حين ان اباه من قبيلة عربية [٥].ان نسبة الابناء الى امهاتهم لاتعني بالضرورة وجود مرحلة

---

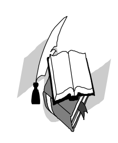
[١] لعل اكثر من تعرض لهذا الموضوع المستشرق ويلكن ، الامومة عند العرب ، ، ص٢٤ ومابعدها. ينظر: نيكلسن، تاريخ العرب الادبي ؛ بلاشير ، تاريخ الادب العربي .

[٢] ابن قتيبة،المعارف، ص٤٩؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص١٧٤؛ القلقشندي، نهاية الارب، ص٤٠٤ .

[٣] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣١ .

[٤] المرزباني ، ابي عبيدالله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ) ، اشعار النساء ، تح : سامي العاني وهلال ناجي ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره ، دار الرسالة للطباعة ، (بغداد ، ١٩٦٦) ، ص١٢٠ .

[٥] اليعقوبي ، تاريخ ، ٤٩/٢ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥١٤/٢ من قبيلة طيء .



الامومة على الرغم من العادات التي كانت تمارسها الامة والمنزلة الكبيرة التي حظيت بها المرأة والاهمية التي كانت تتمتع بها.

ويبدو لي ان النسب الى الام كان شائعاً في اماكن شتى في الحضر او البدو، وسواءكانت الام حرة ام امة ، واستمر النسب الى الام حتى صدر الاسلام ومابعده فقد كنوا الامام الحسين عليه السلام بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكريماً له بأمه [١]. كذلك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شد على المشركين يوم حنين وهو يقول انا ابن العواتك [٢] وهناك الكثير من اهل مكة من رجال قريش قد انتسبوا الى امهاتهم فينسب ابناء قيس بن عدي السهمي الى امهم الغيطلة الكاهنة فيقال لهم الغياطلة [٣] وكذلك فان ابناء عبد شمس بن عبد مناف ، امية الاصغر وعبد اميه ونوفل ، يطلق عليهم العبلات نسبة الى امهم عبلة بنت عبيد التميمية [٤] فضلاً عن ذلك فهناك عدد من الملوك قد انتسبوا الى امهاتهم مثل المنذر ابن ماء السماء وعمرو بن هند [٥].

وقد الف ابن حبيب كتاباً قيماً اسماه " من نسب الى امه من الشعراء " [٦] ومهما تكن فان نسبة الابناء الى امهاتهم لاتعني وجود مرحلة الامومة التي لاتزال اولياتها غير خاضعة لاحكام قاطعة ولا مقدماتها واقعة في اطار التجربة العلمية [٧] بل على العكس فان وجود الظاهرة بهذا الشكل واستمرار قبولها واستساغتها في التكوين الاجتماعي يعني اهمية المرأة وما وصلت اليه من علو المكانة عند العرب قبل الاسلام .

المرأة

---

(١) الالوسي ، بلوغ الارب ، ٣/ ١٩٦ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦١/١ . العواتك في كلام العرب امهات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرة وهن ثلاث عشر عاتكة . لمعرفة اسمائهن . ينظر : ابن سعد ، ١/ ٦١ . ٦٣ .

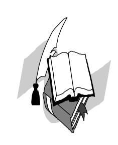
(٣) نقائض جرير والفرزدق ، ٤٠٣/١ .

(٤) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص١٠١ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٨٣ . ٢٨٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٠٤/٢ .

(٦) ضمن نوادر المخطوطات ، تح : عبد السلام هارون .

(٧) نوري القيسي ، النسب الى الام ، ص٨٢ .



لقد تباينت اراء الرواة والكتاب المسلمين حول حال المرأة العربية ومكانتها قبل الاسلام بصفة عامة ، فقد بالغ البعض منهم في رفع مكانتها وعلى العكس من ذلك انزلها البعض الاخر الى اسفل درجات التخلف والانحطاط ، او مانعتقده ان المرأة اخذت مكانتها واصبح لها امتيازات متعددة الجوانب مع بعض السلبيات التي تعد فعلاً وصمة في تاريخها والمتمثل بؤاد البنات ، وان لم تكن حالة عامة لكننا فيما عدا ذلك نلمس ان المرأة نالت حظاً وفيراً من الحرية والمشاركة في الامور في شتى النواحي الاجتماعية ، فعلى صعيد اسرتها كانت تشارك زوجها في كثير من اعمال الحياة اليومية ، فهي تهتم بامور بيتها وهي المسؤولة عنه ، وقامت علاقتها بزوجها على اساس من التفاهم والتكافؤ [١] وعلى الرغم من اختلاف طبيعة وظائف المرأة عن الرجل حسب التكوين الفسيولوجي والتشريحي لكليهما ، ولكن عليت مكانةً حتى شعرت بمساواتها للرجل ، فكلٌ منهما مكمل للآخر ، وطالبت مجتمعها الاعتراف لها بذلك فقالت احداهن :

يزجر لاهينا ونلحي على الصبا ومانحن والفتيان الا شقائق [٢]

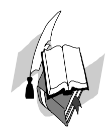
ومن امثال العرب " ان النساء شقائق الاقوام " [٣] وبلغ بهن شعورهن بمساواتهن للرجال في كثير من الحقوق ان عجب بعضهن من ان يذكر القرآن الكريم الرجال ويغفل النساء فيما يأمر وينهي ، وروى ان نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قلن له : لماذا يذكر المؤمنون ولا يذكر المؤمنات ، وقد حقق القرآن املهن اذ انزل الله تعالى " ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله

---

[١] احمد امين ، فجر الاسلام ، ص١٠ ؛ الحوفي ، احمد محمد ، المرأة في الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (القاهرة ، ١٩٨٠) ، ص٩٦ .

[٢] ابو علي القالي، الامالي ، ١٠٥/٢ .

[٣] الميداني ، مجمع الامثال ، ١/ ٤٨ .



كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً " [١] واقدم حكمهن " المرأة من المرء وكل ادماء من ادم " [٢].

وبلغ من اهمية المرأة واثرها في المجتمع ان اظهرت مؤهلات جيدة في الميادين الثقافية والاقتصادية فبرزت بعض التواجر مثل السيدة خديجة الكبرى ، التي كانت تستأجر الرجال في صفقاتها التجارية [٣] وكانت المرأة تشبه قومها اذ لم يثأروا ، بالنساء العواهر ، فلم يكفها ان يكونوا نساء ، فزادت هذا الوصف المستقر فقالت هند بن حذيفة في رثاء لاخيها حصن :

فان انتم لم توطئوا القوم غارة   يحدث عنها وارد بعد صادر
وترموا عقيلاً بالتي ليس بعدها   بقاء فكونوا كالنساء العواهر [٤]

لقد خاطب الرجل العربي المرأة فخوراً بشجاعته وكرمه واشهدها على حسن بلائه ومحامده قال عبد يغوث :

وقد علمت عرسي مليكة انني   انا الليث معدواً علّي وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطي   وامضي حيث لاحي ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي   واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت اذا ماالخيل شمصها القنا   لبيقاً بتصريف القناة بنانيا[٥]

فاشهد زوجه على شجاعته ُمهاجماً وَمهاجماً وقد تغنى الرجل العربي بفخره لانتصاره في الحرب ويهزأ باعدائه الذين ارادوا الانتصار عليهم ليسبوا نساءهم ، قال الحصين بن الحمام :

ولاغرو الا حين جاءت محارب   الينا بألف حارد قد تكتبا

---

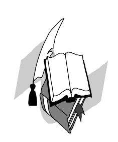
[١] سورة الاحزاب ١٣، الآية ٣٥ .

[٢] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/٣٤٤ .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/١٨٣ . ١٨٨ . ينظر : المرزباني ، اشعار النساء ، ص١٠٠ . خبر ضباعة بنت عامر .

[٤] ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر ، بلاغات النساء ، مطبعة والدة عباس الاول ، (مصر ، بلا . ت) ، ص١٧٤ .

[٥] المفضل الضبي ، ابو العباس المفضل بن محمد (ت١٦٨هـ) ، ديوان المفضليات ، تح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٤٢) ، ص١٥٨ .



موالي موالينا ليسبوا نساءنا   اثعلب قد جئتم بنكراء ثعلبا [1]

وكانت هناك منزلة سامية لبنات الاشراف والسادة ، فقد كانت لهن الحرية التامة في اختيار زواجهن ويقمن بتركهم اذا لم يحسنوا معاملتهن وكانت عصمة الزواج بايدي بعضهن [2]، وقد بلغ من منزلة شريفات النساء القرشيات حماية الرجال والمستجيرين بهن فقد أجارت سبيعة بنت عبد شمس من دخل دارها او دار جار لها من القيسين في يوم عكاظ [3] واجارت فكيهة بنت قتادة (خالة طرفة بن العبد) السليك ابن السلكة وقد مدحها بقوله :

لعمر ابيك والابناء تنتمي   لنعم اخت بنى عـورا

عنيت بها فكيهة حين قامت   لنصل السيف وانتزعوا الخمارا

من الخفرات لم تفضح اخاها   ولم ترفع لوالدها شنـارا [4]

ويقال ان هنداً بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعتقت في يوم اربعين رجلاً من عبيدها [5].

ومن مظاهر اعزاز المرأة ان كثيراً من الاباء كنوا باسماء بناتهم ، امثال ربيعة بن رباح والد زهير كنى (ابو سلمى) ومسافر بن ابي عمرو بن امية (ابو امية) والشاعر النابغة الذبياني سمي (ابو امامه) [6].

وشكلت المرأة جمالاً فاتناً وسمرة عربية جذابة فاصبحت مصدر الهام للرجل العربي ، فكانوا يبالغون في الغيرة على نسائهم حرصاً منهم على العرض ، وكان لايتقبل ان ينظر غيره الى هذه الفتنة التي تخصه وهي ملك له وحده [7]واثر المرأة في مجتمعها كبير جداً ، فضلاً عن دورها الرئيس في بيتها فقد تولت فض

---

[1] الضبي ، المفضليات ، ص٣١٧ ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص٢١٦.

[2] القالي ، ذيل الآمالي والنوادر ، ص١٥٣ .

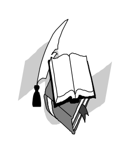
[3] جاد المولى وآخرون ، ايام العرب ، ص ٣٣٥ .

[4] ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٣٣ .

[5] الجاحظ ، عثمان بن عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، المحاسن والاضداد ، تصحيح : محمد امين الخانجي ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٤ ، ص٧٧ ؛ شوقي ضيف ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص١٥٢ .

[6] الاصفهاني ، الاغاني ، ٤٩/٨ ، ٣/١١ ، ٣٢٨ .

[7] احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٣٥ ؛ ديوارنت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب ، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص٣١٣ .



المنازعات والخلافات العائلية والقبلية كغيرها من الرجال [١] وفي اطار المجتمع اليثربي ذلك المجتمع الزراعي الذي يقوم على الاسرة بوصفها وحدة اساسية في الانتاج اسهمت فيها المرأة اسهاماً فاعلاً ، اذ بدأت تقوم بعمل مزدوج تجمع بين الحقل والبيت [٢].

وعلى الرغم من قوة شخصية المرأة ولاسيما القرشية لانها عاشت حياة الترف والنعيم ، وكذلك فانها عزيزة الجانب لكنها خاضعة في مراحل حياتها للرجل الاب والاخ والزوج والعم وابنه احياناً ، وقد عامل بعض الرجال نساءهم معاملة فيها غلظة وجفاء [٣].

وقد بالغ بعض رجال قريش في حبهم لبناتهم مثل الزبير بن عبدالمطلب :

ياحبذا ام الحكم كأنها ريم احم

يابعلها ماذا يشم ساهم فيها مسهم [٤]

وفي المقابل فان بعضهم يكره البنات كرهاً شديداً ، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى "واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون او يدسه في التراب " [٥] وقوله تعالى " ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين الا ساء ما يحكمون واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم " [٦]. فهذا ابو حمزة الضبي هجر امرأته لانها ولدت بنتاً ، وقد مر بخبائها يوماً واذا هي ترقصها وتقول :

مالأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبان الا نلد البنينا تالله ماذلك في ايدينا

وانما نأخذ ما اعطينا ونحن كالارض لزارعينا

---

[١] بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص٣٣ .

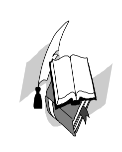
[٢] احمد امين ، فجر الاسلام ، ص١١ ؛ علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٨٥ .

[٣] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٢/ ٥٧ . ٥٨ .

[٤] القالي ، الامالي ، ١١٦/٢ .

[٥] سورة النحل ١٦ ، الآية ٥٨ . ٥٩ .

[٦] سورة الزخرف ٤٣، الآية ١٦ . ١٧ .



ننبت ماقد زرعوه فينا [1]

ولعل اكثر الابيات هزاً للعواطف في الشعر هي تلك التي يرغب فيها اب يصارع الفقر ان تموت ابنته فتنجو من جفاء اقاربها والفقر والجوع :

لولا اميمة لم اجزع من العدم   ولم اقاس الدجى في حندس الظلم

وزادني رغبةً في العيش معرفتي   ذل اليتيمة يجفوها ذو الرحم

احاذر الفقر يوماً ان يلم بها   فيهتك الستر عن لحم على وضمٍ

تهوي حياتي واهوى موتها شفقاً   والموت اكرم نزال على الحرم

اخشى فظاظة عم او جفاء اخ   وكنت ابقى عليها من اذى الكلم [2]

لقد مارس بعض العرب اسوأ ظاهرة اجتماعية وهي عادة وأد البنات على الرغم من ان حوادث الوأد كانت قليلة ولم تكن عامة ، وكان من العرب من ينكر هذه الفعلة ويبذل المال ليفتدئ المؤودات كما فعل صعصعة ابن ناجية جد الفرزدق :

منا الذي منع الوئدات   واحيا الوئيد فلم يوئد [3]

واذا ماحاولنا باحثين عن الدافع الى ذلك ، فلن نجد وان عدّوا الفقر او الخوف من السبي والاسر ، فهذه كبيرة بنت ابي سفيان فمن المؤكد انها لم تشتك فقراً ولم يكن دافعها الفقر ، نحن نعتقد ان ابناءها كانوا ذوي عاهات خصوصاً اذا ما عرفنا ان العرب " كانوا يتشاءمون من البنت الشيماء والبرشاء والزرقاء والكسحاء " [4].

وهناك الكثير من الآيات القرآنية تناولت هذه الظاهرة ولكن هذه الآيات حملت طابعاً اقتصادياً ، كقوله تعالى " لاتقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم " [5] ، ومنها ذات طابع ديني بحت اعتقاداً منهم ان البنت رجس من خلق الشيطان فينبغي التخلص منه كما في قوله تعالى " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم

---

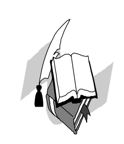
[1] الجاحظ ،البيان والتبين ، ١/ ١٨٦

[2] شرح ديوان حماسة التبريزي ، ١/ ١٠٠ . ١٠١ .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٤٠/١ ؛ نقائض جرير والفرزدق ، ١٧٥/١ . ١٧٦ .

[4] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٤٣/٣ .

[5] سورة الانعام ٦، الآية ١٥١ . ينظر : تفسير الطبري ، ١٥/ ٧٨ . ٧٩ .



شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون " [١]
وفي امثال العرب " تقديم الحرم من النعم " [٢].

ومهما قيل من اراء بشأن الوأد نعتقد ان الاسباب الانفة الذكر مجتمعة قد كانت سبباً في الوأد مستندين في ذلك الى ادق المعلومات وهو القرآن الكريم حسب ماورد فيه من آيات وهذا دليل قاطع على ان العار والسبي والفقر والجانب الديني هو السبب المباشر الى الوأد "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم " [٣] الوأد كان يقع في سنوات القحط والجدب في الحجاز ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل العدوي يحيي المؤدة فيقول للرجل اذا اراد ذلك " لاتقتلها انا اكفيك مؤونتها يأخذها منه " [٤].

وعلى الرغم من وجود هذه الحالة في بعض القبائل وبشكل ضيق فاننا لانستطيع ان نعدها حالة عامة عندالعرب ، على ان الوأد لايمكن ان يكون دليلاً على احتقار العرب للمرأة فان بعض الالهة كن بنات ، فضلاً عن ذلك ان المرأة كانت لها حقوق غير قليلة فكان لها الحق في امتلاك املاك خاصة ، وخير مثال على هذا السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحليلة بنت المهلهل التي كان لها غنم يرعاها اخوها زيد الخيل، ولاتفقد الزوجة هذه الحقوق بعد زواجها [٥].

لقد تغنى الشعراء قبل الاسلام بالنساء ، ومن يتتبع اشعار العرب قبل الاسلام يجزم ان المرأة العربية كانت تتمتع في ذلك العصر بقسط وافر من الحرية ، فكانت تشارك الرجل في كثير من الاعمال ، وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقي اكثر مما يتخيل الينا ، ويدل ذلك على افتخار الرجل بنسبه لامه كما يفخر بنسبه

---

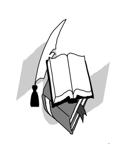
[١] سورة الانعام ٦، الآية ١٣٧ .

[٢] الميداني ، مجمع الامثال ، ٢٣٥/١ . يعنون البنات وقولهم (دفن البنات من المكرمات) .

[٣] سورة الانعام ، الآية ١٤٠ .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٤٠/١ . ينظر : نكلسن ، رينولد ، تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام ، ترجمة وتح : د. صفاء خلوصي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص١٥٢ .

[٥] زيد الخيل : هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن ثور بن كنانة بن مالك كان فارساً شجاعاً بعيد الصيت قبل الاسلام ، وسمي زيد الخيل لكثرة خيله . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٤٥/١٧ ، ٥٥٢.



لابيه ، ناهيك بما كان للمرأة العربية من الاثر الصالح في الاسلام [1]. يقول ربيعة بن عبد ياليل في امه قلابه الملقبة بالذيبة

انـي لمن انكرني ابن الذيبة كريمة عفيفة مسوية [2]

وهناك من الشعراء ممن لم يعرف العشق غير اننا وجدنا في شعره ذكراً لاسماء نساء كسلمى وليلى وغيرها من الاسماء [3] ولكن لاننسى الدور الطبيعي للمرأة والمتمثل بامومتها التي ادته بصورة كاملة اتجاه اسرتها وبيئتها فاشبعت حاجاتهم الطبيعية في حياتهم اليومية وامدتهم بنفح من نتاج عقلها وحكمتها ، وهذا هو الدور الطبيعي للام " فالعربية لاتنوم ولدها وهو يبكي خوف ان يسري الهم في جسده ويدب في عروقه ، ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور ، فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ، وشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء وتستبدل بكائه ضحكاً " [4] وقامت المرأة بدور الاب في احيان كثيرة في غيابه وبلغ من وفاء الكثير منهن ان احداهن رفضت الزواج بعد فراقه حرصاً على ابنائها ، كما فعلت ام هاني بنت ابي طالب عندما رفضت الزواج من ابن عمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خشية التفريط في حق ايتامها ووفاء لزوجها [5] ، ونائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه وخطبها معاوية بن ابي سفيان [6] وكان من العادة ان تلتزم الزوجة التي يتوفى عنها زوجها الحداد حولاً كاملاً ، فلا تخرج من بيتها ، ولا تعرض نفسها للزواج ، ولا تتطيب ، ولا تلبس ثياب الفرح ، ولا تتزين طول السنة ويسمى ذلك عدة الحداد ، وهذا يستلهم من الآية القرآنية "والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في

---

[1] حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ٦٤/١ .

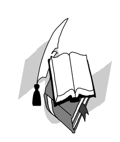
[2] ابن حبيب ، من نسب الى امه من الشعراء ، نوادر المخطوطات ، ص٩٠ .

[3] ينظر : ديوان امية بن الصبت ، ص٨١. ٨٢ .

[4] المسعودي ، مروج الذهب ، ١٣٤/٤ .

[5] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٩٦ . " كان زوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي " ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/ ٤٧ .

[6] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٩٦ .



مافعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم " [١] ثم يؤتى بدابة ، حمار او شاة او طير فتنقض به أي تتمسح به فقلما تفتض بشيء الامات ثم تخرج بعد ذلك فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع ما شاءت من طيب او غيره ، فنسخ ذلك الاسلام [٢]بقوله تعالى "والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً " [٣]واذا تزوجت المراة لاي سبب كان يكون لفشل في زواجها الاول او موت زوجها فاذا انجبت من الزواج الثاني تقوم بدور عظيم ورائع في تنشئة بنيها من الزوجين على المحبة والالفة لذا نلاحظ ان الاخوة لام واحدة اكثر محبة وائتلافاً من الاخوة لاب واحد [٤] يقول ابن نويره متمم في رثاء اخيه مالك فانشده :

فلما تفرقنا كأني ومالكاً   لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا   اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فان تكن الايام فرقن بيننا   فقد بان محموداً اخي حين ودعا [٥]

ويقول حسان بن ثابت

هلا عطفت على ابن امك اذ ثوى   قعص الاسنة ضائع الاسلاب [٦]

ولم يجد دريد بن الصمة في تصاريف الدهر اقسى من تفريقه بين الشخص وابن امه فيقول في رثاء اخيه عبدالله :

اعاذلتني كل امرئ وابن امةٍ   متاع كزاد الركب المتزود [٧]

وبلغ من اعتزاز العرب بالمرأة ولاسيما المتزوجة بمنزلة اجتماعية عالية " حيث كانوا لايعزون في المرأة الا ان تكون اماً "[٨] وتتمتع المرأة في يثرب بمكانة

---

[١] سورة البقرة ، الآية ٢٤٠ .

[٢] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤٣/١ . ينظر : التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ص٤٣ .

[٣] سورة البقرة ، الآية ٢٣٤ .

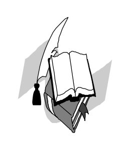
[٤] الاصفهاني ، الاغاني ، ٩/ ٧ ؛ الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٢٩ .

[٥] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٢١٤ ؛ الضبي ، المفضليات ، ص٢٦٧ .

[٦] قعص الاسنة : أي قتيل الاسنة . ديوان حسان بن ثابت ، ص٢٥ .

[٧] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٠ / ٨ ؛ الحوفي ، المرأة في الشعر ، ص١٢٩ .

[٨] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٢٦٤/٢ .



مستقلة فقد كن يبايعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بانفسهن وبشروط منبعثة من طبيعة المرأة ، ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بعد هجرته الى المدينة (يثرب) " كنا معشر قريش نغلب النساء،فلما قدمنا على الانصار اذ قوم تغلبهم نساءهم " [١]، وكان للمرأة احياناً ان تسمي ابناءها وتنسبهم اليها ، وكان لعشيرتها هذا الحق ، وقد استمر هذا الى قبيل الاسلام ، وكان الولد احياناً اذا ماكبر عاد الى قبيلة امه وانتسب اليها ، كما فعل زهير ابن ابي سلمى ، فقد كان بشامة بن الغدير خال ابيه ، فانقطع زهير اليه واختار اخواله ولما حضرت الوفاة بشامة جعل يقسم ماله في اهل بيته وبين بنى اخوته ، فاتاه زهير فقال : ياخالاه لو قسمت لي من مالك فقال والله يابن اختي لقد قسمت لي من مالك فقال والله يابن اختي لقد قسمت لك افضل ذلك واجزاله قال زهير وماهو ؟ قال شعري ورثتنيه ثم اخذاه نصيباً من ماله " [٢] واذا كان الاولاد قد مجدوا امهاتهم وباهو بعراقة حسبهن ، واذا كان العرب قد عظموا المنجبات ، وضربوهن مثلاً عالياً يحتذى به في مجتمع يقدر الام ويجل المرأة ، فانهم خلفوا ثاراً ادبية تكشف عن حب الام لبنيها وحسن تربيتها لهم وخالفت المرأة ايضاً مايدل على ادراكها لواجبها نحو بنيها وتعهدها لثمرات حياتها .

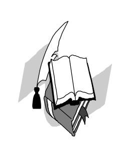
ونتيجة للتطور الاقتصادي الذي شهده المجتمع الحجازي بنمطيه التجاري والزراعي ، فقد اثر الى حد كبير في طبيعة النظام الاجتماعي واوجد نوعاً من الاستقرار والتفاعل الاجتماعي افادت منه المرأة بشكل كبير ، فقد ارتفعت مكانة المرأة في نفوس الرجال ، زد على ذلك كان من نتاج هذا التفاعل الاجتماعي ان صقلت شخصية المرأة واكتسبت المزيد من الخبرة والمعرفة في مجتمع يثرب والطائف ، اما في مكة فقد لعبتالمرأة دوراً مهماً وفاعلاً ، وهذا التميز نتج عن مشاركة بعض النساء في النشاط التجاري بجانب دورها كربة بيت ، فاصبحت تمتلك مؤهلات في الميادين الثقافية والاقتصادية [٣] ويذكر الازرقي " [١] ان ام انمار القارية تعيش

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٣٨/٨ ؛ صالح احمد العلي ، المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ص٢٣ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ٣١٢/١٠ ؛ ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص٢١٥ .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٨٣/١ . ١٨٨ .



في ضواحي مكة ويجتمع بها رجال قريش في فناء دارها تخالطهم وتشاركهم وقد وصفت بانها (برزة من النساء) ويقابل شهرة المرأة القرشية وفاعلية دورها في المجتمع ، ان وصمت سعدية الاسدية بالحمق وسميت(خرقاء مكة)وقد ذكرها القرآن الكريم"ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ انكاثاً " [٢].

ولعل اجمل وصف جاء في وصف المرأة وعفتها ما قاله الشنفرى [٣]

لقد اعجبتني لاسقوطاً قناعها　　　اذا مامشت ولا بذات تلفتِ
تبيت بعيد القوم تهدي عبوقها　　　لجارتها اذا الهدية قلتِ
تحل بمنجاةٍ من اللوم بيتها　　　اذا مابيوت بالمذمة حلتِ
كان لها في الارض نسياً تقصه　　　على امها وان تكلمك تبلتِ
اميمة لايخزى نثاها حليلها　　　اذا ذكر النسوان عفت وجلت
اذا هو امسى اب مرة عينه　　　مآب السعيد لم يسل اين ظلت
فدقت وجلت واسبكرت واكملت　　　فلو جن انسان من الحسن جنت

وقال شاعر اخر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها　　　وعيش بني الدنيا لقاء بناتها [٤]

وشاعر اخر يصف معزتهن وحب ابائهن لهن قائلاً :

لولا بنيات كزغب القطا　　　رددن من بعض الى بعضِ
لكان لي مضطرب واسع في　　　الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا　　　اكبادنا تمشي على الارض

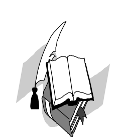
---

[١] اخبار مكة ، ٢/٢٥٥ . ٢٥٦ . وامرأة برزة : جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون عنها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/٣١٠ (برز) .

[٢] سورة النحل ١٦ ، الآية ٩٢ ؛ السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص٣٦٤ .

[٣] الشنفرى : من شعراء عصر ماقبل الاسلام من بني الحرث بن ربيعة بن الازد ، وسمي بالشنفرى لانه عظيم الشفة وهو ابن اخت الشاعر تأبط شراً من الشعراء الصعاليك. وفي هذه الابيات يصف المرأة واخلاقها وعفتها حتى انها اذا مشت لاتكثر التلفت من شدة الحياء ، حيث من شدة حيائها فانها اذا مشت كانها تطلب شيئاً منها قد اضاع وهي من الكرم مبلغ كبير حتى انها تهدي لجارتها العبوق وهو ما يشرب بالعشي في سنوات الجدب والقحط . الضبي ، المفضليات ، ص١٥٩ ؛ شرح حماسة التبريزي ، ١/١٨٨ . ينظر : نيكلسن ، تاريخ العرب الادبي ، ص١٥١

[٤] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢١٤ .



لوهبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض [١]

وفي يثرب حيث وجود اليهود الذين تأقلموا مع هذه الاوضاع ، واحتذوا بالعرب في فخارهم بامهاتهم ، فالسمؤال بن عاديا يفخر بانهم من امهات احسن حملهم اجنة ، ومن اباء كرمت عروقهم فكانوا في اعلى المراتب من ظهور الاباء الكرام وانحدروا منه الى بطون خير الامهات :

صفونا فلم نكدر واخلص سرنا اناث اطابت حملنا وفحول

علونا الى خير الظهور وحطنا لوقتٍ الى خير البطون نزول [٢]

وفي شعر قبل الاسلام كثير ما يصور هذا الميل المزدوج من التعلق لاهل الاب واهل الام معاً من هذا قول عنترة :

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت الفيت خيراً من معمم مخول [٣]

وكانوا يخاطبون الزوجة بخير الالقاب وكنى التعظيم قال حاتم الطائي لزوجته معدداً حسبها :

ايا ابنة عبدالله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

اذا ماصنعت الزاد فالتمسي له اكيلاً فأني لست اكله وحدي [٤]

من ذلك نلمس ان المرأة القرشية خاصة والحجازية عامة تمتعت بحرية في تعاملها مع المجتمع وشاركت في حياة مجتمعها باحداثها المختلفة وفي شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية فقد اثبتت المرأة وجودها وتعايشت مع الرجل بلا ضغوط حتى كانت مغالة في المجتمع ، فالامة التي تكون هذه حال نسائها وينبغ فيها نساء عرفن بالشجاعة والادب والرأي امة في قمة الرقي [٥]. وهذه المكانة المتميزة للمرأة اعطت للخؤولة مكانة كبيرة في النسب وكانوا

---

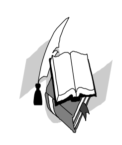
(١) شرح ديوان التبريزي ، ١٠٢/١ ؛ الاولاد المقصود بها الذكور والاناث .

(٢) شرح ديوان السمؤال ، ص٩١ ؛ شرح حماسة التبريزي ، ٢٩/١ . ٣٠ .

(٣) ديوان عنترة بن شداد ، ص٥٧ ؛ بيهم ، محمد جميل ، المرأة في التاريخ والشرائع ، (بيروت ، ١٩٢١) ، ص١٣٦ .

(٤) شرح ديوان حاتم الطائي ، ص٤٣ .

(٥) جرجي ، زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، (بلا مكان للطبع ، ١٩٣٦) ، ١/ ٣٢ .



يعتقدون ان اغلب صفات الولد تورث من خاله . فالعرب تقول" كل ذات صدار خاله "[1].

وقال الشاعر جرير يصف اخواله :

لاتطلبن خؤولة في تغلب　　　فالزنج اكرم منهم اخولاً [2]

وقد ذكر ابن الاخت في قصائدهم :

فلم ار جاراً وابن اخت وصاحباً　　　تكيد منا قبله ماتليدا

وكان الخال يرى في ابن اخته ولده ، والولد يرى في خاله اباه ويعرف له حقوقه ، وفي ذلك يقول الشاعر المرقش الاكبر * في رثائه لابن عمه ثعلبة بن عوف واستعطافه ملكاً من آل جفنه :

فنحن اخوالك عمرك　　　والخال له معاظم وحرم [3]

اما نصرة الخال لابن اخته ونصرة ابن الاخت لخاله فانها غالباً ما كانت تحدث بين القبائل المتباعدة الاصول ، ومن ذلك تأييد الخزرج وبني النجار لعبدالمطلب لان امه من بني النجار من الخزرج وخولتهم مكررة [4].

وقال امرؤ القيس مفاخراً بخاله

خالي ابن كبشة قد علمت مكانه　　　وابو يزيد ورهطه اعمامي [5]

ومن الطبيعي ان يشيد الولد بخاله ويباهي به لما لمسه من حنان ، قال الزبير بن عبدالمطلب لاخيه العباس وقد اقعده في حجره صغيراً واخذ يغني له مفتخراً باعمامهما واخوالهما :

ان اخي عباس عف ذو كرم　　　فيه عن العوراء ان قبلت حمم

---

[1] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/٥ .

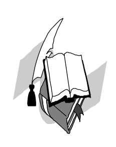
[2] ينظر : نقائض جرير والفرزدق ، ١/ ٢٤٧ ، ٥٩ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ ؛ نقائض جرير والاخطل ، ص ٨٨ .

* المرقش الاكبر : هو عمرو بن سعد بن مالك بن قيس بن جديلة وهو عم المرقش الاصغر والاصغر عم طرفة بن العبد لقب بالمرقش لقوله كما رقش في ظهر الاديم ، وهو من منتجبي العرب وفرسانهم . القالي ، الامالي ، ١١٥/٢ . ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص١٢٤.

[3] الضبي ، المفضليات ، ص٢٤٠ .

[4] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧ . ينظر : المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص١٩٧ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٦٤ . ٢٦٥ .

[5] ديوان امرؤ القيس ، ص١٧٩ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢٧٧ . ينظر : شعراء النصرانية ، ص٦٤ .



اكرم باعراقك من خالٍ وَعْمّ [١]

ومما تقدم نخلص الى القول ان العرب حفظوا لامهاتهم صنيعهن مثلما حفظوا لابائهم ذلك ، وادركوا حقوقهن عليهم فأدوها وكانوا اكثر براً لامهاتهم وحدباً عليهن ، وذلك يعود الى النشأة في احضان الام فهن اكثر لصوقاً بالطفل من الاب ، ويظهر ان هذا شعور عام في جميع الناس ، فقد جاء في شريعة مانو الهندي " الام اجدر بالاحترام من الف اب " [٢]ويذكر غوستاف لوبون وضع المرأة العربية قائلاً " ان العرب احترموا المرأة اكثر من اية امة ظهرت ، والمرأة في نظرهم من المخلوقات الصغيرة الجميلة الفاتنة " [٣].

وكانت تستشار في مهام الامور بل تشارك الرجل في كثير من اعماله وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقي اكثر مما يخيل الينا يدلل على ذلك افتخار الرجل بنسبه لامه كما يفخر بنسبة لابيه ، وبلغ من حبهم للمرأة سواء كانت ام او اختاً ام بنتاً او حبيبة ان بدأوا قصائدهم التي يفخرون فيها ، ناهيك بما كان للمرأة العربية من الاثر الصالح في الاسلام [٤] فكانت اول نفس بشرية آمنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي نفس ام المؤمنين خديجة ، وان كانت هي الاولى في الايمان فانها لم تكن الوحيدة فقد امن الكثيرات ، ومن اجل الاسلام تغربن عن اوطانهن مهاجرات الى الحبشة او الى يثرب .

---

[١] القالي ، الآمالي ، ٢/١١٥ .

[٢] لوبون ، غوستاف ، حضارة الهند ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة احياء الكتب العربية ، (مصر ، ١٩٤٨) ، ص٣٢٨ .

[٣] حضارة العرب ، ص٤٩٤ .

[٤] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ١/ ٦٤ .

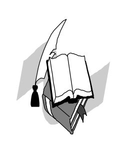


المبحث الثاني :

الزواج

يقال عن الزواج في الفقه الاسلامي (النكاح) ، والنكاح هو العقد في الاصل ثم استعير للجماع ، وقد عبر في القرآن الكريم عن الزواج في المعنى الشائع عندنا من (الزوج) والزوجية ، اما في حالة التزوج وعقد العقد لغرض الدخول على المرأة فقد عبر عن ذلك بـ (النكاح) ومن هنا اطلق الفقهاء على الزواج النكاح [١] لقد عرف العرب قبل الاسلام نظام الزواج ، ولم يكن جميع العرب يسيرون في الحقيقة على اعراف واحدة في قضية الزواج بل كانت السنن مختلفة وبحسب المناطق واختلاف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ولكن هذا الاضطراب سيزول لو عرفنا ان اساليب الزواج كانت مختلفة وصوره متعددة ، وانه تطور بتقدم الظروف الاجتماعية وتبعاً لهذه الظروف والبيئات والاحوال الاخرى ، ولكن ما هو متفق عليه

[١] النسائي ، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الحديث (القاهرة ، ١٩٨٧) ، ٢ / ٥٣ .



ان الزواج هو من اهم الافراح في حياة الانسان ، لما يمثله من مناسبة سعيدة ولهذا يحتفل به الناس عادة ، يرافقها اقامة المآدب ودعوة ذوي القرابة والاصدقاء لمشاركة الزوجين افراحهما ، ويذكر الدكتور جواد علي عن سمث زواج العرب ثلاثة اصناف ، زواج يكون في حدود القبيلة فلا يتعداه ، ولايسمح لرجال القبيلة الا بالزواج من بنات القبيلة ويعرف (بالزواج الداخلي) ، وزواج يفرض فيه على الرجل ان يتزوج امرأته من قبيلة اخرى وهو مايعرف (بالزواج الخارجي) ، وزواج يجمع الطريقتين المذكورتين ، أي الزواج من داخل القبيلة وخارجها [١] . ومما لاشك في ان المصاهرة كانت تولد صلات قوية بين الافراد والعشائر ، فقد كانت تقوي مابين الاقرباء وتقرب مابين البعداء وتطفيء نار العداوة والشحناء ، لانها صلة جديدة مختارة من شأنها ان تمزج المتصاهرين ، يقول خالد بن يزيد بن معاوية ، كان ابغض خلق الله عز وجل ألّي آل الزبير حتى تزوجت منهم رملة فصاروا احب خلق الله ألّي وفيها يقول :

احب بني العوام طراً لحبها ومن حبها احببت اخوالها كلبا [٢]

واذا نظرنا الى انواع الزواج عند العرب وجدنا ان العربي لم ينظر الى الزواج الخارجي من حيث هو الشريعة المطردة ، ومن خلال انواع الزواج قبل الاسلام يتبين انه لايقيد الرجل او المرأة بأن لايتزوجا من داخل قبيلتهما [٣].

ويطلق اسم الزواج على رابطة تقوم بين رجل وامرأة وينظمها العرف ويحل بموجبها للرجل (الزوج) ان يطأ المرأة ليستولدها وينشأ عن هذه الرابطة اسرة ، تترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والاولاد ، والغاية من الزواج هو استمرار الحياة في الاخلاق ويعبر عنه بالنكاح وهو الوطء الحلال لانه وسيلة الزواج وبه تتحقق غايته،وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم " وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم " [٤] وقوله تعالى"ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات

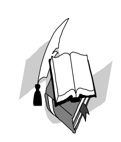
---

[١] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٦٢٩/٤ .

[٢] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ٧ .

[٣] خان ، محمد عبدالمعيد ، الاساطير العربية قبل الاسلام ، (القاهرة ، ١٩٣٧) ، ص٦٣ . ٦٤ .

[٤] سورة النور ٢٤ ، الآية ٣٢ .



المؤمنات"[١]وكان الزواج قبل الاسلام يسمى زواج البعولة [٢] وينشأ بالخطبة والمهر والعقد وقد اقره الاسلام ودعاه بالزواج الشرعي،ويعد الزواج المؤسسة التمهيدية المولدة للمؤسسة الرئيسة الاولى في بناء المجتمع العربي قبل الاسلام وهي الاسرة،ومن الاسرة الواسعة التي تضم تحت سلطة الاب مجموع الاولاد الذكور واسرهم والاحفاد الذكور واسرهم تكونت تدريجياً القبيلة [٣] .

ويشير الباحثون الاجتماعيون انه لم يكن لدى الرجل العربي لاسيما الاعرابي مايصرفه عن الغريزة الجنسية او مايُصعدَها ، لذا يبدأ منذ بلوغه بالتشبيب بالنساء وملاحقتهن ، وكان هذا التشبيب من امارات الرجولة لدى العرب قبل الاسلام [٤]. ومارس العرب تعدد الزوجات وقد عللها علماء الاجتماع بعوامل اجتماعية واقتصادية ، فاما ان تكون المرأة عاقراً او لا تلد سوى البنات ، فالمرأة في بعض الجماعات ولاسيما الزراعية تقوم باعمال كثيرة داخل المنزل ، وكان هذا الاعتقاد عند العرب قبل الاسلام " ويسمون ارضاع المرأة ولدها وهي حبلى الغيلة " [٥].

وقد كان من عادة اهل مكة اذا تزوج الرجل امرأة وهي ترضع طفلاً لاب غيره امتنع عن معاشرتها معاشرة زوجية طيلة مدة ارضاعها ، اعتقاداً منه بان هذه المعاشرة تضر بالرضيع في حين ان اليثربي كان لايرى في ذلك مايضر ، ويقال ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كان ينوي النهي عن الغيلة ولكنه عدل عن ذلك حين علم ان الفرس زالروم يمارسونها من غير ان تضر باطفالهم رغم ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم ينجز زواجه على ام سلمة ، كما يزعم ابن سعد ، حتى انتهت من ارضاع ابنتها زينب من زوجها ابي سلمة ، وكان الكثيرون يأنفون من

---

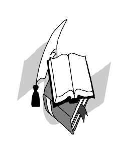
[١] سورة النساء ٤ ، الآية ٢٥ .

[٢] سمي زوج المرأة بعلاً لانه سيدها ومالكها ، وقوله تعالى "وهذا بعلي شيخاً " . ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/ ٥٨ مادة (بعل) .

[٣] الصباغ ، ليلى ، المرأة في التاريخ العربي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،(دمشق ، ١٩٧٥) ، ص١٣٤ .

[٤] ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص١٣٤ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/ ٥١٠ مادة (غيل) ؛ عبدالسلام الترمانيني ، الزواج في الجاهلية ، ص٢٥٣ .



معاشرة زوجاتهم الحوامل من ازواج غيرهم لانهم كانوا يعتقدون انهم ان فعلوا ذلك فانهم انما يسقون زرع رجل غيرهم [١].

وتتظاهر البعض من النساء بعدم المبالاة اذا علمت ان زوجها تزوج امرأة غيرها ، ويصف صاحب الامالي الزوجة حين علمت بزواج زوجها فقال :

خيروها بأنني قد تزوجت　　　فظلت تكاتم الغيظ سراً
ثم قالت لاختها ولاخرى　　　جزعاً ليته تزوج عشرا
واشارت الى نساء لديها　　　لاترى دونهن للسر سترا
مالقلبي كانه ليس مني　　　وعظامي اخال فيهن فتراً [٢]

واذا ما استثنينا مكة والطائف فلم يكن من المعتاد في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ولاسيما يثرب ان يكون للرجل اكثر من امرأة تعيش معه في بيته [٣] اما في مكة والطائف فكان تعدد الزوجات شائعاً لاسباب عدة وليس له علاقة بامتهان كرامة المرأة او انتقاص حقوقها ، ويذكر ابن حبيب اسماء عدد من الثقفيين تزوج كل منهم عشراً [٤] وعلى الرغم من فوائد تعدد الزوجات كما مر فانه لم يكن عاماً لانه كان يلقي على الرجل عبئاً اقتصادياً ، فضلاً عما يخلقه من مشاكل عائلية واجتماعية وما يحدثه من خصومات بين الضرائر ، ويذكر ان اهل الحرم أي مكة اول من اتخذ الضرائر [٥].

وقيل للرجل العزب الذي لازوج له الخالي قال امرؤ القيس :

كذبت لقد اصبي على المرء عرسه　　وامنع عرسي ان يزن بها الخالي [٦]

---

[١] ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/ ٩٠ .

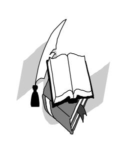
[٢] القالي ، الامالي ، ١٨٣/٢ .

[٣] ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٥٠/٨ . ١٥١ ؛ مونتغمري ، محمد في المدينة ، ص٤٢١ .

[٤] المحبر ، ص٣٥٧ ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص٤٩٧ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢ / ١٢١ مادة (حرم) ؛ صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٤٤ .

[٦] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٣٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣٩/١٤ مادة (خلا) .



وقد عرف العنّين لمن لايأتي النساء او لايريدهن ، والعنينة التي لاتريد الرجال ، وتعرف المرأة المنقطعة عن الرجال البتول [١] ويقال لمن لايأت النساء ولم يتزوج (الصارور) ، وتعرف الصارورة لمن لم تتزوج ولم تتصل برجل يقول ربيعة بن مقروم الضبي :

لو انها عرضت لاشمط راهب　　عبدالاله صرورة متبتل

لدنا لبهجتها وحسن حديثها　　ولهم من تاموره يتنزل [٢]

لذا كان العرف السائد لدى العرب قبل الاسلام ان يتزوج الشاب الشابة في سن مبكرة قد تكون السادسة عشر للفتى والتاسعة او العاشرة للفتاة سيراً مع الحاجة الغريزية لكل واحد منهما ، ولاسيما ان لاشيء يشغل الطرفين عن اتمام هذا الامر ، ويذكر ابن سعد عن زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عائشة رضى الله عنها " تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا بنت ست سنين ، وادخلت عليه وانا بنت تسع سنين " [٣] . وفي هذا السن يكون الفتى قد حدد طريقة كسبه ، والفتاة قد نضجت عندما بلغت سن الرشد ، فضلاً عن ذلك فان والد الشاب يتكفل بأعالة الاسرة الجديدة مادام الشاب يعمل مع ابيه ولصالح ابيه [٤]. ولقد اشير سابقاً الى انواع الزواج ، فالزواج الداخلي يكون للاسرة فيه الاثر الكبير في اختيار الزوجة ، وهي في الغالب بنات العم ، فحق الزواج من اية فتاة هو لابن العم ، فاذا اراد رجل ما الزواج من فتاة يسأل اولاً ابن عمها فان اظهر رغبته في الاقتران قدمه اهل الفتاة على غيره ، وقد يأبى ابن العم تزويج ابنة عمه من غيره ويحجزها لنفسه ، وقد يكون العكس صحيحاً عندها تنشأ خصومات بين الاسرتين قد تصل الى اراقة الدماء "وقد كان العرب يختارون لمثل هذه الحالة انكاح البعداء والاجانب ويرون ان ذلك

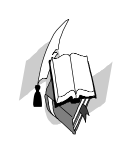
---

[١] الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٣٠/٧ مادة (بتل) ، ٢٨١/٩ مادة (عن) ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٦٣٣/٤ .

[٢] الجاحظ ، الحيوان ، ٣٤٧/١ . وقد عيب عن العازف عن اللهو والنساء ولايقرب النساء ، يقال له العزهاة . ابن منظور ، لسان العرب ، ٥١٤/١٣ مادة (عزة) .

[٣] الطبقات الكبرى ، ٨/ ٥٩ .

[٤] ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص١٣٧ .



انجب للولد وابنى للخلقة " [١]، وفي امثال العرب الكثير من الامثال بهذا الصدد منها " الغرائب لا القرائب" [٢] والعرب تقول ايضاً بنات العم اصبر والغرائب انجب ، وكان النهي ليس من قبيل التحريم بل على سبيل النصيحة لان العرب تعتقد ان ولد الرجل من قرابته يجيء نحيفاً .يقال شاور رجلاً حكيماً في الزواج فقال افعل ولكن اياك والجمال فانه مرعى انيق ماينتهي الا عن طلب فقال اما سمعت قول القائل :

ولن تصادق مرعى ممرعاً ابداً   الا وجدت به اثار منتجع [٣]

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله " تنكح المرأة لاربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " [٤]

ومن الصفات التي كان يلاحقها الرجل في المرأة عند اختياره زوجة له هي الجمال أي جمال الخلق ، فالرجل لم يكن يتوخى الجمال الخلقي البارع لما ينتج عنه عادة من " شدة دلال المرأة ، والخوف من محنة الرغبة ، ويلوي المنازعة وسوء عواقب الفتنة " [٥] ، سمع احد الاعراب امرأة تقول :

ان النساء رياحين خلقن لكم   وكلكم يشتهي شم الرياحين

فقال الاعرابي :

ان النساء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين [٦]

وكان عبدة ابن الطيب اعلم الناس بالنساء حيث يقول :

فان تسألوني بالنساء فانني   عليم بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء او قل ماله   فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه   وشرخ الشباب عندهن عجيب [١]

---

[١] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/٣٩٠ .

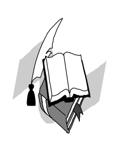
[٢] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٦/٩٠ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/٩ ؛ الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص٦٣ .

[٣] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٤/ ٩.

[٤] صحيح مسلم ، ٤/١٧٥ ؛ النسائي ، سنن ، ٢/ ٦٨ .

[٥] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ١٣ .

[٦] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢١٤ . ٢١٥ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢ / ١٣ .



وقد ورد في كتب الادب العربي الاسلامي اوصاف كثيرة ، وجاء في امثال العرب " النساء حبائل الشيطان " [٢] وكانت العرب زيادة على توخيها الجمال والشباب وكذلك البكورة ، فقد جاء في الامثال " ان المناكح خيرها الابكار " و " المناكح الكريمة مدارج الشرف " [٣] . وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " عليكم بالابكار فانهن اطيب افواهاً وانتق ارحاماً " [٤] وعنه عليه السلام " سوداء ولود خير من حسناء عاقر " [٥].

وقال الشاعر :

لاتنكحن عجوزاً ان دعيت لها　　　وان حببت على تزويجها الذهبا
فان اتوك وقالوا انها نصف　　　فان اطيب نصفيها الذي ذهبا [٦]

وعن يزيد بن عمر قوله " لاتنكحن برشاء ولا عمشاء ولا وقصاء ولا الثغاء فيجيئك ولد الثغ فوالله الولد اعمى احب الي من ولد الثغ " [٧]. عموماً فان باستطاعة الرجل ان يتزوج باكثر من واحدة وذلك تبعاً لامكانيته الاقتصادية وقد يصل العدد الى العشرة ، كما ذكرنا سابقاً عند الثقفين ، وكن النساء قبل الاسلام :" يقصدن السواحر لتأخيذ ازواجهن ، فاذا حملت المرأة الخرزة المرقية ، تحول زوجها اليها وانصرف عن ضرتها ، وكانت ساحرات العرب يمارسن السحر عن طريق التأخيذ " [٨]. كان الهدف الاساس من تعدد الزوجات هو زيادة النسل اذ ان كثرة الابناء احد عوامل اقوة والمنعة الا انه اقتصر على الرجال الموسرين الذين اتاحت لهم مواردهم

---

[١] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٦ /٧٠، ٧٧ ، ٧٩ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢ / ٢٨ .

[٢] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣ / ٣٨٤ .

[٣] الميداني ، مجمع الامثال ، ١٠٤/١ ، ٢٩١/٣ .

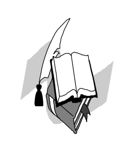
[٤] الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٢٥٨/٢ .

[٥] الصنعاني ، ابو بكر عبدالرزاق (ت٢١١هـ) ، مصنف عبدالرزاق ، تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، المكتب الاسلامي ، (بيروت ، ١٤٠٢هـ) ، ١٥٩/٦ . الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص١٤٦.

[٦] الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص١٤٧ . ينظر : ديوان حماسة التبريزي ، ٤١٧/٢ ؛ التوحيدي ، البصائر ، ص٥٥ .

[٧] ابن عبد ربة الاندلسي ، العقد ، ٦ / ٨٦ .

[٨] التأخيذ : حبس السواحر ازواجهن عن غيرهن من النساء ، وان تحتال المرأة بحيل في منع زوجها من جماع غيرها .ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، ٤٧٢/٣ مادة (أخذ) .



الاقتصادية تحمل الاعباء الناتجة من جراء ذلك ، وكان القرشي يفضل القرشية خلاف المأثور من ذم الزواج من الاقارب [١].

كانت المرأة الحرة تستشار في امر زواجها ، وقد يكون للسيد من سادات العرب عدة بنات ويرغب نظيراً له في مصاهرته والزواج من احدى بناته ، فيجمع الاب بناته ويستشيرهن فيه ويشرح لهن صفاته لتختاره احداهن [٢] ومثلما كان الزواج يقرب بين القبائل نجد ان رفض ابن العم صاحب الاولوية على غيره في مسألة الزواج ، وكان ميل الفتيات في الغالب ان يزوجن في الديار البعيدة والقبائل النائية ، قالت امرأة من عامر كانت قد زوجت في طيء :

لاتحمدن الدهر اخت خالها ولاترثين الدهر بنت الوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة وهم طرحوها في الاقاصي الاباعد [٣]

وكان من نتائج رفض ابن العم ان يؤدي الى العداوة والبغضاء بين القبيلتين تصل الى حد اراقة الدماء ، ويروي ابو عبيدة " رأيت بطريق مكة اعرابية تبيع الخوص ، ولم ار اجمل منها قط ، فوقفت انظر اليها متعجباً من جمالها اذ اقبل شيخ فقير فأخذ باذنها فسارها فقلت : من هذا ؟ قالت زوجي ، قلت كيف رضى مثلك بمثله ؟ قالت ان له قصة ثم انشدت :

ايا عجباً للخود تجري وشاحها تزف الى شيخ من القوم تنبال

دعاني اليه انه ذو قرابة فويل الغواني من بني العم والخال [٤]

ولم يكن للعرب قبل الاسلام موسم معين للزواج ، لكنهم كانوا يتشاءمون من الزواج بشهر شوال [٥] . ويبدو ان تمسك القبيلة بهذا العرف كان شديداً لان الرجل

---

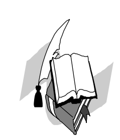
[١] محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية ، ص٦٤ ؛ المراة التي تترك فلا تتزوج تسمى (التريكة) ويقال للذكر مثل ذلك ، وقال ابن الاعرابي : ترك الرجل اذا تزوج بالتريكة وهي العانس في بيت ابويها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٠٥/١٠ مادة (ترك) .

[٢] ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٩٥/١٠ ومابعدها . خير زواج الحارث بن عوف بيهيسة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٥/١٢ مادة (برم) .

[٣] المبرد ، الكامل ، ٢٨٠/١ . ٢٨١ .

[٤] ابن حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ص٢٣٥ . الخود : المرأة الشابة والجمع خودات .والتنبال : الرجل القصير ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/ ٨٠ ، ١٣ / ١٦٥

[٥]المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/ ١٨٩.



حين يزوج ابنته لقريب او من قومه ، فانها اذا حملت اليه قال لها ابوها او اخوها " ايسرت واذكرت ولا انثت جعل الله منك عدداً وعزاً وجلداً ، احسني واكرمي زوجك وليكن طيبك الماء " [1] في حين اذا تم الزواج من خارج القبيلة قال ابوها او اخوها " الا ايسرت ولا اذكرت ، فانك تدنين البعداء وتلدين الاعداء ، احسني خلقك وتحببي الى احمائك فان لهم عليك عيناً ناظرة واذناً سامعة وليكن طيبك الماء " [2].ولايقتصر هذا الامر على المرأة ، بل نرى ان الرجل لايملك القرار في اختيار زوجته فهناك اعراف وتقاليد تفرض عليه الزواج من نساء قبيلته ، هذه القيود الاجتماعية قد ترجع الى الحسب والنسب ، والتحدر الديني والعنصري والقومي والخلفية الاجتماعية [3].وعلى الرغم من الميل نحو زواج الاقارب ، لكن هنالك من كان يحبذ الزواج من القبائل ويرون فيه ميزة تختلف عن ميزة بنت العم ، وهذا شائع في مثلهم الذي يقول " بنت العم اصبر لكن الغريبة انجب " [4] .

وجرت عندهم العادة ان يكون لاهل البنت الحق في ان يشترطوا على الزوج ان ماتلده بنتهم يكون لهم وان للزوج ان يرفض ذلك ، وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه القاعدة الفقهية " الولد للفراش وللعاهر الحجر " [5]. وروي ان هاشم بن عبد مناف عندما انصرف الى الشام في تجارته ومرّ بيثرب ونزل عند صديق لابيه فرآى ابنته سلمى بنت عمرو ، فخطبها فانكحه اياها بشرط عليه ان لاتلد الا في اهلها [6].ويذكر الدكتور العلي لقد كانت العرب تعتقد ان الزواج بالاباعد ادعى الى انجاب النجباء من الاولاد [7] يقول الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة　مخافة ان يضوي على سليلي

---

[1] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١٠ .

[2] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١١ ؛ الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، (بيروت ، بلا . ت) ، ٢/ ٢٤٦.

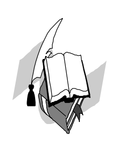
[3] الحسن ، احسان ، العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٨٥) ، ص١٦ ..

[4] ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن بكر (ت ٦٩١هـ) ، اخبار النساء ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بلا . ت ، ص١٢ .

[5] الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦ / ٢٧٩ (دار الحديث) ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، ٤٢٩/٣.

[6] البلاذري ، انساب الاشراف ، ٦٤/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢/ ٢٤٨.

[7] تاريخ العرب ، ص١٤٢.



وقال آخر

فتى لم تلده بنت عم قريبة   فيضوي وقد يضوي رذيل الاقارب [١]

وحمل الزواج من خارج القبيلة سعياً وراء العزة والمنعة ، وان تكون المصاهرة احياناً احدى دواعي المحالفة ، كما هو الحال لدى سمرة بن جندب [٢] لكن مهما تعددت الاساليب والهدف من الزواج الخارجي يبقى الزوج يبحث عن الهدف الاكثر اهمية وهو المنبت الحسن فقد ورد في الحديث الشريف " اياكم وخضراء الدمن ، قيل يارسول الله وماخضراء الدمن ، قال : المرأة الحسناء في منبت السوء " [٣] ، فقد ظل النسب العربي اساساً في زواج الفتاة العربية حتى العهود الاسلامية ، ويبدو ان كفاءة النسب العربي ترتبط بالتكافؤ الاجتماعي في المنزلة فكانوا لا يزوجون بنات الاشراف والسادات من رجال هم دونهن في المنزلة ، فالشريفة لا تتزوج الا من شريف للمحافظة على نقاوة الدم وضمان انجاب الاولاد النجباء [٤]، وكانت قريش تتزوج في اي القبائل شاؤوا ولا تشترط عليهم في ذلك بالمقابل فانهم لايزوجون احداً حتى يشترطوا عليه بان يكون متحمساً [٥]. وكان للنساء الحق في اختيار الزوج ، فيذكر ابن قتيبة " خطب رجل امرأة من بني كلاب فقالت له امها حتى اسأل عنك فسألت عن لسانه أي فصاحته وعلمه وشجاعته وسماحته " [٦] . وقد تعجب المرأة برجل كفء لها فترسل اليه ان يطلبها من وليها وهذا مافعلته خديجة بنت خويلد وهي من سيدات قريش، ارسلت الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يخطبها من عمها عمرو بن اسد فخطبها له عمه ابو طالب وتزوجها [٧] قائلاً : " ... ، ثم ان محمد

---

[١] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ٩ . ١٠.

[٢] سمرة بن جندب الفزاري كان حليف الانصار ، قدمت به امه المدينة (يثرب) بعد موت ابيه فتزوجها رجل من الانصار ، وكان في حجره الى ان صار غلاماً غزا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اكثر من غزوة ، توفي سنة ٥٩ هـ /٦٧٨م . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بني علي ، تهذيب التهذيب ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند ، ١٣٢٥هـ) ، ٢٣٦/٤ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٢/ ٧٨ .

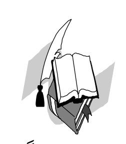
[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣/ ١٥٨ مادة (دمن) ، ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ٦/ ٨٥ .

[٤] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥٤٣/٤ .

[٥] التحمس : التشدد في الدين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٦/ ٥٧ مادة (حمس) .

[٦] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ١١/٤ . ١٢ .

[٧] ابن حبيب ، المحبر ، ص٧٨ .



بن عبدالله ابن اخي من لايوازن به فتى من قريش الارجح عليه براً وفضلاً ،وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً ... " [١] وجاءت ليلى بنت الخطيم تعرض نفسها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزواج منها [٢] . كذلك فان قوة الرجل كانت تثير انوثة المرأة ، وفي الاخبار العربية من كان منهم يضرب امرأته على ظهرها ثم يجامعها ، ويروى " ان مصعب بن الزبير كان يفعل ذلك ثم يأتي عائشة بنت طلحة " [٣] كأنهم كانوا لايشعرون بشهوة الجنس الا بعد ضربها ، وكذلك مافعلته الخنساء بنت عمرو بن الحارث لما خطبها دريد بن الصمة ، فقد اجابت بالرفض [٤]، وقد عبرت امرأة من باهلة فقالت :

احب الفتى ينفي الفواحش سمعه   كان به عن كل فاحشة وقرا

سليم دواعي الصدر لاباسطاً اذى   ولامانعاً خيراً ولا قائلاً هجراً [٥]

وكان العرب قبل الاسلام لايقربون المرأة اثناء محيضها ولاتساكنه في بيت ولا تؤاكله في اناء بل وتتجنب خضاب راسه ، ويبدو ان اهل يثرب كانوا اكثر العرب تزمتاً في هذا المجال [٦]. كما في قوله تعالى " ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يتطهرن " [٧] وكانت العرب تصف الازواج بثلاثة انواع : زوج مهر ، وزوج بهر ، وزوج دهر ، فاما زوج مهر فرجل لاشرف له يسني المهر ليرغب فيه ، اما زوج بهر فهو لرجل شريف ولكنه قليل

---

[١] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١/ ٢١٣ .

[٢] ابن حبيب ، المحبر ، ص٩٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/ ١٥٠ .

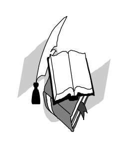
[٣] ابي الحسن المديني ، المردفات من قريش ، نوادر المخطوطات ، ص٨٠ ؛ الزبيدي ، تاج ، ٦ / ٤١٦ مادة (صلق) . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ١١٢ .

[٤] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٤٦/٤. ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ١٥ / ٨٠ .

[٥] الجاحظ ، الحيوان ، ٧ / ١٦٣ .

[٦] الالوسي ، بلوغ الارب ، ١٧٢/١ . كانت الحائض لدى اليهود تطهر بالماء البارد لايقربها زوجها الا بشهادة استحمام من النساء القائمات على هذا العمل.ينظر :محمد جميل بيهم،المرأة في التاريخ،ص٤٨ . ٤٩ .

[٧] سورة البقرة ٢، الآية ٢٢٢ . ينظر : الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، بلا . ت) ، ١/ ٣٢٣ .



المال تتزوجه المرأة لتفتخر به ، اما زوج الدهر فهو الرجل الكفء للمرأة تتزوجه لتعيش معه الدهر [1].

ويذكر ان التزواج كان قائماً كذلك بين اليهود والعرب ، وذلك كون بعض اليهود من اصل عربي ساعد على تحطيم القيود التي تحول دون زواج اليهود بالعربيات وبالعكس [2] ونعتقد ان هذا لم يكن شائعاً في الجزيرة بل هو قائم في بعض المناطق كيثرب ، فلم تذكر الروايات ان هناك زيجات بين اليهود والعرب في مكة والطائف ، ومن هنا لانستطيع الجزم باعطاء صورة واحدة عن المرأة العربية في الحجاز خصوصاً اذا ماعرفنا التفاوت الطبقي والمستوى الاقتصادي واختلاف الاسرة التي تعيش فيها ، فنساء الاسر الراقية قلما يقمن بالاعمال المنزلية ، اما في الطبقات الوسطى والفقيرة فالنساء يقمن باعمالهن بايديهن ، ولكن مايمكن عده عام فهو ادارة البيت منوطة بالمرأة والسيادة فيه للرجل ، ولم يكن من المستحسن خضوع الزوج لزوجته هذا في الظروف الطبيعية أي في حالة السلم ، اما في حالة الحرب فان المرأة وان لم تشترك فعلياً فيها ولكن كن يقدمن الماء والزاد والسلاح للمحاربين وكذلك فان من اهم اعمالهن تضميد الجراحى قال قيس بن الخطيم :

طعنت ابن عبدالقيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع اضاءها

يهون عليَّ ان ترد جراحه عيون الاواسي اذ حمدت بلاءها [3]

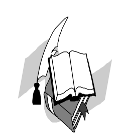
فلم يكن خروج القرشيات في موقعة احد اول مرة تخرج فيها العربية مع المقاتلين ، وقد اظهرت في هذه الواقعة حماساً ضد المسلمين كان سبباً في انتصار قريش ولعل من اسباب حماسهن غيرتهن على تجارتهن الخاصة التي كانت لهن في قوافلهن التجارية ، وكان سكان المدن يبذلون لنسائهم وقت الخطر من اساليب الحماية مالم يكن يتيسر للبدو ، فالاوس الذين كانت لهم قلاع وحصون كانوا يمنعون

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ٨٢/٤ مادة (بهر) ،٤، ٢٩٢ مادة (دهر) ، ٥ /١٨٥ مادة (مهر) ، ١٠ /١٩٧ مادة (صدق) ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، ٢ /٨٩ . ٩٠ .

[2] جواد علي ، المفصل ، ٦ / ٢١ .

[3] شرح ديوان قيس بن الخطيم ، ص٤٦ . ٤٨ ؛ ديوان حماسة التبريزي ، ١ / ٥٤ . الاواسي : أي يخف على رد جراح هذه الطعنة عيون النساء المداويات . الديوان ، ص٤٨ .



نساءهم واطفالهم فيها ان وقعت الحرب [١]. وكان من مفاخرهم التي تغنوا بها انهم كانوا يطلقون سراح الاسيرة بدافع المعاملة الحسنة او المصاهرة او الجوار ، وكانت بعض القبائل العربية لاتسبي نساؤها فأهل مكة كانوا دون الناس امنين يغزون ولا يغزون ويسبون الناس ولايسبون فلم تسب قريشية قط فتوطأ قهرا ولاتجال عليها السهام وقد ذكر غرهم وفضلهم الشعراء :

ابو دين الملوك فهم لقاح اذا هيجوا الى حرب اجابوا [٢]

ومن صلة النساء بالحروب انهن كن يستقبلن البدريين عازفات بالمزاهر مغنيات [٣] ، وعلى الرغم من وجود اشارات محدودة الى مشاركة المرأة في الحرب بشكل فعلي ومباشر [٤] الا انه لايعدم ان تكون قد شاركت على نطاق واسع في تقديم الخدمات الادارية المختلفة معبرة عن تضامنها مع الرجال من ابناء قبيلتها . ويذكر انه " كان من عادة نساء مكة ان يخرجن مع الجيش يغنين له الاغاني الحماسية يشجعنه على القتال ، ففي يوم احد قامت هند في النسوة اللائي معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند :

ويهاً بني عبدالدار ويهاً حماة الادبار

ضرباً بكل بتار [٥]

عموماً نستطيع القول بان وضع المرأة العربية كان افضل من حال المرأة عند الامم الاخرى ، وهذا ما اعطى ، المرأة العربية موقع الصدارة قياساً الى نساء الامم الاخرى ،ولو قارناً بين المرأة العربية وقريناتها عند الامم الاخرى ، نجد قدماء الفرس يبيحون للرجل ان يتزوج من ابنته وبأخته الشقيقة او غير الشقيقة ويبيحون الامهات والجمع بين الاختين فتزوج الاب ابنته والابن والاخ اخته لان الزرادشتية تبيح ذلك [٦] . اما المرأة اليونانية الرومانية فهي لاقيمة لها وكان بيد ابيها او زوجها

---

[١] البستاني ، كرم ، النساء العربيات ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص ٤٣ .

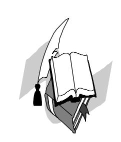
[٢] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٥/ ١٨٣ .

[٣] بلاشير ، تاريخ الادب العربي ، ص ٤٦ ؛ اكرم البستاني ، النساء العربيات ، ص ٤٤ .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٧/١ . ٦٨ .

[٥] ناصر الدين الاسد ، القيان والغناء ، ص٥٢ .

[٦] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١٣ / ٢٩٥ ؛ الحوفي ، المرأة ، ص ٥٦ . ٥٧ .



حق حياتها وحق موتها [١] ، اما المرأة اليهودية فهي تخضع تماماً الى الرجل وهي تسبى وتباع وتورث وللاباء ان يؤجروا ابناءهم لموعد وان يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق وان يقتلوهن [٢] وقد اباح العهد القديم للوالد ان يبيع بنته بيع الارقاء لمن يرضى ان يتزوجها لنفسه او لاحد ابنائه [٣]اما المرأة الاغريقية فلم تكن اسعد حالاً ولا ارفع مكانة وليست المرأة عندهم الا بطناً يدفع النسل ، واذا وضعت المرأة ولداً دميماً قضوا عليها وهنا يتشابه اليهود والاغريق في تقدير الامومة اكثر من الابوة لان الاغريق ايضاً كانوا يبيحون للرجل ان يتزوج اخته لابيه ولايبيحون له ان يتزوج اخته [٤] . ان العرب احترموا المرأة اكثر من اية امة ظهرت ، والمرأة في نظرهم من المخلوقات الصغيرة الجميلة الفاتنة [٥].

انواع الزواج او النكاح

١. **نكاح البعولة** : وهو اشهر انواع الزواج في مكة وهو الزواج المألوف والمتعارف عليه عند اكثر القبائل العربية ، اذ يعتمد على الخطبة والمهر والصداق والشهود وهي مقومات الزواج الاساسية [٦] ، فاذا لم يكن هناك مهر عد بغياً وسفاحاً ، فالمهر علامة شرف ، ويروي ابن حبيب " اما النكاح فانما يكون بمهر ، واما السفاح فانما يكون بلا مهر " [٧]، وبما ان الاتفاق يتم برضى الطرفين ، فينتسب الابناء عادة الى الاب ، وقد حفظ هذا النوع من الزواج المكانة الاجتماعية للمرأة ، وكانت اغلبية حالات الزواج التي حصلت في مكة من هذا النوع .

٢. **نكاح الشغار** : شاغر رفع المهر ، وشاغر الرجل زوج اخته اوابنته الى رجل أخر على ان يزوجه ابنته او اخته او امه بلا مهر أي تستخدم المرأة مهراً عينياً

---

[١] غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٩٤ .

[٢] غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٩٢ ؛ محمد جميل ، المرأة في التاريخ ، ص٥١ .

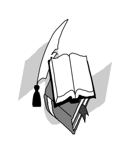
[٣] محمود جمعة ، النظم الاجتماعية والاقتصادية ، ص٨١ .

[٤] علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص٤٧ ؛ محمد جميل ، المرأة في التاريخ ، ص٧٢ .

[٥] غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٩٤ .

[٦] البخاري ، صحيح ، ٧/ ٢٠ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ١٢٠/٣ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ٣ .

[٧] ابن حبيب، محمد ، اسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، نوادر المخطوطات ، ص١١٨ .



لمرأة اخرى ، وهو زواج يتم بطريقة المبادلة يزوج الرجل بنته او اخته على ان يزوجه ابنته او اخته من غير ان يدفع بعضهما البعض مهراً او صداقاً [١]. ويرى البعض ان هذا النوع من الزواج غالباً ما يحصل بين الاقارب من ابناء الطبقات التي لاتسمح من دفع المهر فيلجأون الى المقايضة محل المهر [٢]والذي يبدو ان هذا الزواج لم يحقق للمرأة حريتها لذا كان قليل الانتشار ولاسيما في مكة لانها في وضع اقتصادي افضل من المدن الاخرى وقال تعالى" واتوا النساء صدقاتهن نحلة " [٣] وهذا النوع من الزواج كان معروفاً عند الامم الجزرية قديماً ، ولاتزال له بقايا في كثير من الامم المتمدنة [٤].

٣. **نكاح الضيزن (المقت)** : الشريك في المرأة الذي يزاحم اباه في امرأته او يتزوجها اذا مات عنها او طلقها [٥] " . وكان هدف هذا النوع من الزواج هو الحصول على ثروة المرأة التي ورثتها من زوجها الاول على حساب ان المرأة الارملة تعد ميراثاً لزوجها فيرثها ابناؤه [٦] قال تعالى : " يايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً " [٧]. واذا تزوج ابن الميت زوجة ابيه وكان اولاده منها اخوته وفي ذلك يقول عمرو بن معد وكان قد تزوج قبل الاسلام امرأة ابيه فكرهته :

---

[١] ابو داود ، سنن ابي داود ، ٢/٢٢٧ ؛ ابن حنبل ، احمد بن حنبل ، المسند ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ٢/ ١٩ ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦ / ١٤٠ (دار الحديث) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤ / ٤١٧ مادة (شغر) ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢ / ٥ .

[٢] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥/ ٥٣٨ .

[٣] سورة النساء ٤ ، الآية ٤ .

[٤] محمود جمعة ، النظم الاجتماعية والاقتصادية ، ص٤٠ ؛ علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص١١٤ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٥٤ مادة (ضيزن) .

[٦] الاصفهاني ، الاغاني ، ١/ ١٧ ؛ لطفي ، جمعة محمد ، ثورة الاسلام وبطل الانبياء ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص٦٥ .

[٧] سورة النساء ٤، الاية ١٩ .



فلولا اخوتي وبنَّي منها ملأت لها بذي شطب يميني [١]

وكان هذا النوع من النكاح شائعاً في بلاد فارس ، فانتقل الى العرب وقد عّير اوس بن حجر الكندي ثلاثة اخوة من بني قيس تناوبوا على امرأة ابيهم فقال فيهم :

والفارسية فيهم غير منكرة فكلهم لابيه ضيزن سلف [٢]

وفي اغلب الاحيان تكون المرأة من نصيب الابن الاكبر ويتم ذلك بان يلقي اكبر الابناء ثوبه على امرأة ابيه بعد وفاته فتصبح المرأة زوجة له وقد مارس هذا النوع من الزواج في مكة عدد من رجالها [٣]. اما اهل يثرب فكانت لهم طريقة خاصة في هذا النوع من الزواج في اعلان دخول زوجات المتوفي في ملك الابن او الاخ او بقية الاقرباء من ذي الرحم ، اذ لم يكن للمتوفي ابناء او اخوة هو بالقاء الوارث ثوبه على المرأة فتكون عندئذ في ملكه ان شاء تزوجها وان شاء عضلها أي منعها من الزواج من غيره حتى تموت فيرث ميراثها الا ان تفتدي نفسها منه بفدية ترضية ، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى " ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا " [٤].

فضلاً عن ذلك كان هناك انواعاً اخرى من الزواج لكنها لم تكن شائعة ، فهي فردية وتكاد تكون ضيقة ، واردنا هنا الاستعراض فقط ، منها : زواج الاستبضاع [٥] ، وزواج المخادنة [٦] وزواج الرهط [٧] ، وزواج البغايا(صاحبات الرايات) [١] ،

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٥٤ مادة (ضيزن) .

(٢) شرح ديوان اوس بن حجر ، تح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص٧٥ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٥ ؛ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٥٤ . ٢٥٥ مادة (ضيزن) .

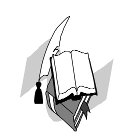
(٣) للتفصيل ينظر : الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢١ ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص١١٢ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ١ / ٧٨٩ .

(٤) سورة النساء ٤، الآية ٢٢ ؛ تفسير الطبري ، ٤ / ٣١٧ . ٣١٩ .

(٥) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٨/ ١٤ مادة (بضع) .

(٦) ينظر :ابن منظور ،لسان العرب،١٣٩/١٣ مادة (خدن)؛الشوكاني، نيل الاوطار،٦ / ١٥٨ (دار الحديث) .

(٧) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٠٥/٧ مادة (رهط) .



وزواج المضامدة [٢] ، وزواج المساهاة [٣] ، وزواج الاماء [٤] ، وزواج السبايا [٥] ، زواج البدل [٦] .

ولابد لنا من وقفة ونحن نختم حديثنا عن انواع الزواج ، الى انه قد ورد حديث عن عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عما ورد في كتاب الله من ايات في يتامى النساء قالت رضى الله عنها : اليتيمة التي تكون عند الرجل لعلها ان تكون شريكته في ماله وهو اولى بها فيرغب في ان ينكحها فيعضلها لمالها ولا ينكحها غيره كراهية ان يشركه احد في ماله [٧]. وقد اشار القرآن الكريم الى اليتامى في آيات كثيرة لها صلة بالنكاح " وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح " [٨] " وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء " [٩].

نلمس مما تقدم محاولة بعض الاصوات النشاز ان ينسبوا هذه الظواهر الاجتماعية الشاذة الى العرب ويعدونها من انواع الزواج عندهم ، ان هذه الانواع لايمكن عدها زواجاً وانما هي انواعاً من البغاء وهي حالات شاذة ومساوئ اجتماعية لم يقرها المجتمع العربي عامة والحجازي خاصة ولايمكن نسبتها اليه وانما وهي موجودة في كل زمان ومكان وقد اقتصرت هذه الحالات على الجواري ولم تكن تشمل الحرائر من النساء [١٠]، فضلاً عن ذلك فاننا لو حاولنا المقارنة بين الزواج عند العرب والامم الاخرى سنجد ان هذه الامم كانت تمارس انواعاً من البغاء وانها

---

[١] ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦/ ١٥٨ . (دار الحديث) .

[٢] ينظر :ابن منظور ،لسان العرب،٢٦٦/٣ مادة(ضمد)؛الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص٢٥٧ . هامش (١) .

[٣] ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤/ ٤٠٨ مادة (سها) .

[٤] ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٠٣ . ٥٠٤ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٨ / ٢٣٥ .

[٥] ينظر : القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد ، (الجامع لاحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٦٥) ، ٩٤/٥ .

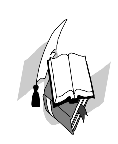
[٦] ينظر : ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، ٢ / ٥٣٦ . ٥٣٧ .

[٧] البخاري ، صحيح ، ٢٠/٣ . المرأة تدعى يتيمة مالم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢ / ٦٤٥ مادة (يتم) .

[٨] سورة النساء ٤، الآية ٦ .

[٩] سورة النساء ٤، الآية ٣ .

[١٠] عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص١٥٦ .



دخيلة على العرب نتيجة احتكاك العرب بهذه الامم خصوصاً اذا ماعرفنا ان امة العرب تدافع عن الشرف ومتمسكة بعرى الاخلاق والفضيلة فهذا دريد بن الصمة يوصي قبيلته " اياكم وفضيحة النساء " [١] ، وعن اسماء بنت ابي بكر رضى الله عنه سمعت زيد بن عمر بن نفيل يقول " يامعشر قريش اياكم والزنا فانه يورث الفقر " [٢]وهذه هند بنت عتبة يوم جاءت لتبايع الرسول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما اخبرته عليه السلام " وهل تزني الحرة " [٣].

لقد حرم العرب قبل الاسلام الزواج من الاصول والفروع كالام والاخت والبنت وبنت الاخ وبنت البنت واصول الجدين والجد لاب والجد لام كالعمة والخالة وحرموا كذلك ام الزوجة وزوجة الابن كما وراعوا في التحريم التبني ، غير انهم اباحوا الزواج بامرأة الاب كما اباحوا الجمع بين الاختين [٤]. وكان اول من جمع بين الاختين من قريش ابو احيجة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم [٥] فضلاً عن ذلك فان العرب تزوجوا من النصرانيات واليهوديات والاحباش ، ومما هو ملفت للانتباه ان اكثر الذين تزوجوا من اجنبيات ان جاز التعبير هم من قريش ونعتقد بان قريش كانت قبلة العرب حيث يوفد اليها من كل الفئات والانتماءات والطبقات [٦] عموماً فان وضع المرأة العربية قبل الاسلام كان وعلى الرغم مما تقدم شديد التباين في الحرية والمكانة التي تتمع بها ، ففي بعض الاحيان يصل هذا التباين الى حد الغرابة ، فتارة نجد في جانب الوأد والحط من مكانة المرأة وتارة نرى حريتها في اختيار من تشاء لتكون زوجاً ، ان هذا التباين هو طبيعي في ظل المجتمع القبلي وما فرضته القيم والاعراف والتقاليد السائدة .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص١٧١ .

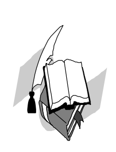
(٢) ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص١٧١ .

(٣) الواقدي ، ابو عبد عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)، مغازي رسول الله ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٩٤٨) ، ص٣٣٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/ ٢٣٧ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٥ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٢ / ٢٤٥ .

(٥) ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٥٠ ؛ المحبر ، ص٣٢٧ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٥٣٠.

(٦) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٥٠٣ ومابعدها .وقد افرد المدائني كتاباً اسماه (فيمن تزوج مجوسية) . ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص١٠٢ .



المبحث الثالث :

الخطبة

الخطبة هي اعلان رغبة الرجل في الزواج من امرأة معينة ويتم الزواج بعد الاستجابة لهذه الرغبة على وفق مراسم تختلف باختلاف العادات والتقاليد ، وتعد الخطبة عقداً تمهيدياً لعقد الزواج ، يحدد فيه المهر ويتفق فيها على الشروط التي يتضمنها العقد ، وكانت المرأة تخطب الى وليها ، ابيها او عمها او اخيها فيقبل الولي الخاطب او يرده (١). فاذا ارتضي الخاطب جرى الاتفاق على المهر ، وقد اهتم العرب وخصوصاً اهل مكة بعملية اختيار الزوجة ومواصفاتها على ان يراعي الخطيب مستوى خطيبته من الحسب والنسب فيخطب الكفوء الصريح الى الصريح والهجين الى الهجين (٢)، خطب بلال على اخيه امرأة من بني حسل من قريش فقال : نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله ، وانا اخطب على اخي خالدٍ فلانه ، فان تنكحوه فالحمد لله ، وان تردوه فالله اكبر فزوجوا اخاه (٣).

وكان للفتاة الحرية الكاملة في اختيار الزوج والموافقة على الزواج ، فقد تقدم لخطبة هند بنت عتبة كلاً من ابو سفيان وسهيل بن عمرو فخيرها ابوها بين الاثنين فاختارت ابا سفيان فزوجها منه بعد ان انشد قائلاً :

اتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك ياهند الهنود ومقنع
وما منهما الا كريم مرزأ وما منهما الا اغر سميدع
فدونك فاختاري فانت بصيرة ولاتخدعي ان المخادع يخدع (٤)

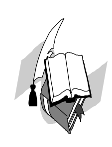
---

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١٠ ؛ عبدالسلام الترمانيني ، الزواج في الجاهلية ، ص٧٢ .

(٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص١١٣ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٤ / ٧٣ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٧٣ . ينظر : ابو علي القالي ، الامالي ، ١٠٤/٢ . ١٠٥ .



وقد كان لام الفتاة الرأى الواضح في تزويج ابنتها ، يستشيرها الاب وتشير عليه وتأخذ البنت برأي امها [١] وكانت تتبع العرب في زواج بناتها نظام التعاقد فبعد عرض الاباء امر الزواج على بناتهم لايبرمون العقدبالنيابة عنهن قبولاً صريحاً .ومن الامثلة على ذلك خبر خطبة دريد بن الصمة للخنساء ورفضها له [٢].

وورد في الحديث " ان يخطب الرجل المرأة فتركن اليه ويتفقا على صداقٍ معلوم ويتراضا ولم يبق الا العقد " [٣] . وقد يقوم اهل الفتى بالاستقسام بالازلام لدى صنمهم المعبود لمعرفة مدى صلاحية الفتاة لابنهم او صلاحية الزواج بمجموعه [٤] قبل الاقدام على الخطبة . ويذكر ابن قتيبة عن الاصمعي " كان رجالات قريش من العرب تستحب من الخاطب الاطالة ومن المخطوب اليه الايجاز " [٥] و " كان الرجل يأتي الى الحي خاطباً فيقوم في ناديهم فيقول خطب أي جئت خاطباً فيقال له : انكح أي قد انكحناك اياها " [٦] وكان يضرب المثل بامرأة من العرب يقال لها ام خارجة فيقال : اسرع من نكاح ام خارجة ، كان الخاطب يقوم على باب خبائها فيقول خطب فتقول نكح [٧]. وكانت بعض البيوتات الشريفة عند العرب تشترط عند الخطبة ان تلد المرأة عند اهلها كما مر ذكره سابقاً ، وكانوا يقولون تهنيك النافجة ، فاذا كانوا يدفعون الصداق عيناً فلا يقال ساق اليها الصداق ، ومن ذلك انهم كانوا يضربون على العروس البناء فيقال بنى عليها [٨] ، وكان يقال لولي المخطوبة ولمن

---

[١] ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٩/ ١٤٢ ؛ بطرس البستاني ، ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، دار كشوف ودار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص٢٢ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ٧٦/١٥ ؛ علي ابراهيم حسن ، نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ١٥ . ١٦ .

[٣] الاصبحي ، مالك بن انس (ت ١٧٩هـ) ، الموطأ ، تح : محمود فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، ٢ / ٥٢٣ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٦١/١ مادة (خطب) .

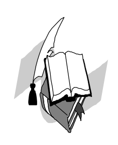
[٤] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٢٨ .

[٥] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٤/ ٧٣ .

[٦] ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ١١٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٢٦/٢ مادة (نكح) .

[٧] يضربون المثل بام خارجة لانها تزوجت عدة مرات ، وولدت في العرب نيف وعشرين حياً من اباء شتى وانها تزوجت اكثر من ثمانية رجال.ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص ٤٣٦ ؛ القالي ، الامالي ، ٢ / ٢٥٦ .

[٨] الجاحظ ، الحيوان ، ٣٣٤/١ .



حضر من اهلها : نحن اكفاؤكم ونظراؤكم وقد جئنا نخطب ابنتكم فلانه ونحن لمصاهرتكم حامدون وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين [١].

ولم يكن يسمح للنساء بالجلوس الى الرجال الا بحضور اوليائهن ، واذا كان الخاطب يريد ان يعرف اوصاف ما لايحل النظر اليه من اعضاء المرأة التي يريد خطبتها ويتأكد من سلامتها فيرسل امرأة عرفت بالفطنة والفهم لتنظر اليها ، واشتهرت في يثرب بعض القيان من اهل الفن والغناء ، وكن اثيرات عند نساء الطبقة العليا [٢]. وقد يكون الوسيط رجلاً اتخذ مهنة الوساطة في الزواج ولكن لنساء العامة الراغبات في الزواج ، والوسيط في ذلك الحين انما يصف للخاطب دون الوجه واليدين مما يمتنع عليه رؤيته ، وتذكر الروايات " كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة . فقال : النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارى هذا يعرف ماهاهنا لايدخلن عليكم هذا فحجبو به " [٣]. والعرب في امثالهم تقول " اخنث من مصفر استه واخنث من هيت " [٤] وفي ذلك يذكر الجاحظ " ولم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والاسلام حتى ضرب الحجاب على ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عاراً في الجاهلية وفي الاسلام " [٥]، وكان من النساء من يشترطن في زواجهن ان يكون الطلاق من حقهن ، وهذا الامر قد يكون في يثرب وليس في مكة والطائف ، وخير مثال على هذا النوع من النساء سلمى بنت عمرو التي تزوجها هاشم جد الرسول

---

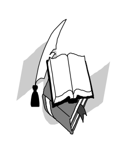
[١] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٢ / ٢٤٦ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٧٧/١١ . ١٧٩ . ينظر : ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص١٨٦ .

[٣] المخنثون على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة مانع وهدم وهيت ، الاربة : الحاجة والشهوة . وكانوا يوصفون النساء ومحاسنهم وعوراتهن بحضرة الرجال . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، ١١٥/٦ . ١١٦ (دار الحديث) . ينظر : التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ص٢٤٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زير) .

[٤] الميداني ، مجمع الامثال ، ١ / ٤٤١، ٤٤٤ .

[٥] ابي عثمان بن عمرو ، رسائل الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، بلا . ت) ، ٢ / ١٤٩ (كتاب القيان) .



صلى الله عليه وآله وسلم التي اشترطت عند زواجها ان يكون امرها بيدها وان يكون لها وحدها الحق بحل الرابطة الزوجية ، والمعروف ان نساء يثرب كن مشهورات بالغيرة والانفة لحد جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمتنع عن الزواج منهن لان واحدتهن لن تحتمل ان يكون لها ضرائر حتى اتفقت الروايات ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج كنانية قط [١].

ويبدو ان هذه الصفة في النساء اليثربيات كانت معروفة عند المكيين الذين قدموا يثرب (المدينة) مهاجرين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما جعل جلهم يحجبون عن الزواج بنساء يثرب ، ويتضح ان المكيين كانوا سادة نسائهم ، ولكنهم حين قدموا الى يثرب وجدوا ان الحال على عكس ما تصوروا وان نساء يثرب (المدينة) سادات رجالهن وانه نتيجة الاختلاط بين المكيات والمدنيات اخذن يتعلمن عادات اليثربيات السيئة فكان اهل يثرب (المدينة) يكرهون اتخاذ امهات الاولاد [٢] وتختلف مراسيم الخطوبة باختلاف الطبقات والقبائل من حيث اطالة المراسيم وقصرها ، فمن المتعارف عندهم ان تبدأ بتبادل التحايا بين الاثنين ، ثم يتحدثون عن مناقب بيت الفتاة وعن رغبة الخاطب الاكيدة في التصاهر ببيت الفتاة ثم يبدأ رأس الوفد الخاطب بالتحدث عن كفاءة الفتى الذاتية وعن مزايا بيته وملائمة هذه المزايا وموافقتها لمزايا الفتاة وبيتها ، ويذكرون وجود الكفاءة بين البيتين ، ثم يرد ولي امر الفتاة على المتكلم من اهل الفتى بالطريقة نفسها فيتحدث عن بيت الفتاة ويثني عليه وعلى بيته ويبين اوجه الكفاءة ويعلن عن موافقته على زواج الفتاة على المهر المتفق عليه سابقاً [٣]. وقد تكون الخطبة باسلوب موجز جداً فيقول الخاطب الى الخطيبة (خطب) فتجيبه بالقبول فتقول (نكح) وبهذا تتم المراسيم [٤].

واذا تأخر زواج البنت وخيف بقاؤها ، كان يطلب الى شاعر مشهور انه يشبب لها للترغيب في خطبتها وكان هذا مألوفاً في الطبقات العامة واستمر هذا التشبيب

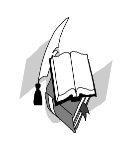
---

[١] ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧٨/١ ، ٧٩ ؛ ١٤٨/٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

[٢] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٤ / ٨ .

[٣] النويري ، نهاية الارب ، ٣٣٧/١ ؛ الهاشمي ، المرأة في الشعر ، ص٢٣٧ .

[٤] ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٩٨ ؛ ولكن ، الامومة عند العرب ، ص٢٠ .



لهذا الغرض في العصر الاسلامي الاول ، وقد ذكر بعض الاخباريين اخبار الشعراء الذين شببوا بنساء يطلب من امهاتهن ، فمال الخطاب اليهن ، فيذكر صاحب الاغاني ان اماً لفتاة طلبت من شاعر (ابي النجم العجلي) ان يشبب بابنة تدعى (نفيسه) ، فلما وصل الى وصف مالايستحب قالت الام حسبك حسبك وتزوجت الفتاة [١]، وجاءت امرأة الى الاعشى فقالت : ان لي بنات قد كسدت عليّ اشبب بواحدة منهن لعلها ان تنفق ، فشبب بواحدة منهن ، فما ان شعر الاعشى الا بجزور قد بعث اليه فقال ماهذا ؟ فقالو زوجت فلانة فشبب بالاخرى فاتاه مثل ذلك ، فسأل عنها فقيل : زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجن جميعاً [٢]. وطلب التشبيب انما كان في نساء العامة اما نساء الخاصة فيمتنع التشبيب بهن ، وقد يتعرض الشاعر للقتل اذا شبب باحداهن [٣]وكان العرب يطمحون من وضع هذه الشروط الى بناء اسرة ومجتمع يكون ذو فاعلية ، كذلك فانهم ارادوا الى الحياة الزوجية الاستمرار وانجاب الاولاد في اطار هذا المجتمع والذي تمثل القبيلة والدفاع عنها اولويات العربي ، فكانوا يوصون بناتهم قبل الزواج في كيفية احترام الزوج ، وتذكر الروايات ان" احد الاعراب زوج بنته فلما كانت ليلة اراد البناء بها قال لها يابنية ان الامهات يؤدبن البنات وان امك هلكت وانت صغيرة ، فعليك باطيب الطيب الماء وحسن الحسن الكحل ، واياك وكثرة المعاتبة فانها قطيعة للود واياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق وكوني لزوجك اِمة يكون لك عبداً ، واعلمي اني قائل لامك : خذي العفو مني تسديمي مودتي" [٤] واوصيت امرأة بنتها بوصايا بابيات شعرية :

بنتي ان نام نامي قبله   واكرمي تابعه واهله
ولاتكوني في الخصام مثله   فتخصميه فتكوني بعله [٥]

---

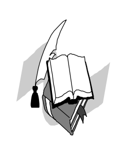
[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٠/١٥٠. ١٥٦ ؛ التشبيب : تشبيب الشعر ترقين اوله بذكر النساء ، وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنَّسيب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١/ ٤٨١ مادة (شبب) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ١ / ٣٠٨ مادة (شبب) .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ٩/١١٨ .

[٣] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٤/١١٩ ؛ البغدادي ، خزانة الادب ، ١ /٢٧٣. ٢٧٤ .

[٤] الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٠ / ٣٩٣ .

[٥] الجاحظ ، الحيوان ، ٥ / ١٣٨ .



المهر اوالصداق :

وهو علامة الشرف للمرأة وبدونه يعد الزواج سفاحاً او بغياً [1]والصداق في اللغة : مهر المرأة ، وقد اصدق المرأة حين تزوجها وفي قوله تعالى " واتوا النساء صدقاتهن نحلة " [2] وفي حديث عمر رضى الله عنه لاتغالوا في الصداقات [3]، وقال بعضهم مهرتها فهي ممهورة اعطيتها مهراً ، وامهرتها زوجتها غيري على مهر [4]. والمهر في اصله التاريخي هو ثمن المرأة ، فقد كان الرجل في الجماعات البدائية يعد زوجته ملكاً له لانه اشتراها بماله ، ويعد اولاده ملكاً له لانهم نتاجه فكان يتصرف بزوجته واولاده تصرفه في ماله [5].

كان المهر للمرأة يقبضه ابوها او وليها ويسمى (النافجة) وهو كل ما ينفج في مال الرجل أي يزيد فيه ويعظمه [6] . وكان الاب يمتلك المهر ويشتري لابنته ما تحتاج اليه ، وكان لايعدو الثوب او الثوبين ، اما في البيوتات الشريفة فكان الاب يجهز ابنته لكل ما تحتاج اليه ، ويحليها بالحلي وتحمل مع جهازها في موكب الى بيت زوجها ، ويبدو ان علماء الاجتماع يتفقون مع علماء اللغة في تعريف المهر اذ يذكرون المهر : هو كمية النقود او المواد العينية التي يعطيها اهل العريس الى اهل العروس قبل حفلة الزواج وهو بمثابة تعويض لاهل العروس للمبالغ التي صرفت عليها وقت تنشئتها وتربيتها قبل زواجها ونظام المهر غالباً ما يكون متأصلاً في نظام النسب الابوي [7]وقد حاول بعض الباحثين التفريق بين المهر والصداق ، على ان الصداق هو ما يقدمه الرجل الى زوجته ، اما المهر فهو مايقدمه لوالديها ،فالاصل في الصداق انه ملك خالص للمرأة تنفق منه على ماتجهز به نفسها وبيت

---

[1] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥/٥٣٠ .

[2] سورة النساء ٤، الآية ٤ .

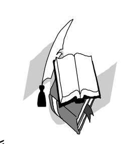
[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠/ ١٩٧ مادة (صدق) .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥ / ١٨٤ مادة (مهر) .

[5] ول ، ديوارنت ، قصة الحضارة ، ٢ / ١٠٣ .

[6] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢ / ٣٨٢ مادة (نفج) .

[7] معجم العلوم الاجتماعية ، ص ٤٦ . ٤٧ .



الزوجية ، ولكن قد ياخذه الاب او ولي الامر لنفسه ولا يعطي البنت منه شيئاً [1].
وينقل الدكتور جواد علي عن سمث ، ان ترادف معنى الصداق والمهر انما حدث في الاسلام ، اما قبل الاسلام فقد كان هناك فرق بين مدلول الكلمتين فان المراد بكلمة الصداق عند عرب قبل الاسلام هو مايقدم الى العروس ، اما المهر فهو مايقدم الى الوالدين [2]، ولكن اللغويين يجعلون المهر والصداق حالة واحدة [3] والمهر والصداق من حقوق الزوج يسترجعه عند الفرقة او الطلاق اوالموت لهذا كانت الزوجة تدخل في ملكية الرجل يرثها عنه بنوه والاقربون ، ولهم كما ورد في البحث ان يتزوجوا منها بدون مهر ، ولهم ان يزوجوها ويأخذوا مهرها ، ولهم عضلها أي ابقاؤها من غير زواج مدى الحياة [4] . ولم يكن للصداق حق معلوم لحد اعلى ولا لحد ادنى بل يتوقف ذلك على الاتفاق ، وكذلك بحسب مكانة الزوج وثرائه ومراعاة الحالة المالية للرجل ، وكذلك مكانة اسرة الفتاة الممهورة ، ولكن اعز ما يقدم صداقاً للنساء من ذوات الشرف ، النوق والذهب ، وكان صداق ذوي الشرف من العرب مائة ناقة او مائة وخمسون ، فقد ورد ان " عبدالمطلب قد اعطى صداقاً لفاطمة بنت عمرو مائة ناقة ومائة رطل من الذهب " [5]. اما عامة الناس فكانوا يقدمون الصداق نوقاً او ماعزاً او متاعاً مهما كان نوعه ، كالآدم مثلاً ، وقد يكون أي شيء عند الطبقة الفقيرة ، ويذكر الجاحظ ان اعرابياً مهر كفيئته ضبين وقال احدهم :

امهرتها بعد المطال ضبين   من الضباب سحبلين سبطين

---

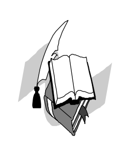
[1] ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص١٦٤ .

[2] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٤ / ٦٤٦ .

[3] ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٨٤/٥ مادة (مهر)

[4] الهاشمي ، المرأة في الشعر ، ص٢٤١ .

[5] الحلبي ، علي بن ابراهيم بن احمد (ت ١٠٤٤هـ) ، انساب العيون في سير الامين والمأمون المسماة السيرة الحلبية وبهامشها السيرة النبوية والاثار المحمدية بمكة المشرفة ، السيد احمد زيني دحلان ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ١/ ٥٠ .



نعم لعمر الله مهر العرسين [١]

وكانت بنات الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وغلاء المهر،وكانت بنو مخزوم تسمى ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال،ويرى اهلها انهم اغنياء لرغبة الخطاب فيها وفيهم يقول ابن هرمة :

ومن لم يرد مدحي فان قصائدي   توافق عند الاكرمين سوام

توافق عند المشتري الحمد بالندى   نفاق بنات الحارث بن هشام [٢]

وصار مهر البنت يقدر على قدر امثالها ، فلا يجوز ان يقل عن مهر اخواتها او بنات عمها او بنات خالها او بنات من كان اباؤهن في مرتبة ابيها جاهاً وثراءً ، فاذا قل عن امثالها لحق اهلها العار وشاعت الظنون في تفسير ذلك [٣] فقد مهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خديجة رضى الله عنها عشرين بكره [٤] وقيل خمسمائة درهم [٥] ، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه المغالاة فيما ورد في الحديث الشريف " ان خير النساء ايسرهن صداقاً " [٦]وبصفة عامة لم يكن سادات العرب يساومون في الصداق ، لاسيما اذا ما اعجبهم الرجل الخاطب بحسن صفاته ، فقد ورد ان احد امراء العرب الكبار قد زوج ابنته من (لقيط بن زرارة التميمي) وساق المهر عنه عندما راى سناء نسبه وشجاعته وذكاء فؤاده مع ان لقيطاً جاءه شريداً ولا يملك شيئاً [٧] على انه لايمكن ان تكون عامة ، ولكن هناك بعض الاباء ممن كانوا يبالغون في مهور بناتهم حتى ان احدى فتيات العرب قالت لابيها عندما جاءها خطاب يطلبونها " زوجني على قدري ولا تشطط في مهري " [٨]. وقد روى ان المهلهل بن ربيعة بعد ان انتصرت عليه بكر يوم (تحلاق اللمم) رحل

---

[١] الحيوان ، ٦/ ٢٦ .

[٢] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢٣٨ ومابعدها .

[٣] عبدالسلام الترمانيني ، الزواج في الجاهلية ، ص٢٠٥ .

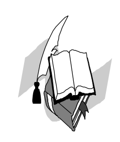
[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ / ٢٠٦ .

[٥] الحلبي ، السيرة الحلبية ، ١/١٥٤ .

[٦] ابو داود ، سنن ، ١ / ٢١٠ .

[٧] العفيفي ، عبدالله بك ، المرأة في جاهليتها واسلامها ، مطبعة المعارف ، (مصر ، ١٩٣٣) ، ١/١٤١؛ ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص١٦٥ .

[٨] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ٣٣



بآل بيته واستجار بقبيلة مذحج وانه قد اضطر مجيريه من بني مذحج الى تزويج ابنته برجل من بني جنب وان مهرها كان يضع رقاع من الجلد وفي ذلك يقول المهلهل :

انكحها فقدها الاراقم من جنب	وكان الحباء من أدم
ليسوا باكفائنا الكرام ولا	يغنون عن عيلة ولا عدم
لو يأبانين جاء يخطبها	خرج ما انف خاطب بدم [١]

العرس

يجري العرس في احتفال يختلف باختلاف الشعوب كما يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية ويخضع للعادات والاعراف السائدة في كل زمن وتقام فيه اللعب والموسيقى [٢]، وتحمل العروس عند العرب قبل الاسلام الى بيت زوجها بموكب من النساء والرجال وعند وصول العروس الى بيت زوجها تذبح الذبائح طرداً للارواح الشريرة وارضاء لها [٣]ولانجد اشارة في المصادر الى موقف الزوجين من اله القبيلة في اثناء هذا الاحتفال ، وكانت العادة ان تحمل العروس قبل زفافها الى الزوج ، وزّوج رجلاً ابنته الى شاب من قريش فقامت ام الشاب تصلحهاوتصنع بها مايصنع بنساء قريش [٤] .

وكان هناك مايشبه محلات التجميل التي كانت تقوم بتمشيط النساء وتجهز العروس ، فكان التجميل بتكحيل العيون علاوة على ان التكحيل عادة جارية يومية يمارسها جميع افراد الاسرة حتى الشباب والشيوخ اعتقاداً منهم بفائدته للعين ، كما يكون التنمص وتزجيج الحاجبين وتفليج الاسنان وتلمية الشفاه واللثة أي خضابها بالاثمد [٥] والوشم [١]كان معروفاً وقد يكون عاماً في فن التجميل عند النساء خاصة

---

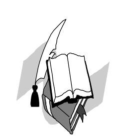
(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ٦ /٣٢٠ مادة (حلق) ؛ جاد المولى وآخرون ، ايام العرب في الجاهلية ، ص١٦٥ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ٢ / ٣٣٤ مادة (عرس) .

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٣٢٥/٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٣٨/٨ .

(٥) الاثمد : حجر يتخذ منه الكحل وقيل ضرب من الكحل وقيل شبيه به . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب، ٣/ ١٠٥ مادة (ثمد) ؛ ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص١٦٨ .



، وقد يستعمله الرجال ايضاً فكانوا ينقشون غالباً ابدانهم بصور الحيوانات وورد في الحديث " لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات " [٢] وخضاب الكف والقدم بالحناء مع الاشارة الى وجود اختصاصيات لكل نوع من انواع التجميل ، وكن يعملن مأجورات وينتقلن عادة بين البيوت لحمل خدماتهن الى النساء ولا سيما في مناسبات الافراح [٣] وكانت المرأة العربية تعتز كثيراً بشعرها وتعده من مظاهر الجمال ، وكانت لا تحلقه الا اذا نزلت بها ملمة كموت زوجها او والدها وفي يوم العرس ، ويفهم من ذلك ان المرأة كانت اذا اصيب لها كريم حلقت رأسها واخذت نعلين وضربت بهما رأسها وعفرته بالتراب [٤] لذلك عدت الحالقة من علامات الشؤم عندهم ، على العموم تقوم الماشطة بتسريح شعر العروس وقد يكون المشط المستخدم من عاج او ذهب او خشب او فضة ، بعد ان تغسل المرأة راسها بطين واشنان وخطمى ونحوه لتنظيفه وقد تغتسل بالطيب وذلك بالنسبة للغنيات [٥] واستمرت هذه الحالة حتى بعد الاسلام . وقد روى ابن سعد " قالت ام سنان : وكنت فيمن حضر عرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفية مشطناها وعطرناها ، وماشعرناحتى قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل على اهله " [٦] ، وممن احترفن تجميل النساء وتمشيطهن من المكيات القرشيات امنة بنت عفان [٧]وقد عرفت المرأة قبل الاسلام الشعر المعار ، فوصلت به شعرها ، وكانت

---

[١] الوشم : هو غرز ابرة في المكان الذي يراد تجميله حتى يسيل الدم ثم يحشى بنؤور او الكحل او نحوه فيزرق اثره او يخضر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ٩ / ٩٤ مادة (وشم) .

[٢] مسلم ، صحيح مسلم ، ٣/ ١٦٧٨ . المتنمصة : التي تزيل شعر الوجه وبالاخص الحاجبين . المتفلجة : التي تعمل على تباعد الثنايا والرباعيات من اسنانها. ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ، ٤٤٣/٤ مادة (نمص) ، ١٤٦/٧ مادة (سوك) .

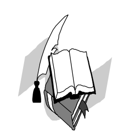
[٣] ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص١٦٨ .

[٤] الزبيدي ، تاج العروس ، ٦/ ٣٢٠ مادة (حلق) .

[٥] الزبيدي ، تاج العروس ، ٥ / ٤٤ مادة (مشط) ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٦٢٢/٤ .

[٦] الطبقات الكبرى ، ١٢١/٨ .

[٧] ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، الاصابة في تميز الصحابة ، مكتبة السعادة ، (مصر ، ١٣٢٨هـ) ، ١٠٥/١٢ .



تقوم بذلك اختصاصية تدعى الواصلة [١] . ويقص الشعر والظفر بالمقص وهي قص الشعر في مقدمة جبينها [٢] واستعملت المرأة الغنية المسك والطيب في تطييب جسمها وثيابها قال قيس بن الخطيم :

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك اردانها [٣]

ومن جملة زينة العروس في يوم زفافها تجملها بالحلي من اساور في معصميها ومعاضد في عضديها وخلاخيل في ساقيها واقراط في اذنيها وقلادات في عنقيها تتدلى فيها سموط بالجوهر وتاج على رأسها وهذه الحلي قديكون بعضها مما تملك او ما تملك اسرتها اما معظمها فمستعار من الحي او من خارجه ، وقد ورد في الاخبار ان عتبة بن ربيعة عندما زفت ابنته هند الى ابي سفيان ، رهن ابنه الوليد على ما استعاره من حلي لبني الحقيق شهراً كاملاً [٤]وكانت الحلي عادة من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان [٥] وكانت العروس بعد ذلك تزف الى زوجها ، وكانت النساء هن اللواتي يقمن بذلك [٦] واذا كان زواجها في بيت ابيها عندما لم يكن العريس من سكان نجعها قلّ ان سمحت له باقترانه منها احتراماً لابيها وعشيرتها فلا يتم له ذلك الا بعد ان يرجع الى وطنه [٧]. ثم لابد لنساء العرب من متبنة وهي كيس تضع فيه المرأة مرآتها وادواتها ويضربون المثل بنقاوة مرآة الغريبة لان المرأة التي تزوجت بغير قومها لاترى من تعتمد عليه فتحتاج ان تتقي مرآتها من كل مايكدرها حتى تريها نفسها ما يخفي عليها فتزيلها ولذلك يقولون لمن اراد المبالغة في وصف نقاوته " انقى من مرآة الغريبة " [٨] ، وكان يصاحب الزواج احتفالاً يدل في بعض معانيه على اعلان النكاح ، قد روي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة دخل

---

[١] ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، ٧٢٧/١١ مادة(حلق)؛ ليلى الصباغ ، المرأه في التاريخ ، ص١٦٩.

[٢] الزبيدي ، تاج العروس ، ٤/ ٤٢٣ مادة (قصص) .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ،١٣/ ١٧٧ مادة (ردن) .

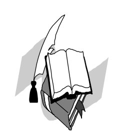
[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٣٦/١ .

[٥] سيأتي ذكر هذا الموضوع بتفصيل بالفصل الرابع .

[٦] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٦/٢ ؛ البخاري ، صحيح ، ٧ / ٢٨ .

[٧] نوفل الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص٦٥ .

[٨] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣ / ٤٠٧ ؛ نوفل الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص٦٥ .



مكة ليسموا بها فلما جاء داراً من دورها سمع عزفاً بالدفوف والمزامير فسأل عن ذلك فقيل له فلاناً بن فلان تزوج بفلانه بنت فلان [١] ، فضلاً عن مشاركة الرجال في العرس وكان النساء والصبيان يشاركون في العرس ، وتذكر الروايات ان الرجل اذا تزوج من اهل مكة وقطع المهر واراد الدخول على المرأة يخضب الرجال ايديهم وارجلهم تزين ، ويحضر كل اصدقائه من الاهل والاقرباء [٢] ويقيم صاحب العرس وليمة يحضرها المدعوون ، وكان الناس يقومون بتقديم التهاني للعروسين ، وكان من الكلمات المستعملة في هذه المناسبات (بالرفاء والبنين) ، وهنأ بعضهم متزوجاً فقال بالرفاء والثبات والبنين لا البنات [٣]، وحاول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يبدل الناس خيراً منها فجعل لهم ان يقولوا " اللهم بارك لهم وبارك عليهم " [٤]. ويروى " ان احد من المدينة (يثرب) اولم بالمدينة سبعة ايام " [٥] . زد على ذلك ان يوم العرس في أي حي من احياء العرب كان مناسبة للتباري بين الفتيان في اللعب بالرماح والسيوف وفي ركوب الخيل والاستباق ، والعرب تسمى الليلة التي تفترع فيها المرأة بليلة شيباء ، وتسمى الليلة التي لايقدر الزوج منها على افتضاضها ليلة حرة ، فيقال باتت فلانة بليلة حرة ، اذ لم يغلبها الزوج وباتت بليلة شيباء اذا

---

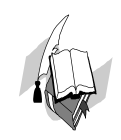
[١] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٢٧٩ .

[٢] ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٨ ؛ الخضاب : هو صبغ شعر الانسان او بعض اعضائه ولا سيما الاطراف باصباغ ثابتة الالوان نسبياً ، والخضاب ما يخضب به من حناء وكتم وغيره ، واول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة خرج على الناس وكان عهدهم به ابيض الشعر فعجب الناس منه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٤٥/١ مادة (خضب) ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ١٦ / ٨٤ . للتفصيل عن الخضاب ينظر : مقالة د. صالح احمد العلي ، الخضاب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن والعشرون ، لسنة ١٩٧٧ ، ص ٣٥ . ٤٥ .

[٣] أي التئام او جمع الشمل . ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، ١/ ١٧٥ . ١٧٦ ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، ١٣٢/٦ ؛ ابن قتيبة ، ابو محمد بن عبداللة بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، ادب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، (مصر ، ١٣٥٥) ، ص٥١ .

[٤] ابن ماجة ، السنن ، ٦١٤/١ . ٦١٥ .

[٥] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢١/٧ . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ٢ / ٤٢٦ .



غلبها فافتضها [١] ، وكان العرب يؤثرون المرأة المولود ويسمونها الضانية ، وتسمى مقلاتا اذا كانت تجهض ولا يستقر حملها [٢].

على العموم فقد قامت العلاقة بين الزوج والزوجة على اللطف والمودة والبعد عن اسباب الشجار ومايكدر صفوة العيش ، وكن يجتهدن في الطيب ابتغاء مرضاة الزوج وبالمقابل فان الزوج كان يعبر عن عواطفه نحو امرأته ، فكان يداعبها ويقبلها [٣].

الطلاق

الطلاق جزء من الحياة الاجتماعية عند الامم التي ارتضته شريعة لها فهو معروف قبل الاسلام ، ويعنى تنازل الرجل عن حقوقه التي كانت له على زوجه ومفارقته لها وكان ينظر اليه كعقوبة يوقعها الزوج بزوجه الناشز ، وقد يكون هذا الطلاق لسبب هام وقد يكون لسبب بسيط ، فضلاً عن ذلك فان الطلاق نظام عام عند العرب واليهود والرومان وقد اباحه الاسلام وان ضيق من دائرته [٤]. وعلى الرغم من مفاسد الطلاق وشروره فانه يقع بين جميع الطبقات ، وكثيراً ما يمتد اذاه الى ما بعد الانفصال بين الزوجين وانتهاء الحياة الزوجية ، فلا تقف سيئاته عند تأثيره الاجتماعي والذي يشمل حرمان الاب من اطفاله ، ولا عند فقد المرأة من يرعاها، بل ان شرور الطلاق والاسباب التي ادت اليه ، كثيراً ما تكون مدعاة لتأريث نار الشر .ومن الاسباب التي تؤدي الى الطلاق منها عدم الانسجام في الطبائع أي رفض المرأة التكيف مع طباع زوجها والرضوخ لنزواته ، طلق دريد بن الصمة زوجته ام معيد لانها عاتبته على جزعه على اخيه عبدالله وصغرت من شأنه وسبته فطلقها وقال فيها:

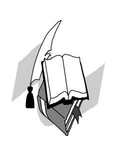
---

[١] " باتت بليلة حرة " . ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، ١/ ١٧٧ .ويورد ابن سيدة قائلاً الرجل اذا عجز عن المرأة عند العرس (حوقل) . المخصص ، ١/ ١١٤ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ١١١/١ مادة (ضنا) ، ٢ / ٧٢ مادة (قلت) ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ٣١٦ . ويسمى الرجل الذي لانسل له بالاباتر ، وقيل الزملق ، ويسمى بالغارز من كان قليل النكاح ، ورجل مئر كثير النكاح . ابن سيدة ، المخصص ، ١ / ١١٢ ، ١١٥ .

[٣] مالك ، الموطأ ، ٢٩١/١ . ٢٩٢ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ٤٥٥/٢، ٥٤٢ .

[٤] الحوفي ، الحياة العربية ، ص٢٢٢ .



اعبد الله ان سبتك عرسي تقدم بعض لحمى قبل بعض

اذا عرس امرئ شتمت اخاه فليس فؤاد شانئه بحمض

معاذ الله ان يشتمن رهطي وان يملكن ابرامي ونقضي [١]

وقد يكون السبب تنافراً عاطفياً او عقم الزوجة ، وقد يكون بسبب كبراً في السن وقد يكون السبب لانجابها الاناث دون الذكور او الفقر وفي هذا يقول عبيد بن الابرص :

تلك عرسي تروم قدماً زيالي البيـن تريد ام لدلال

زعمت انني كبرت واني قل مالي وضن عني الموالي

وصحا باطلي واصبحت كهلاً لايؤاتـي امثالها امثالي [٢]

او قد يكون لعدم قبول المرأة بالضرة ، والى ذلك يشير احد الشعراء والذي كان له ولد من امرأة ثانية وكانت زوجته تؤذيه فهددها بالطلاق قائلاً :

فان كنت مني او تريدين صحبتي فكوني له كالسمن ربت له الادم

والا فسيرى مثل ما سار راكب تجشم خمساً ليس في سيره امم [٣]

وكان لهذا السبب أي الغيرة عند المرأة ان ترى من يزاحمها في زوجها ، حيث كانت الضرائر من اكبر دواعي الغيرة ، وقد عاشت المرأة قبل الاسلام هذه التجربة كما مر ذكره ، حيث كان الزوج لايحده في عدد الزوجات حد ، فروي ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وعنده عشر نسوة واسلم نوفل بن معاوية وعنده خمس نسوة [٤] . واذا طلق الزوج زوجة طلقة واحدة فهو احق بها من غيره فيمكنه العودة اليها ، واذا طلقها ثاية فيمكنه العودة ايضاً ، فان طلقها ثلاثاً فانها تحرم عليه ولا يستطيع العودة اليها [٥]، وكان للطلاق انواع متعددة اهمها الطلاق ثلاثاً وهذا النوع من الطلاق كان موروثاً عن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام [٦]. وقد اقر الاسلام ذلك

---

[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٠ / ١١ .

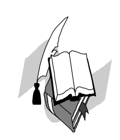
[٢] شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص١١٣ . ١١٤ ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ١ / ٢٣٦ .

[٣] حماسة التبريزي ، ١ / ٩٩ . ١٠٠ .

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٥/٥٠٦ ، ٦/ ٦٠ .

[٥] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥/ ٥٤٩ .

[٦] ابن حبيب،المحبر ، ص٣٠٩ ؛ الشهرستاني،الملل والنحل ، ٢ / ٢٤٦ ؛ الالوسي، بلوغ الارب، ٢ / ٤٩ .



ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس حيث تزوج امرأة فرغب قومها عنه فاتاه فهددوه بالضرب او يطلقها فقال :

ايا جارتا بيني فانك طالقه   كذاك امور الناس غادٍ طارقةٍ

قالو ثنه :

فبيني فان البين خير من العصا   والا ترى لي فوق رأسك بارقه

قالوا ثلث فقال :

بيني حصان الفرج غير ذميمة   وموموقة فينا كذاك ووامقه [1]

وكان الرجل اذا اراد تطليق زوجته قال لها : حبلك على غاربك ، أي خليت سبيلك فاذهبي حيث شئت او يقول لها (الحقي باهلك) او انت خليه [2] فاذهبي حيث شئت او انت مخلى كهذا البعير او اذهبي فلا انده سربك [3]، والاصل فيها ان يقول اذهبي الى اهلك فاني لا احفظ عليك مالك ولا ارد ابلك عن مذهبها وقد اهملتها لتذهب حيث شاءت [4] وكان الطلاق يتم على ثلاث مرات متفرقات ، فاذا طلق الرجل امرأته للمرة الاولى والثانية جاز ان يعود اليها ، اما اذا طلقها للمرة الثالثة فلا تحل له الا بعد ان تتزوج من رجل آخر ، ومن مظاهر تخلي الرجل عن علاقته بزوجه طلاق الظهار حيث يقول لها انت علي كظهر امي او كبطنها او كفخذها او ظهر اختي او عمتي او ماشابه ذلك بقوله تعالى " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا " [5]

وقوله تعالى " ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وماجعل ازواجكم اللاتي تظاهرون منهن امهاتكم " [6] وكان الظهار عند العرب قبل الاسلام اشد الطلاق .

---

[1] ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٩ / ١٢١ ؛ ديوان حماسة التبريزي ، ١/٩٩ . ١٠٠ .

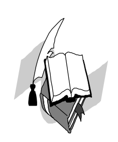
[2] الزبيدي ، تاج العروس ، ١٠/ ١١٩ مادة (خلو) .

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ١ / ٦٤٤ مادة (غرب) ؛ ١ / ٤٦٤ مادة (سرب) ، ١٣ / ٥٤٨ مادة (رنده) .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٥٤٨ مادة (ندة) .

[5] سورة المجادلة ٥٨، الآية ٣ . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦/ ٢٥٨ (دار الحديث) .

[6] سورة الاحزاب ٣٣، الآية ٤ . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦/ ٢٦١ (دار الحديث).



وهناك نوع آخر من الطلاق يحصل الزوج من خلاله على ترضية ماليه ، وهو مايطلق عليه (بالعظل) وكان موجوداً في مكة ، فيتزوج الرجل المرأة الشريفة ثم لايوفق او ينسجم معها ، عند ذلك يفارقها على ان لاتتزوج الا بارضائه والا عضلها [١]اما النوع الاخر فهو طلاق الايلاء فهو قسم الرجل على ترك زوجه مدة معينة قد تصل الى اكثر من سنتين تكون فيها المرأة في بيت زوجها على ان الزوج لايقترب منها ، ولايمكن ان نعد هذا النوع طلاقاً وانما هو عقوبة يوجهها الزوج لزوجه وقد اقرها الاسلام [٢] استناداً الى ماجاء بقوله تعالى " للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم " [٣]

واذا كان الطلاق قبل الاسلام من حق الرجل فان المرأة اعطيت حق خلع نفسها منه بالاتفاق ، واذا ما طلقها الرجل سمي بالخلع *، وهناك من النساء من جعلن امرهن بايديهن من ازواجهن ، ان شئن عشن مع ازواجهن ، وان شئن تركن معاشرتهم واوقعن الطلاق ،ومن هوءلاء النسوة (سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد الخزاعية) ام عبدالمطلب بن هاشم ، (وعاتكة بنت مرة بن خلال) وهي ام هاشم بن عبد مناف ، ولم يكن للمرأة قبل الاسلام عدة فكانت تتزوج بعد طلاقها ، حتى ولو كانت حاملاً ، فاذا ولدت عدت حاملاً من زوجها الثاني ويكون الزوج والداً شرعياً لذلك المولود لانه ولد على فراشه فمن اولئك سعد بن زيد بن صعصعة تزوج الناقمية وهي حامل من معاوية بن بكر بن هوازن فولدت على فراش سعد بن صعصعة ، وهذا في قريش والعرب كثير ولو اردنا استقصاءه لكثر [٤].

ولم يكن الطلاق عند العرب قبل الاسلام محبباً الى الزوجين ، ولايمر دون غصة وندم وكان بعض الرجال يقدم على طلاقه من زوجه فيجزع جزعاً شديداً ، ومن الامثلة على ماذكرناه كان عبدالله بن ابي بكر رضي الله عنه قد تزوج عاتكة

---

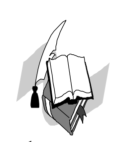
[١] ابو داود ، سنن ابي داود ، ٢/٢٣٠ .

[٢] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ٥/٥٥١ .

[٣] سورة البقرة ٢، الآية ٢٢٦ . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦/ ٢٥٦ (دار الحديث) .

* الخلع : هو فراق الزوج على مال وكان الرجال يخلعون نساؤهم ايضاً وهو فراق الزوجة على مال مأخوذ من خلع الثوب . ينظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، ٢/ ٤٩ .

[٤] ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٣٨ . ٣٤٠ .



بنت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نساء قريش ، فلما دخل بها احبها حباً شديداً وامره ابوه ان يطلقها ففعل هذا ولكنه جزع جزعاً شديداً حتى ترك الطعام والشراب وانشد قائلاً :

لم ار مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سمح ورأى ومنصب وخلق سوى في الحياء ومصدق

اعاتك لا انساك ماهبت الصبا وما ناح قمري الحمام المطوق

اعاتك لا انساك ما حج راكب ومالاح نجم في السماء محلق

ولولا اتقاء الله في حق والدٍ وطاعته ما كان منا التفرق [١]

وربما يكون الطلاق لاسباب خارج نطاق الحياة الزوجية ، فقد امر ابو لهب اولاده عتبة وعتيبة بتطليق زوجاتهم رقية وام كلثوم بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك للعداء الذي يكنه ابو لهب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢] . قال احدهم وهو نادم على طلاق زوجته :

كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم ولامك اقوام ولومهم ظلم [٣]

واذا كان وفاء الزوجة يتبدى في عدد من حالات الطلاق فانه يتضح اقوى واعمق عند وفاة الزوج ، فتأسى الزوجة كبير وفي ذلك تقول فاطمة بنت الاحجم الخزاعية :

لقد كنت لي جبلاً الوذ بظله فتركتني اضحى بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي امشي البراز وكنت انت جناحي

فاليوم اخضع للذليل واتقي منه وادفع عاذلي بالراح [٤]

ويذكر جواد علي ان المرأة كانت تدفن في العادة على مقربة من زوجها ، اما الزوج فانه لابد انه يشعر بالحزن ، فقد يرثيها شعراً او نثراً [٥]

---

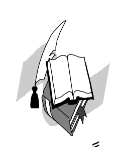
[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ٣١١/١٠ ؛ المدائني ، المردفات من قريش ، نوادر المخطوطات ، ص٦٢ .

[٢] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٥ .

[٣] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٤٩/٩ .

[٤] ابوعلي القالي ، الامالي ، ١/٢ . ينظر : ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص٢٠٥ .

[٥] المفصل في تاريخ العرب ، ١٧٤/٥ .



ومن الجدير بالذكر ان ارث الزوجة من الزوج ظل متناقضاً ، فالاخبار متضاربة بشأنه ، الا ان اكثرها يشير الى انها لاترث ، ولكن حرمان النساء من الارث قبل الاسلام ليس سنة عامة عند جميع القبائل [1] .

ولابد هنا من ذكر ان الطلاق كان معروفاً لدى جميع الامم ، فلقد مارسه العبرانيون ، فقد خولت القوانين العبرية القديمة الرجل ان يطلق زوجته ولم يخول للزوجة من طلب الطلاق [2]. اما موقف المسيحية فقد كانت تحرم الطلاق لكنهم يفسخون العقد لاسباب كالزنا ، ويعدون هذا انفصالاً لا طلاقاً ولايجوز لاحد الزوجين ان يتزوج بعده [3].اما الرومان فنجد ان الطلاق قد شاع في زمن الجمهورية الاخيرة ، طمعاً من الرجال الى المال وغراماً بالنساء وظل الطلاق منتشراً حتى خففت المسيحية من شدته [4] .

ان الصورة الحقيقة لعلاقة المرأة بالرجل زوجاً وبعلاً من الصعب تحديد مضمونها والتعميم فيها لانها مرتبطة في الواقع بالعاطفة التي قد تنشأ بينهما ، الا ان الحياةالاجتماعية المحددة نسبياً فضلاً عن الظروف الصعبة التي يعيشها الزوج والزوجة ، كانت تملي على الطرفين ان يعيشا متآزرين لصيقين ، وعلى الرغم من احتلال العلاقة الجنسية حيزاً كبيراً في تلك الصلة بين الطرفين وايمان المرأة والرجل بسيادة الرجل في الاسرة والمجتمع ، ومع امتلاك الرجل للمرأة ، الا ان الرجل يعرف فيقرارة نفسه ان ملك ثمين اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً له ذاتياً وللمجتمع ، والى ذلك اشار العفيفي "ان من ضعف الاسلوب ان يقال ان العربي كان رفيقاً بالمرأة عطوفاً عليها فان الرفق والعطف يشعران بالضعف بين يدي القوة على حين كان نصيبها من الحياة على قدر نصيبه وقسطه من الاجلال والاحترام في قلبها على قدر قسطها من قلبه " [5].

---

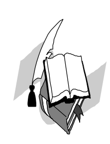
[1] ويلكن ، الامومة عند العرب ، ص٦٥ ومابعدها .

[2] علي ، محمد كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، دار الكتب ، (بلامكان طبع ، ١٩٣٤) ، ١/ ٨٠ .

[3] دائرة معارف البستاني ، ٣٣٦/١١ . ينظر : علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص١٢٧ .

[4] دائرة معارف البستاني ، ٣٣٦/١١ ؛ محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ٨٠/١

[5] المرأة في جاهليتها واسلامها ،٢٨/١ .



الفصل الرابع

مظاهر الحياة الاجتماعية

لقد حملت طبيعة الظروف الجغرافية والمناخية في شبه الجزيرة العربية، العرب الى التكيف معها، فقامت حياتهم على الاستقرار في المدن ، ووصفتهم المصادر بانهم اهل مدر ، لانهم اتخذوا المساكن المبنية كناية عن حياة الاستقرار ، وقد ساعدهم هذا الاستقرار في حياتهم على تطوير حياتهم وتحقيق التقدم في مختلف مجالات الحياة ، فاصبحوا اصحاب حضارة ، كما هو شأن العرب الذين استقروا في باقي البلاد العربية كالعراق والشام واليمن وغيرها . ولان الانسان اجتماعي بطبعه ، فقد عاش العرب حياة اجتماعية قوامها التعاون والتآزر من اجل الدفاع عن انفسهم واشباع احتياجاتهم المعاشية [١] .

ولقد ادى الطعام دوراً مهماً في التاريخ العربي قبل الاسلام ، فقد كان الاشراف وسادة القوم يتقربون الى العامة بنصب الموائد واطعام الجائعين وعدّوها من امارات النبل والكرامة .

اولاً : الاطعمة والاشربة

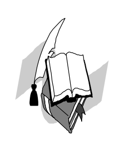
الاطعمة والاشربة وغيرها من مقتضيات الانسان وضرورات معاشه ووجدت منذ وجوده ، ولكنها تأثرت في الكم والنوع بارتقاء البشرية في سلم المدينة على مر الزمان وتعاقب الاجيال ، وتأثرت بطبيعة الظروف والانظمة ، والافكار ، وطبيعة العلاقات المتبادلة بينهما . وسنحاول في هذا المبحث ان نتعرف ماكان معروفاً من الاطعمة والاشربة في المجتمع العربي قبل الاسلام .

فالطعام اسم جامع لكل مايؤكل،واشهر الطعام عند العرب الغداء والعشاء [٢]، وقد اعتادوا تعجيل وجبة الغداء وتاخير العشاء وكانوا يرون في ذلك اقرب الى راحة البدن وصحته ، وسئل احد الاعراب عن ذلك فقال:ان فيه ثلاث خصال الاولى

---

[١] ابن خلدون ، المقدمة ، ص٤١ .

[٢] ينظر : طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق : كامل بكري وعبدالوهاب ابو النور ، دار الكتب الحديثة ، (مصر ، بلا . ت) ، ١٨٣/٣ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٦٧/٥ .



: انه ينشف المرة ، والثانية : يطيب النكهة ، والثالثة : انه يعين على المروءة قيل وكيف يعين على المروءة قال : اذا خرجت من بيتي وقد تغديت لم اتطلع على طعام احد من الناس [١] .

وكانوا يطلقون اسم الصبوح على وجبة الغداء والغبوق على العشاء [٢] ، قال حاتم الطائي :

وغداة صبحن الجفار عوابساً يهدي اوائلهن شعث سزب [٣]

ويعد اللحم افضل انواع الطعام ونجد في كتب التاريخ ان كثيراً من رجال مكة حوت موائدهم اللحم والشحم يقدمونها للضيوف ومنقطع الحاج [٤]. وقد برز عدد من رجال مكة تميزوا باقامة ولائم عامة في سنوات القحط والمجاعة ، وكان من بين هؤلاء هاشم بن عبد مناف والذي اشتق اسمه من هشمه الثريد واطعامه اهل مكة قال الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف [٥]

ومن الاكلات التي يشكل فيها اللحم حضوراً (الحريرة) وهي قطع صغيرة من اللحم في ماء كثير يذر عليها الدقيق ، واذا كانت بلا لحم فتسمى عصيدة ، واول من عمل الحريرة في مكة سويد بن هرمي المخزومي ، قال شاعر لبني مخزوم :

وعلمتم اكل الحرير وانتم اعلى عداة الدهر حد صلاب [٦]

وقد اجدبت يثرب فلم يبق في سوقها حبة حنطة ولا شعير ، فجاء الجراد فاستغنى كل قوم بما في دارهم من جراد ، فحشوا الاجواف وطبخ الناس وملحوا وقلاّ من قدر على الزيت وملأ الناس الحباب والجرار [٧]. وكانوا يسمون الطعام الذي

---

[١] الالوسي ، بلوغ ، ٣٧١/١ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٠٥/٢ مادة (صبح).

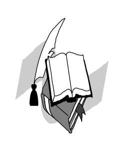
[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٠٥/٢ مادة (صبح).

[٤] ابن حبيب ، المنمق ، ص ٤٢٤ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ١ /١٥٢ .

[٥] ابن هشام ، السيرة ، ١٤٤،١٤٣/١ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٥٨/١.

[٦] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٨٥/٥.

[٧] ابن بكار ، الزبير (ت٢٥٦هـ) ، الاخبار والموفقيات ، تحقيق : سامي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص ١٤٥ . ١٤٦ .



يطبخ ويجعل فيه جراد (العشيمة) وهو عندهم طعام لذيذ ، ويذكر بعضهم ان الانسان قد يصاب بالشري من اكله وقد يشكو من بطنه قد تصيبه [1]، اذا توفر اللحم عندهم اكلوه شياً او طبخاً ، او جعلوه مع اطعمة اخرى ثريداً وغيره ، واذا زاد عن الحاجة ، وقلما كان ذلك ، جعلوه قديداً ليأكلوه من بعد عند الحاجة ، وكانوا يحتفظون بالشحم لاغراض الطبخ والاكل ، وروي ان رجلاً من المسلمين في غزوة خيبر جرب شحماً من الغنائم ليأكله واصحابه [2].

وقد يطلق على حيس التمر اسم (الثريد) [3]، وقد لجأ العرب قبل الاسلام الى طريقة كبس التمر للمحافظة عليه زمناً طويلاً ولسهولة نقله والاتجار به من مكان الى آخر ، ومن طرقهم في ذلك انهم كانوا ينزعون نواة التمر يكنزونه في قرب وظروف ، وعرفت يثرب وماحولها بكثرة نخلها ، وقد اشير الى كثرة نخل يثرب يقول امرئ القيس :

علون بانطاكية فوق عقمةٍ　　　كجرمة نخل او كجنة يثرب [4]

وقد يجمعون التمر مع الدقيق والسمن فيعملونه ويأكلونه ايضاً ، وعد الحيس من اطعمة العرب الشهيرة [5]، فضلاً عن استعمال التمر لاغراض الاكل واتخذوه لاغراض الشراب ، ولما لم يجد الناس غير التمر في اكثر الاوقات لسد حاجاتهم من الطعام ، وردت الاخبار بفضله ، "قيل ان رجلاً اسر رجلين فخيرهما بم يعشيهما،فاختار احدهما اللحم،واختار الاخر التمر، فعشاهما وتركهما في الفناء وذلك في شتاء شديد، فاصبح صاحب اللحم خامداً واصبح صاحب التمر تزر توقد عيناه،ورأى بعض الاعراب فيه مسداً لايسده الدقيق ففيه ادمة وزيادة حلاوة " [6] ،

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ٣١٨/٢ مادة (جرد) ، ٣١١/٨ مادة (رزم) ؛ الالوسي ، بلوغ ، ٣٨٤/١ .

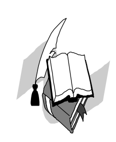
(٢) ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله المالكي (ت٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، على هامش الاصابة في تميز الصحابة ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٣٢٨) ، ٣/ ٣٥٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ٣٩٣/١.

(٤) علون انطاكية : ثياب مما ينسج بانطاكية وهي من مدن الشام المشهورة بجنة يثرب ، والجنة في عرف العرب البستان من النخيل . ينظر : شرح ديوان امرؤ القيس ، ص٣٣ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٦٨،٧١/٥ .

(٥) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٠٤.١٩٨/٣ .

(٦) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٠٢/٣ .



وعدوه من اكثر الثمار اهمية للبدن ، وفي الحديث النبوي " من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر " (١)، واذا توفر الزبد خلطوه بالتمر واكلوه ، وكانوا يحبون ذلك كثيراً ولكنه قليل ، وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب الزبد والتمر (٢).

وتوصف النخلة عموماً ، ونخلة البلح خصوصاً ملكة عالم النبات في الجزيرة العربية ، فهي تنتج اطيب ثمر واعمه ، وقوام الطعام عند البدوي لونان التمر والحليب ، واذا استثنينا لحم الابل ، فالتمر هو الطعام الصلب الوحيد الذي يتناوله العربي ، وتأتي اهمية النخلة من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه ادم" (٣)، وسئل انو شروان كسرى احد خطباء العرب ماأكثر غذائكم قال:اللحم واللبن والنبيذ والتمر (٤).

وفضلاً عن التمر فقد استعملوا الزبيب وكانوا اتخذوه من العنب ، مثل التمر كثرة ، وكانت قريش تعالج فيه ماء زمزم ، فكانت تنبذ فيه الزبيب ولكنه لم يكن في موسم الحج وتسقيه الحجيج (٥)، وكان الناس يتخذون من الزبيب نبيذاً يشربونه .

اما الخبز فكان في طعام اهل الحجاز قليلاً وكانوا يتخذونه في الغالب من الشعير يدقونه ويطحنونه ثم يذرونه نفخاً حتى يطير ريشه ثم يعجنونه ويخبزونه ، ولم تكن لهم مناخل ، وقيل ان عثمان بن عفان رضى الله عنه كان اول من نخل له الدقيق من الخلفاء (٦). واشتهرت مكة بعدد من الاكلات من ابرزها السخينة ، وتتخذ

---

(١) البخاري ، صحيح ، ٥ / ٢٠٧٥ ؛ الذهبي ، ابو عبدالله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) ، الطب النبوي ، تحقيق : احمد البدراوي ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ص٩٠.٩١ .

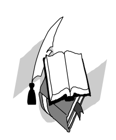
(٢) ابن ماجة ، السنن ، ١١٠٦/٢ .

(٣) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٥/ ٣٩ ؛ ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٠٩/٣ـ٢١٣. وقد اورد الالوسي اسماء عدد من الاكلات ، شكل التمر الاساس منها (العيشة) وهو الاقط يخلط بالتمر اليابس و (الحيس) السمن مع التمر و (المجيع) وهو التمر مع اللبن ، وهو حلواء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ينظر : الالوسي ، بلوغ ، ٣٨٤/١ومابعدها.

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢/ ٩٨ .

(٥) الازرقي ، اخبار مكة ، ١١٣/١ . ١١٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٤/ ٤٠١ . كانت المرأة تتخذ غط كالوعاء لحفظ الخبز ونحوه ويسمى (العكم) . ابن سيدة ، المخصص ، ٢/ ١٣ .



من الدقيق وهي دون العصيدة وفوق الحساء وكانوا يأكلونه في شدة الدهر وغلاء الاسعار ولاسيما الفقراء منهم ، وكانت قريش تعير بها حتى لقبت بها ، قال خداش بن زهير :

ياشدة ماشدونا غير كاذبة   على سخينة لولا الليل والحرم [١]

ولقد ادخلت الى مكة بعض انواع الاطعمة غير المألوفة لديهم نتيجة احتكاكهم بالامم الاخرى كالروم والفرس ، ومن اشهر هذه الاطعمة الفالوذج وهو حلواء يسوى من لب الحنطة ، ويروى "ان عبدالله بن جدعان كان سيداً شريفاً في قريش وقد نزل على كسرى مرة واكل عنده الفالوذج ، فتعجب منه وسأله عن حقيقته فقيل : هي لباب البر يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاماً يصنعه ، وقدم به مكة فصنع الفالوذج فوضع موائده بالابطح الى باب المسجد ثم نادى : من اراد ان يأكل الفالوذج فليحضر " [٢].

وقد اشار الى ذلك امية بن ابي الصلت قائلاً :

له داعٍ بمكة مشمعل   واخر فوق دارته ينادي

الى ردح من الشيزي ملاءٍ   لباب البر يلبك بالشهاد [٣]

ويروى ان اهل يثرب " لما نزل فيها ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا ببعض مأكولاتهم ، فسموا البطيخ (الخريز) ويسمون السميط (الرزدق) ويسمون المصوص (المزور) ومأكولات اخرى[٤] " ادخلها الفرس وامثالهم بحكم نزولهم على العرب قبل الاسلام ، وكان من تنصر من العرب يأكلون لحم الخنزير ، يأكلونه اشد الاكل ، ويرغبون في لحمه اشد الرغبة ، حتى انهم كانوا يأكلون كل شيء يقع بين ايديهم لشدة الفاقة والحاجة ولاسيما الاعراب [٥].

---

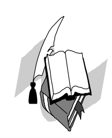
[١] الزبيري ، نسب قريش ، ص٣٠٠ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص ١٩٨ ؛ البلاذري ، انساب ، ١٠١/١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٠٦/١٣ مادة (سخن) .

[٢] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٠٣/٣ .

[٣] شرح ديوان امية بن ابي الصلت، ص٣٣ ؛ ابن حبيب،المنمق، ص٤٦٥؛ الثعالبي، ثمارالقلوب ، ص٦٩ .

[٤] الجاحظ ، البيان التبين ، ١/ ١٩ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٦٥/٥ .

[٥] الجاحظ ، الحيوان ، ٤١/٤ . ٤٤ .



ولم تكن مسألة الترفع في الطعام او الشراب يستحوذ على اهتمام العرب عامة واهل يثرب خاصة ، ولذلك نجد احياناً ان عامة زادهم التمر واحياناً خبز الشعير (١) وربما اولموا وليمة وليس فيها خبز ولا لحم ، ومع ان هذا القول ربما كان يصور الحالة المعيشية التي كانت تمر بها يثرب في كثير من الاحيان ، لان المعروف عن اهل يثرب في تلك الحقبة قلة اقبالهم على الطعام (٢).

وكان افخر طعامهم الثريد من الخبز وعراق اللحم ، وكذلك الخبز المثرود باللبن ، والثريد من التمر (٣)، ومن الاطعمة التي يفضلها اهل يثرب الرطب وسائر الحلو والعسل والبطيخ والسفرجل ونحو ذلك من الفاكهة (٤) ، كذلك احبو مرق الدباء (القرع) مع خبز الشعير بالشحم المذاب ويعرف بالاهالة وهي الودك وكانوا يتأدمون بالخل ايضاً (٥).

ومما هو جدير بالذكر ان الناس كانوا يتناولون وجبتين من الطعام يومياً ، هما وجبة الغداء ، ووجبة العشاء ، وهذا مايوحي ان الوجبة الاولى وهي الغداء كانوا يتناولونها في الصبح قبل الزوال ، اما الوجبة الثانية فكانوا يتناولونها بعد الغروب ليلاً ، ونلمس ذلك جلياً من خلال قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " اذ لم تصطحبوا ولم تغتبقوا " فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ذكر وقتين هما الاصطباح وهو شرب اللبن في الصباح ، والاغتباق او الغبوق وهو شرب اللبن ليلاً (٦)، وكان من عادات العرب ان يقلّوا من الاكل وكانوا يعيبون الرجل الاكول الجشع ويرون ان " البطنة تأفن الفطنة ، يريد ان الشبعة والامتلاء يضعف الفطنة أي الشبعان لايكون فطناً عاقلاً " (٧).

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ٤٠٨/١ ؛ الواقدي ، المغازي ، ص ٢٦٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، ٤١٠/١ .

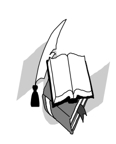
(٣) الواقدي ، المغازي ، ص٢٥٥ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ٣٩٣/١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٠٢/٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، ٣٩١/١ ؛ الواقدي ، المغازي ، ص٢٥٦ .

(٥) البخاري ، صحيح ، ٣/٤٩.٥٠ ." وربما اضافوا الى طعامهم البصل والثوم " ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٣٩٥/١.

(٦) الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٢٩/٩ . ينظر : الدينوري ، ادب الكاتب ، ص٩٦ .

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٩/١٣ مادة (أفن) .



وقيل لجالينوس " انك تقل من الطعام قال : غرضي من الطعام ان آكل لأحيا ، وغرض غيري من الطعام يحيا ليأكل " [١]، وفضلاً عما تقدم لابد من الاشارة الى ان العرب كانوا يتخذون المناسبات كالاعياد والاعراس والولادة والوفاة وغيرها ، مناسبات لاقامة المآدب العامة ، ولكن هذه المآدب كانت تتأثر في الكم والنوع ، وغالباً ماتكون بحسب المستوى المادي للناس ويسر احوالهم ، فكانت تذبح الذبائح في الولائم [٢]والمناسبات اكراماً للضيوف وتكون تبعاً للمنزلة ، فللضيوف من الملوك يبالغ سيد القبيلة في عدد الذبائح اكراماً لمنزلته ومكانته [٣].

ويعطي الالوسي مايشبه هذه القائمة من الافراح الاسرية والتي كانت تمد فيها الولائم وتقدم فيها الوان الاطعمة ، وقد حرص العرب ان يفردوا طعام كل مناسبة منها باسم خاص فسموا (الخُرسُ) وهو طعام يصنع للنفساء لسلامة المرأة من الطلق (طعام الولادة) ، والعقيقة : مايصنع للطفل بعد ولادته وتختص باليوم السابع ، والاعذار : مايصنع للختان ، والملاك : مايصنع للخطبة وطعامه يسمى(الشُنْدَخ) [٤] ووليمة العرس : وهي مايصنع للدخول بالزوجة ، والوضيمة وهي مايصنع للميت، والوكيرة [٥] : وهي مايصنع للبناء يعني للسكن المتجدد ، واللحفة مايصنع للزائر ، والنقيعة مايصنع للقدوم من السفر ، والقرى مايصنع للضيف [٦].

فضلاً عن وجود دعوات خاصة وعامة [٧]، وقد ادت هذهالولائم دوراً مهماً ، فقد كان كثير من الوجوه والسادة يتقربون الى العامة بنصب الموائد الضخام واطعام

---

[١] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٧٢/٣ .

[٢] الوليمة : تطلق على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من نكاح او ختان وغيرها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٤٣/١٢ مادة (ولم) ؛ الالوسي ، بلوغ ، ٣٨٥/١ .

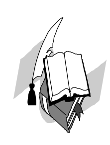
[٣] الالوسي ، بلوغ ، ٣٨٦/١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٧٠/٥ .

[٤] الشندخ : أي يتقدم غيره وسمي طعام الاملاك . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،٣١/٣ مادة (شندخ).

[٥] الوكيرة : مأخوذ من الوكر وهو المأوى والمستقر. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٨٧/٣مادة (عذر) .

[٦] بلوغ الارب ، ٣٨٦/١ ومابعدها .

[٧] عامة (الحفلى) هي التي تعم دعوتها ، (والنقرى) وهي التي تكون دعوتها خاصة ، وكان يقال للداخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع (الوارش) والداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع (الواغل) ، والذي يأتي مع الضيف ولم يدع يسمى (الطيفن) ، ويسمى الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه (الارشم) . ينظر : ابن قتيبة الدينوي ، ادب الكاتب ، ص١٧٢.١٧١ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٦/٦ .



الجائعين ، ويعدون ذلك من امارات النبل والكرامة ومااالى ذلك من سبب سوء الحالة الاقتصادية في الجزيرة ، فكان عبدالمطلب بن هاشم وابوه هاشم وعبدالله بن جدعان قبل الاسلام مسرفين في اقامة الولائم العامة [١].

وكان من المعيب عند العرب بيع شيء من الطعام لمن هو في حاجة اليه ، وهم يشعرون بالخجل والاهانة اذا طلب معسر طعاماً او شراباً كالبن او الماء ثم لايجاب طلبه او يطلب عن ذلك ثمناً يقبضه مقابل ماقدم من طعام او شراب ، لان القرى واجب على كل عربي ، ولايكون القرى بثمن ، فكيف يقف انسان موقف بخل وامساك امام مرمل محتاج [٢] ، ويعبر عن الطعام بالزاد ، وان الزاد طعام السفر والحضر ، وهذا يوافق ماذهب اليه المسعودي " انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح بمنى ويشرقون اللحم في الشمس " [٣].

وكان للعرب تسميات للاواني المستخدمة في تهيئة الطعام منها الجفنة والدسيعة ، والقصعة ، والمكتلة ، والفيخة وتسمى السكرجة ، وهي اناء صغير لايشبع الرجل ، والمكتلة تشبع الرجلين والثلاثة ، والقصيعة تشبع الاربعة ، والجفنة تشبع السبعة الى العشرة ، والدسيعة اكبرها وقيل اكبرها الجفنة ، قال حسان بن ثابت الشاعر :

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى   واسيافنا يقطرن من نجدة دما [٤]

وقيل ان لعبدالله بن جدعان جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وذكر انه وقع فيها صبي وغرق [٥].

وللاغنياء اداب في مأكلهم تبدأ بغسل الايدي في الغالب لازالة ماقد يكون قد علق بها من اتربة واوساخ ، فاذا انتهوا من غسل الايدي اكلوا بها ، واذا انتهوا من

---

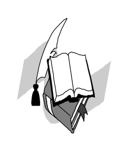
[١] طلس ، اسعد محمد ، الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، لسنة ١٩٥١ ، ص٢٧٢ .

[٢] الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٥١/٧ مادة (رمل) . جواد علي ، المفصل ، ٦٧/٥.

[٣] المسعودي ، مروج ، ١٩٠/٢ . ينظر : جواد علي ، المفصل ، ٦٨/٥ .

[٤] شرح ديوان حسان ، ص٢٢١ . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ٥٤ . ٥٧ .

[٥] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٦٨/٣ . وفي كلام العرب " ليس في الطعام ولا في النساء سرف " ينظر : عيون الاخبار ، ٢٣٤/٢ .



طعامهم غسلوا ايديهم كذلك لتنظيفها من الدسم ومن المواد الاخرى التي تكون قد علقت بها من بقايا الطعام ، والاكل باليد عادة شائعة بين العرب [١].

وتتم عملية غسل اليدين بالاشنان " يجعله على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى ، ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ، ثم ينعم غسل الفم باصبعيه ظهراً وبطناً ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله " [٢]

وتختلف طريقة اكل الحضري عن طريقة اكل الاعرابي ، فاذا تناول الحضري لقمة صغرها واكلها باطراف الاسنان يحاول جهده ان لايملأ فمه بلقمة كبيرة فيبدو الفم منتفخاً منها ، وهذا غير مألوف لدى الاعرابي " قدم اعرابي على ابن عم له بمكة فقال له ان هذه البلاد مقضم وليست ببلاد مخضم " [٣] ، ومن ادابهم بالطعام كرهوا الرجل ان يتابع بنظره من يؤاكله ، ولم يروا في المرؤة ان يأتي طعاماً لم يدع اليه (صفليا) وقيل سمي (الضيفن) ، وانكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان لايجيب المرء الدعوة استخفافاً بمن دعاه وعد ذلك من المعاصي [٤].

ويبدو انهم حسبوا الاكل من الامور الخاصة التي تتم داخل البيت ، فعدوا الاكل في الاسواق دناءة ولم يجيزوا الحديث عنه في الملأ والناس [٥]. ويروى عن الاحنف بن قيس انه قال " جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام فاني ابغض الرجل ان يكون وصافاً لبطنه وفرجه " [٦].

واعتمد الاغنياء منهم على الخدم من كلا الجنسين في طبخ الطعام وتقديمه لاسيادهم ، وقد اعتمد اهل مكة في طعامهم على انواع عديدة من الفاكهة التي

---

[١] جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٦٣ .

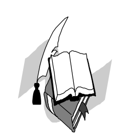
[٢] طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، ١٨٥/٣ . ١٨٦ .

[٣] الخضم : الاكل بجميع الفم ، والقضم دون ذلك . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٧٩/٨ مادة (خضم) ؛ الوشاء ، ابي الطيب محمد بن احمد ، الظرف والظرفاء ، تح : فهمي سع ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٩٨٥) ، ص ١٠٥ . ١٠٦ . ينظر : اداب المائدة في التراث ، نبيلة عبدالمنعم ، بحث القي في منتدى بغداد عام ١٩٩١ ، امانة بغداد .

[٤] ابن قتيبة الدينوري ، ادب الكاتب ، ص١٣٧ . ينظر : الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص٧٤٢ .

[٥] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢١٤/٣ ؛ طاش كبرى زاده ، مفتاح السعاده ، ١٩٣/٣ .

[٦] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٢٠/٣ .



تجلب من الطائف وفي مقدمتها العنب [١]، وقد يقدم طعام يتعلل به قبل الطعام يعرف عندهم بـ (السلفة) واذا اريد ان يكرم الرجل بطعامه غير ذلك بلفظة (القفي) واما مايرفع من المرق للانسان فيقال له (القفاوة) وذلك دلالة على التكريم والتقدير [٢]. وسمي بعض من العرب بازواد الركب ، وسموا بذلك لانه لم يكن يتزود معهم احداً في سفر وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد وكان ذلك خلقاً من اخلاق اشراف قريش ، ولكن لم يسّم بهذا الاسم الا ثلاثة [٣].

ثانياً : الشراب

لقد مر سابقاً ان بلاد العرب عرفت بشحتها للمياه فاعتمد اهلها على مياه الابار والعيون والامطار في حياتهم اليومية ، لذلك عدوا شرب الماء الصالح للشرب من المفاخر لديهم ، وقد افتخر بذلك عمرو بن كلثوم قائلاً :

ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا [٤]

لقد وجدت هذه الشحة في مكة مثلاً الى حفر آبار جديدة حتى ان بعض منها كان يحفر ابار خاصة به ولقومه دون غيرهم وكانت بعض الابار خاصة بافراد معينين ، وقد بلغ عدد الابار في مكة ثمانية وخمسون [٥] بئراً ، ويستنتج من خلال ماتقدم ذكره بالفصل الاول ان ملكية الماء مرت بثلاث مراحل فمنها ابار عامة مشاعة للجميع يقوم بحفر هذه الابار الزعماء وسادة القوم ، الا ان مياه الابار هذه كانت غليظة فليجأون الى تحليتها من خلال نبذ التمر والزبيب في الماء اللذين كانا متوافرين في مكة اذ كان الاغنياء من قريش يمتلكون بساتين ومزارع الكروم في الطائف [٦]، وهناك ملكية خاصة بالبطون والبيوتات وتكون لكل بطن منهم ابار

---

[١] ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٢٦ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ١٥٢/١ .

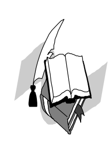
[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٦١/٩ مادة (سلف) ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٦/٦ .

[٣] هم نفر من قريش منهم مسافر بن ابي عمرو بن امية ، وزمعه بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبدالعى ، وابو امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٣٧؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٧٩ .

[٤] الزوزني ، شعراء المعلقات ، ص١٨٠ .

[٥] الفاسي ، شفاء الغرام ، ٣٤٠/١ .

[٦] الازرقي ، اخبار مكة ، ١١٤/١ ح الطبري ، تاريخ ، ٣٤٦/٢ .



لايحق لغير افراد هذا البطن استعمالها ، اما الاخيرة فهي ابار خاصة بالافراد من كبار المجتمع من التجار والاثرياء وذوي السيادة وتكون البئر احياناً في داخل الدار ، وكان اهل يثرب يوفرون الماء لبيوتهم بواسطة الابار الخاصة بالبيوت ، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الاهتمام بها ودعا الى عمل حوض خاص بجانب البئر يملأ كل يوم ويغطي البئر [١].

وكانت العيون موجودة في يثرب والطائف باعداد كبيرة ، فضلاً عن الابار التي احتفرها السكان ، مما دفع سكانها الى العمل بالزراعة ، ومن هنا كثرت البساتين ، وتخبرنا المصادر عن تعلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السباحة عندما كان عمره ست سنين في بئر انس حينما زار اخواله بني النجار مع امه [٢].

ويعد اللبن اكثر يسراً وتفضيلاً عند معظم العرب ، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "من سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس من شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللبن " [٣].

والوضع يختلف في الطائف فان ارتفاع موقعها ساعد على وفرة مياهها واعطتها هذه الصفة القيمة الاقتصادية كما مر وهذه الوفرة في المياه ساعد على نشوء نظام ري للاغراض الزراعية والاستفادة من المياه في فصل انعدام الامطار [٤] ، وقد كان لهم في بيوتهم اسقية يسقون فيها الماء من الابار ، وقد كانت لليهود ابار حصلوا منها على اموال بسبب بيع مائها لمن يحتاج [٥] ، ولم يعتمدوا على الابار فقط ، بل كان هناك السقاؤن الذين ينقلون الماء الى البيوت اما بالقرب او الصفائح [٦] .اما في مواسم الحج حيث الاعداد الكبيرة الوافدة على مكة التي تبقى مدة طويلة

---

[١] الفاسي ، شفاء الغرام ،٩٠/٢ ؛ مؤنس ، حسين ، السيرة النبوية رؤية جديدة ، مجلة الهلال ، ايلول ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٢٣ .

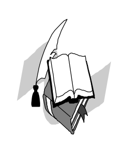
[٢] السمهودي ، وفاء الوفا ، ٩٥١،٩٥٢/٣.

[٣] الترمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، تح : احمد محمد شاكر وآخرون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) ، ٥ / ٥٠٦ .

[٤] دائرة المعارف الاسلامية ،٥٥/٦ . عبدالله بن خميس ؛ المجاز بين اليمامة والحجاز ، ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

[٥] الازرقي ، اخبار مكة ، ١١٤/١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٧٧/٥ .

[٦] حافظ وهبة ، جزيرة العرب ، ص١٣٥ .



فيها ، فمن اين كانت تسقى خلال مدة بقائهم في مكة ؟ والجواب على ذلك ان قريشاً كانت تقيم البيوت في المواسم على الطرق وفي المعابد وتتخذ سقاية يستسقي منها الناس بلا ثمن ، وقد ذكر ابن منظور " انه كان يستعذب الماء من بيوت السقيا " [١]، وشربوا العسل بالماء وشربوا نقيع التمر ، وهذا يعني ان المياه كانت غير سائغة مما جعل الحجازيون يضعون معه التمر او الزبيب او العسل وقد سئل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن افضل الشراب قال (الحلواء البارد) يعني العسل [٢] وقد ورد في الامثال العربية (الذ من الغنيمة الباردة) وذلك لان اهل تهامة والحجاز لما عدموا البرد في مشاربهم سموا الماء النعمة الباردة ، ثم كثر ذلك فيهم حتى سموا ماغنموه (البارد) تلذذاً منهم كتلذذهم بالماء البارد [٣]. في ذلك يقول الاعشى :

كما شيب بماء بارد   من عسل النحل [٤]

وكان للعرب ادابهم في الشرب ، فمن ادابهم قطع النفس عند الشرب فأن الشارب اذا تنفس في القدح فخالط نفسه الماء استقذروها سقط من انفه في الماء ، وكانوا يكرهون الشرب من ثلمة الاناء ، ويكرهون الشرب من فم السقاء ، وكانوا يحثون على تغطية الاناء [٥]، ومن ادابهم ان يقطع عن الشرب ثلاث مرات فانه اروى وامرأ وابرأ ، وكانوا يفضلون الشرب قعواً اعتقاداً منهم ان الشرب قائماً لايحصل فيه الري التام ولايستقر الماء في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء ، وينزل بسرعة وحدة الى المعدة ، ويسرع النفوذ الى اسفل البدن بغير تدوير ، وفي الحديث "اذا شرب احدكم فليمص الماء مصاً ولايعب عباً فانه من الكباد " أي وجع الكبد [٦].

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٩٢/١٤ مادة سقي) .

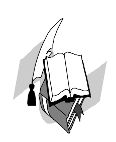
[٢] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٢٠٥/٣ .

[٣] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/ ٢٢٣ .

[٤] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣/ ٢٠٥ .

[٥] الالوسي ، بلوغ ، ٣٨٩/١ .

[٦] البهقي ، احمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) ، سنن البيهقي الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز ، (مكة المكرمة ، ١٩٩٤) . ينظر : طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، ١٨٤/٣ .



وعند الحديث عن الشراب عند العرب قبل الاسلام لابد من التعرض الى الخمر الذي كان منتشراً انتشاراً واسعاً ليس في الحجاز فحسب بل في عموم الجزيرة العربية فمثلاً في مكة يقبل على شربها اهل مكة اقبالاً شديداً وكانت لهم قوافل خاصة تأتي محملة بالخمور من بلاد الشام وغيرها [١]. وتحفظ لنا كتب الادب والتاريخ اخبار الكثيرين ممن اغرموا بشرب الخمرة قبل الاسلام ، ومارسها الكثير من السادة والاشراف وكان اغلب الخمارين من اليهود والنصار ى ، وكان للخمارين بيوت خاصة يستقبلون فيها زبائنهم ويقدمون لهم الشراب وغيره من وسائل اللهو ، ويصف حسان بن ثابت مجالس الشراب وصفاً دقيقاً عند حضوره لقصر جبلة بن الايهم فيقول : " رأيت عشر قيان خمس روميات يغنين بالرومي ، وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها ، وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الاس والياسمين وضرب له المسك في صحاف الفضة واوقد له العود والندى اذا كان شاتياً يقول حسان بن ثابت :

ولسنا بشرب فوقهم ظل برودة   يعدون للحانوت تيساً ومفصدا
وان جئتهم القيت حول بيوتهم   من المسك والجادي فتيتاً مبددا [٢]

يتضح من خلال ماتقدم ان المجالس التي كانت تعقد في قصور الامراء كانت مجالس انيقة ، ويقوم على خدمة الشرب ، ويلاحظ كذلك ان الموسيقى والغناء كانتا ركناً اساسياً من اركان مجالس الشراب ، ومع اننا لانمتلك من المعلومات ما يساعدنا على رسم صورة صحيحة او كاملة عند مجالس الشراب في عصر ماقبل الاسلام ، وكمثال على هذه الطريقة في استقصاء المعلومات يمكن القول ان العادة جرت بأن تدار الكؤوس من اليمين الى اليسار ، وكان من عادة العرب ان تقوم جارية بين الرؤساء والملوك قبل الاسلام بتقديم الايمن في الشرب وعلى ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

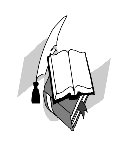
جنب الكأس عنا ام عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا [٣]

---

[١] ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٦ .

[٢] شرح ديوان حسان ، ص٨٠ ،٨١ .

[٣] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص١٥٨ .



بوصف ان من هم اعلى مقاماً يجلسون على يمين المجلس ، وكذلك فان الشاربين يتوقفون عن احتساء كؤوسهم اثناء سماعهم للغناء ولا يتناولون الطعام عند السماع ايضاً ، وكان السقاة يرتدون القلائد حول اعناقهم والاقراط في اذانهم ، كما يتبين من قول الشاعر الاعشى :

يطوف بها ساقٍ علينا متوم　　　خفيف ذفيف مايزال مفدما[١]

وكان الخمر يباع بأماكن خاصة يطلق على اصحابها (الخمارون) [٢] وكان بعض سادة قريش من يمتلك داراً مخصصة لغرض شرب الخمرة وسماع الاغاني يقصدها طلاب الشهوة والمجون ومن هؤلاء مقيس بن عبد قيس السهمي [٣]، وعلى الرغم من هذا الانتشار الواسع للخمر ، ولكن ابن حبيب يعطينا قائمة باسماء من حرم الخمر [٤] ويبدو ان تحريم الخمر كان بسبب اجتماعي استناداً الى اشارة بعض المؤرخين الى تحريم بعض شيوخ مكة من كبار السن الخمر واعابتها [٥]، ويبدو ايضاً ان مجالس الشرب لم تكن مجالس فيها خروج عن الاعراف الاجتماعية على الرغم من اعابة البعض لها .

اما الاواني المستخدمة في الشرب منها (التين) وهو قدح يروي العشرين و(الصحن) وهو العُسَّ القدح العظيم الذي يروي الثلاثة والاربعة ومنها (القدح) وهو الانية تروي الرجلين ، ومنها (القعب) القدح الضخم ، ومنها (الغمر) هو قدح صغير او اصغر الاقداح [٦] ومن الادوات المعروفة قبل الاسلام لحفظ الماء (الحبّ) يختزن فيه الماء للشرب يعمله الكواز والفخار ، والكوز اناء يشرب به ويكون له عروة ، اما اذا لم تكن به عروة فهو كوب [٧]. ومن الاوعية الاخرى (المهراس)

---

[١] شرح ديوان الاعشى ، ص١٨٦ .

[٢] ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٣٧ .

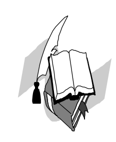
[٣] ابن حبيب،المنمق، ص٥٤ (ممن حرم الخمر والسكر والازلام قبل الاسلام).ابن حبيب، المحبر،ص٢٣٧ .

[٤] ينظر ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٣٧ ؛ المنمق ، ص٥٣١ .

[٥] الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٩٢ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٣٧٨/٨ .

[٦] ابن سيدة ، المخصص ، ٢ / ١٤٩ ؛ الالوسي ، بلوغ ، ٣٩٤/١ .

[٧] ينظر : ابن سيده ، المخصص ، ١٤٩/٢ ؛ الزبيدي ، تاج ، ٧٦/٤ ، كاز) . الكوز : كل مايدار على القوم يدار يميناً ؛ طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، ١٨٤/٣.



حجر منقور ضخم لايقله الرجل يؤخذ منه الماء للشرب والاستعمال وقد استعمل في الاسلام للوضوء منه [١].

ثالثاً : الالبسة والحلي

للالبسة والحلي اهمية كبيرة لانها متصلة بصميم تطور حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ، وهي بمثابة دراسة لمفاهيم الانسان الجمالية ، وذوقه الفني ورقيه ونشاطه التجاري وتاريخه الاجتماعي ، فالالبسة والحلي تخضع في انواعها واشكالها واستخدامها للعادات المتوارثة او التقاليد والاعراف ، وبدورها تؤثر الى حد كبير في نشر عادات جديدة واذواق مبتكرة تتوارثها الاجيال وتضيفها الى تراثها القديم وتاريخها الاجتماعي ، لان لكل مجتمع انواعاً من الملابس والحلي قد تختلف عن المجتمعات الاخرى ، ولابد من الاشارة الى ان المجتمعات مهما تباينت عاداتها فانها تقتبس من بعضها وتضيف ماتقتبسه الى تراثها الاجتماعي ، زد على ذلك فان ازدهارها يتعلق الى حد كبير بالحياة الطبقية للمجتمع ، خلاصة القول ان دراسة الالبسة والحلي دراسة لعادات المجتمع وتقاليده والصلات الانسانية التي بين افراده ، لذا سندرس كلٍ منهما على انفراد على وفق ماتوافر لدينا من روايات واخبار .

الالبسة

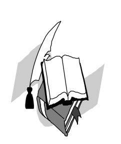
اختلفت ملابس العرب وكسوتهم باختلاف الاشخاص وكذلك باختلاف الجماعات التي ينتسب اليها ، فضلاً عن البيئة التي تعيش فيها ، فللاعراب البسة ،ولاهل المدن اذواق في الالبسة ، فهي تتباين بتباين المنزلة والمكانة ، لبس الاغنياء افخر انواع الملابس المصنوعة من الحرير وغيرها وكان اكثرها يستورد من اشهر مناطق النسيج المعروفة التي تقع خارج مكة [٢]، والمصنوعة من الخزر والديباج والكتان والمطرزة بالذهب والفضة [٣] ، وفي امثال العرب (انه نسيج وحده) وذلك ان الثوب النفيس لاينسج على منواله عدة اثواب ، كانه ثوب نسج على وحده لم ينسج معه غيره ، قال الراجز :

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٤٨/٦ مادة (هرس) .

[٢] جواد علي ، المفصل ، ٤٨/٥ .

[٣] الالوسي ، بلوغ ، ٤٠٤/٣ .



جاءت به معتجزاً ببرده   سفواء تروى بنسيج وحده [١]

ومنهم من يلبس ثوباً سعره خمسين ديناراً [٢] ، وكان اهل مكة يقصدون اليمن فيشترون منها الالبسة لحملها الى الاسواق ومن ثم بيعها وعرف العرب قبل الاسلام اقمشة القطن وكانوا يسمونه (الطوط) وورد في الشعر العربي قبل الاسلام بقول امية بن ابي الصلت :

الطوط نزرعه اغن جراؤه   فيه اللباس لكل حول يعضد [٣]

وللحرائر من النساء زي ، ولكل مملوك زي يتساوى في ذلك لباس الرأس ولباس البدن [٤]، ولكن مايميز البستهم البساطة فهو يتكون من جزئين رئيسين هما الازار ،وكانوا يرخون مقدمة الازار حتى تقع حاشيتاه على ظهر القدم ويرفعونه مما وراءهم،ويكون تحت السرة وقد يكون فوقها [٥]،والازار بصفة عامة قصير ويكره عندهم اسباله،والجزء الثاني من ثيابهم هو الرداء ويعرف ايضاً بالقميص ويغطي اعلى الجسم وهو قصير الطول قصير الكمين وربما يصل الى الرسغين ، ويذكر ان طول رداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم اربع اذرع وعرضه ذراعان [٦]، ويلبس القميص كل الرجال كبارهم وصغارهم على حد سواء ، والبسوا اطفالهم العلقة وهو قميص بلا كمين او ثوب بجاب ولا يخاط جانباه وهو الى الحجزة ، وقيل اول ثوب يلبسه المولود ، ولبسوا البردة وهو كساء مربع اسود فيه صفرة تلبسه الاعراب [٧] ، وتفننوا في كيفية ارتداء الملابس ، فقد لبس اهل الجزيرة عامة الثياب الطوال واستعملوا غطاء الرأس واحياناً يستفاد منه لتغطية جزء من الوجه عند التلثم ، وكتعبير عن غناهم جعلوا من ثيابهم الطويلة مسبولة لتسحب الى الارض غير

---

[١] الميداني ، مجمع الامثال ، ٦٦/١ .

[٢] شوقي ضيف ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص٢١٣ .

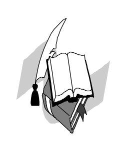
[٣] شرح ديوان امية ، ص٣٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٧ / ٣٤٦ مادة (طوط) .

[٤] الالوسي ، بلوغ ، ٤٠٦/٣ .

[٥] ابن سعد ،الطبقات ، ٤٥٩/١ .

[٦] ابن سعد ، الطبقات ، ٤٥٨/١ ، ٤٦٢ .

[٧] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٣/٤ مادة (كسا) ؛ الجبوري ، يحيى ، الملابس العربية في العصر الجاهلي ، دار الغرب الاسلامي ، ٠ بيروت ، ١٩٨٩) ، ص١٩٣ .



مبالين بقيمتها واسعارها الباهظة ، في حين لبس الفقراء والسواد الاعظم من الناس الأسمال البالية القديمة مهما كان نوعها ليستروا بها اجسامهم ، المهم ان مايميز لباسهم هذا تناسبه لبيئتهم ففي ذلك حماية للجسد والوجه من لفح حرارة الشمس [١].

وقد استعمل اهل مكة انواعاً متعددة من الالبسة المعروفة في بلاد العرب انذاك ، فلبسوا الجبب والبرود ، التي لم يكن يلبسوها على الاغلب الا في المناسبات والاعياد [٢]، ولبس بعض اهل المدينة (يثرب) البرنس وهو كل ثوب راسه منه وملتصق به ، ولبسوا العباية وهي ضرب من الاكسية واسع فيه خطوط سود كبار وتلبس فوق الالبسة وتصنع من الوبر الصوف وتستعمل في الشتاء ، والعباءة لباس الرجال والنساء ايضاً وهي لباس الفقراء ، هجا عبدالله بن رواحة قريشاً واستهان بهم ووصفهم بـ (اثمان العباء) فيقوله :

فخبروني اثمان العباء متى   كنتم بطاريق او دانت لكم مضر [٣]

ولبسو ايضاً السراويل ويبدو انهم استعاضوا بالسروال عن الازار ، ويذكر ان النجاشي ملك الحبشة ، بعث الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكسوة فيها سراويل [٤]، وكان فرسان العرب قبل الاسلام يلبسونها لكثرة مايجوبون الصحارى ويتعرضون للمهالك،وفي قوله تعالى "سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار " [٥] ، وقد اصطلح علماء اللغة على تقسيم الثياب الى مقطعات وغير مقطعات ، والمقطع من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات وغيرها ،

---

(١) جواد علي ، المفصل ،٤٧،٤٩/٥ ؛ ول ديوارنت ، قصة الحضارة ، ٧،٨/٣ .

(٢) الجبب : ضرب من مقطعات الثياب والجبة من اسماء الدرع قال الشاعر :

لنا جبب وارماح طوال   بهن نمارس الحرب الشطونا .

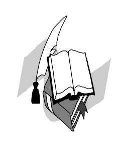
ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٤٩/١ مادة ٠ جبب) ؛ ابن سعد ، الطبقات ،٤٥٠/١ .

اما البرود : مفردها البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشى . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣/ ٨٧ مادة (برد) .

(٣) ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ٢٢٥/١ ؛ يحيى الجبوري ، الملابس العربية ، ص ١٨٨ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٧٦ .

(٥) سورة ابراهيم ١٤، الآية ٥٠ .



وما لايقطع منها كالاردية والازار والمطارف والرياط التي لم تقطع وانما يتعطف بها مرة ويتلفع بها اخرى [١].

ومن لباس العرب قبل الاسلام ماكان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه قال الشاعر :

كفى حزناً كري عليه كأنه   لقى بين ايدى الطائفين حريم [٢]

لقد تفنن العرب في لباسهم واعطت لكل مناسبة ملابس تلائم هذه المناسبة كالافراح والمآتم حيث لبسوا الثياب السود ، فضلاً عن ان للسلم ملابس خاصة وللحرب ايضاً ، فكان الكاهن لايلبس المصبغ ، والعراف لايدع تذييل قميصه وسحب ردائه ، وللشاعر طقوس خاصة يكاد ينفرد بها فاذا اراد ان يهجو احداً دهن احد شقي راسه ، وارخى ازاره ، فكان لكل شريحة من شرائح المجتمع العربي الزي الخاص ، فكان لحرائر النساء زي ، ولكل مملوك زي خاص ، وللاماء زي ولذوات الرايات زي ، ولبس الشعراء الوشي والاردية السود وكل ثوب مشهور [٣].

اما ملابس النساء فلا تختلف من حيث الاطار الخارجي عن الرجل ، فنساء الذوات لبسن الملابس الحريرية الفاخرة المطرزة بالديباج والمطرزة بالذهب والفضة ، اما لباس الفقراء من النساء فلم يكن احسن حالاً من الرجال الفقراء ، فلبست خرقة تجعلها على رأسها تسمى الكوارة ، وعرفت النساء الجلباب فهو لايختلف عن الازار او الرداء الرجالي لكنه اكثر رقة ونعومة من اردية الرجال ، زد على ذلك الالوان المختلفة التي تضفي عليه مسحة نسائية ، ولهذا السبب نجد ان المنافقين في المدينة (يثرب) قد نعتوا المهاجرين من الصحابة عموماً بـ (اهل الجلابيب) وذلك من باب التشهير [٤]، وقد ورد الجلباب في القرآن الكريم" يايها النبي قل لازواجك وبناتك

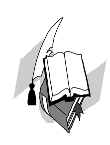
---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٨٣/٨ مادة قطع؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ١٧٢/١ مادة قطع .

[٢] وذلك لان اهل الحرم اول من اتخذ الضرائر وقالوا في الثوب المنسوب اليه حرمي ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/ ١٢٠ . ١٢١ مادة (حرم) .

[٣] من ملابس الفرح تحديداً العرس (الخفاء) : رداء تلبسه العروس وهو كساء وكل شيء غطت به هو خفاء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ١٤ /٢٣٥ مادة (خفا) وفي اللسان " البس لكل حال لبوسها " ينظر : ابن منظور ، ٢٠٣/٦ مادة (لبس) ؛ ٤٧٢/١ مادة (سلب) ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ٩٦/٣ .

[٤] الواقدي ، المغازي ، ص ٢٨٧ .



ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان لله غفوراً رحيما " [١] ، وفسرت هذه الآية القرآنية بان الجلابيب هي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فاذا خرجن لحاجتهن الاعينا واحدة وذلك ادنى الى ان يعرفن بانهن حرائر فلا يؤذن بالتعرف لهن بخلاف الاماء فلا يغطين وجوهن [٢].

ومن ملابس النساء البقير والبقيرة : برد يشق فيلبس بلا كمين ولاجيب "وقال الاصمعي : ان يؤخذ برد فيشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب والاتب قميص لاكمين تلبسه النساء " [٣]، ومن ملابس النساء البراقع فيروى ان فتية من قريش قعد غدية الى امرأة من بني عامر ذات هيبة عليها برقع وهي في درع ، وكذلك نساء العرب يفعلن [٤] ، وانفردت ثقيف بالاقبية المصبغة بالورس والعصفر ويحزمون على اوساطهم ملاءات القطن عليها البرود العجيبة [٥].

اما الكساء المعروف بالدرع فقد كان شائعاً جداً بين نساء العرب على اختلاف طبقاتهن قبل الاسلام ، فكسوه من جمال الحسن جلباباً والدرع من مقطعات الثياب وصف بانه " ثوب تجوب المرأة وسطه وتجعل له يدين " [٦]، اما الالوان المفضله لدى العرب قبل الاسلام او الشائعة فهناك الكثير من الاشارات الى اطراء اللون الابيض والى كثرة استعماله ، وفي بعض الاحاديث " البسوا من ثيابكم البيض فانها خير ثيابكم " [٧]، ولكن هذا لايلغي ان العرب لم يلبسوا الالوان الاخرى ففي الحديث قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاسماء بنت عميس بعد مقتل جعفر بن ابي طالب "تسلبي ثلاثاً ثم اصنعي ماشئت " [٨]، أي البسي ثوب الحداد ، وكان ثوب الحداد على الغالب هو اللون الاسود كما مر سابقاً ، وقد سئل بعض الاعراب عن

---

[١] سورة الاحزاب ٣٣ ، الآية ٥٩ .

[٢] السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص٥٤٨ .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ /٧٤ مادة (بقر) .

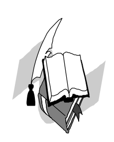
[٤] الفاسي ، شفاء الغرام ، ٩٧/٢ .

[٥] الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٨٠ .

[٦] صالح احمد العلي ، الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد / ٢٧ لسنة ١٩٧٦ ، ٢ / ٦١ .

[٧] الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣/ ٣١٩ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٤١ .

[٨] الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٣ / ١٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١/ ٤٧٣ مادة (سلب) .



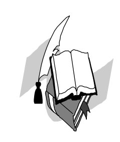
الالوان فقالوا " الاصفر اشكل والاحمر اجمل والاخضر اقبل والاسود اهول والابيض افضل " [1]. ان العرب عموماً لم يستحسنوا لبس الثياب الشنعة الالوان مثل الملحم الاصفر المصبوغ بالزعفران والطيب ، لان ذلك من لبس النساء ، وكان لهم في ذلك قول " احسن الزي ماتشاكل وانطبق وتقارب واتفق " [2].

ويبدو ان العرب قد استخدموا خمسة الوان في ملابسهم ، فقد ذكر القرآن الكريم خمسة الوان هي الاحمر والاصفر والاخضر والاسود والابيض . اما الاحمر فقد ورد في القرآن مرة واحدة في (سورة فاطر / الاية ٢٧) واللون الاصفر ذكر في اربع آيات احداها عن لون بقرة بني اسرائيل (سورة البقرة / الاية ٦٩) ، والثلاث الاخر في وصف النبات (سورة المرسلات / الاية ٣٣ ، سورة الحديد / الاية ٢٠ ، سورة الروم ، الاية ٥١) ، والاسود ورد في ست آيات ، احدها في وصف لون الجبال (سورة فاطر / الاية ٢٧) واخرى في لون الخيط الذي يميز به الفجر (سورة البقرة / الاية ١٨) واثنتان عن وصف وجه من كان يبشر بالانثى (سورة النمل / الاية ٥٨ ، سورة الزخرف / الاية ١٧) ، واثنتان في وصف وجه الكاذبين على الله (سورة الزمر / الاية ٦٠) ، والكافرين بعد الايمان (سورة آل عمران / الاية ١٠٦) ، اما اللون الاخضر فقد ذكر في سبع آيات ، اربع منها في وصف النبات والشجر ، (سورة يس / الاية ٨٠ ، سورة يوسف / الاية ٤٣ ، ٤٦ ، سورة الحج / الاية ٦٣) وثلاث في وصف ثياب الجنة من السندس الاخضر (سورة الانسان / الاية ٢١ ، سورة الكهف / الاية ٣١ ، سورة الرحمن / الاية ٧٦) ، اما اللون الابيض فقد ذكر في احدى عشرة اية ، خمس منهن عن لون يد موسى عليه السلام عندما ناظر السحرة (سورة الاعراف / الاية ١٠٨ ، سورة طه / الاية ٢٢ ، سورة الشعراء / الاية ٣٣ ، سورة القصص / الاية ١٢ ، ٣٢ ، سورة يوسف / الاية ٨٤) واية في وصف وجه من انعم الله عليه بالجنة(سورة آل عمران / الاية ١٠٦ ، سورة الصافات / الاية ٤٦ ، ٤٩) ، ومن هذا يتبين ان لون الملبوسات الوحيد

---

[1] الابشيهي ، المستظرف ، ٢٧/٢ .

[2] الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص٢٤١ .



الذي اشار اليه القرآن الكريم هو الاخضر وانه ليس في القرآن حض على استعمال لون معين او تفضيله على غيره [١].

وكان اكثر اهتمام العرب قبل الاسلام بالعمائم فهي افخر ملابسهم لانها توضع على الرأس و" فالعمائم تيجان العرب " [٢]، وكانت العمائم سوداء في الغالب ، ويذكر ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يلبس عمامة سوداء يرخيها بين كتفيه ، وكان عليه الصلاة والسلام يكره السواد الا في ثلاث : الخف والعمامة والكساء [٣]، ويبدو من خلال النصوص الانفة الذكر ان اللون الاسود لم يكن محبباً لكنه في الوقت نفسه مباح وغير مكروه . فضلاً عن ان العمامة من سمات الخطيب فيهم ، يلبس ملحفة ورداء وقميصاً وعمامة ويحمل عصا بيده ، وقد يستغني عن بعض الملابس الا العصا والعمامة [٤]، ومنهم من انفرد بلون خاص لعمامته مثل ابي احيحة سعيد بن العاص حتى عرف (بذي العمامة) وكان اذا لبس عمامة لم يجرؤ احد من قريش ان يلبس عمامة بلون عمامته اعظاماً له ، قال الشاعر :

وكان ابو احيحة قد علمتم ... بمكة غير مهتضم ذميم

اذا شد العمامة ذات يوم ... وقام الى المجالس والخصوم

لقد حرمت على من كان يمشي ... بمكة غير ذي دنف سقيم [٥]

وكان ثمن العمامة غالياً لذا اقتصر لبسها على الاغنياء والمترفين من اهل مكة [٦]، سئل ابو الاسود الدؤلي عن العمامة وفوائدها فاجملها في قوله " جنة في الحرب ، ومكنة في الحر والقر ، ووقا من الندى ، وواقية من الاحداث ، وزيادة في القامة وهي بعد عادة من عادات العرب " [٧]. واختلف حجم العمامة ولونها باختلاف

---

[١] صالح احمد العلي ، الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الاولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٢٦ ، لسنة ١٩٧٥ ، ص ٧٧، ٧٨ .

[٢] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٨٨/٢ . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ٣/ ٥١٢.

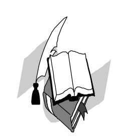
[٣] ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ٤٥٦ . ينظر : العلي ، الملابس العربية ، ٢/ ٦٩ .

[٤] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣ / ٩٢ .

[٥] ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٤٤ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٦٥ ح البلاذري ، انساب ، ١/ ١٤١ ، ١٤٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٢٣١ .

[٦] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ٤٩ .

[٧] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣٠٠/١ ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣/ ١٠ .



عمر الشخص ومكانته الاجتماعية فتكوير العمامة يدل على الغنى والجاه ، واختص السادة والوجهاء باللون الاصفر ، وكانت للعمامة تسميات كثيرة منها العصابة ، والمقطعة والمعجز والمشوذ والكوارة [١]، ومن امثال اهل مكة (اجمل من ذي العمامة) فالعرب تقول فلان معمم يريدون ان كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة او العشيرة فهي معصوبة برأسة فالى مثل هذا المعنى ذهبو في تسميتهم سعيد ين العاص ذا العصابة وذا العمامة ، وكان العرب اذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء ، وكان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمر ، قال الشاعر :

اذا كشف اليوم العماس من استه   فلا يرتدي مثلي ولايتعمم [٢]

ويروى ان العرب " اختصت من بين الامم باربع ، العمائم تيجانها ، والدروع حيطانها ، والسيوف سيجانها ، والشعر ديوانها " [٣] .

ويتضح مما تقدم ان للعمامة منزلة كبيرة عند العرب ، فهي فضلاً عن ماتقدم تمثل او تعبر عن شرف الرجل ومكانته فاذا اهين او لحق الذل بصاحبها القى بعمامته على الارض ، وورد عن الامام علي عليه السلام " جمال الرجل في عمته ، وجمال المرأة في خفها " [٤]. زد على ذلك فان حجم العمامة والوانها تختلف باختلاف الاعمار ، فللشباب عمائم تميزهم من الشيوخ والكهول ، وما كان من العمامة تحت الحنك يسمى (الحنكة) ، اما مارسل منها على الظهر فهي ذؤابة ، واما (القفذة) فاعلى العمامة ، والضخمة منها تسمى العمة العجراء ، وفي العمامة الكور ، وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس [٥] قال الشاعر :

اذا لبسوا عمائمهم لووها   على كرم وان سفروا اناروا

يبيع ويشتري لهم سواهم   ولكن بالطعان هم تجار [٦]

---

[١] الالوسي ، بلوغ ، ٣ / ٤٠٨ ؛ جواد علي، المفصل ، ص٤٩،٥٠ .

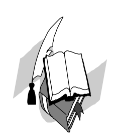
[٢] ابن منظور، لسان العرب،٤٢٤/١٢ ، ٤٢٥ مادة (عمم)؛ الزبيدي ، تاج العروس، ٤١٠/٨ مادة (عمم) .

[٣] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٢٥ .

[٤] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٢ / ٨٨ .

[٥] الالوسي ، بلوغ الارب ، ٣/ ٤١٢ .

[٦] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص١٢٥ ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣ / ١٠٤ .



اما بالنسبة للنعال فان العرب قبل الاسلام كانوا يلبسونه ويفضلونه على الخف ، واشـهرها النعـال الحضـرمية المصـنوعة مـن جلـود البقـر المدبوغـة يقـول النابغـة الذبياني :

رقاق النعال طيب حجزاتهم   يحيون بالريحان يوم السباسب [١]

ويذكر ان اول من حذا النعال هو جذيمة الابرش بن مالك ، والخف في منزلة النعل عند العرب وشاع استعمالها بين اهل المدر في الحجاز والاماكن الاخرى ، وورد ان العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف [٢]. وقد استعملت قريش النعال ولبسته ، وقدروا الكعبة وحافظوا على نظافة ارضها فخلعوا نعالهم عند دخولها ، واول من فعل ذلك منهم الوليد بن المغيرة [٣]، واذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل ان يمدحها ، قال الاحنف بن قيس " استجيدوا النعال فانها خلال الرجال " [٤] ، وقد ضرب العرب المثل بموضع تجميع الانعلة في الذلة او الهوان ، فقيل هو في صف النعال لا في صف الرجال [٥] ، وهذه اشارة الى الرجل من الطبقة الفقيرة كان في وضع لايحسد عليه من البؤس حتى يوصف هذا الوصف .

ولانغالي اذ قلنا ان العرب لبسوا الملابس الغالية وهذا يعود الى وضعهم الاقتصادي وضعف مستوى الصناعة في الالبسة والمنسوجات ، فاثر ذلك في عدم ظهور طبقة اجتماعية تدل على نفسها بازياء خاصة ، فقد ورد ان وائل بن حجر الحضرمي وفد على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليعلن اسلامه فهيأ عليه الصلاة والسلام له دار ، فارسل معه احدهم فانطلق معه وقد احرقت رجليه الرمضاء ، فقال لوائل اردفني فقال له : لست من اردف الملوك ، فقال له اعطني نعلك اتوقى بهما من الحر فقال له : ليس لمثلك لبس نعلي ، فاخبر الرسول صلى الله عليه وآله

---

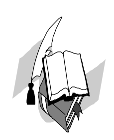
[١] شرح ديوان النابغة الذبياني ، ص ٥٣ .

[٢] ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤١ ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ١٠٦/٣ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥٦/٥ .

[٣] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص١٠٧ .

[٤] الالوسي ، بلوغ ، ٣/ ٤١٥ .

[٥] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٠٧ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٥٦ .



وسلم بذلك فقال له "ان فيه لعيبة من عيبة الجاهلية(قبل الاسلام)" [١]، وكان اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون هو من زينة آل فرعون [٢] ، ولبس العرب الجورب وكانوا يسمونه لفافة الرجل ، والجورب سريع الانتان ، وضرب العرب قبل الاسلام المثل بنتنه " انتن من ريح الجورب " قال الشاعر :

اثني علّي بما علمت فانني   مثن عليك بمثل ريح الجورب [٣]

الزينة [٤] والحلي :

تعني تحسين الشيء بغيره من لبسة او حلية او تحسين الهيئة بوسائل اخرى [٥] ، والحلي يراد بها ما يزين به مصوغ المعدنيات والحجارة ، ومن هذه الحلي مايعلق على الصدر ومنها ما يوضع في الايدي او في الاصابع ، ومنه مايوضع حول الساق ، او مايعلق في مواضع اخرى مثل الجسد والاذنين او الانف وعلى الجبين [٦].

ولقد شاع استعمال الحلي في العصور السابقة وكان لها عظيم الشان عند الامم التي اتصل بها العرب ، وليس لدى سكان الجزيرة العربية قبل الاسلام الامكانيات الكافية للتزين والعناية بالمظهر، ونستثني من ذلك نساء الحواضر العربية اللواتي كن وبسبب الحركة التجارية على شيء من الاتصال بالحضارات المجاورة ، فكان نتيجة لذلك الاتصال ان اقتبست المرأة العربية شيئاً من امور الزينة التي كانت شائعة في تلك البلدان ، واهتمت المرأة بتجميل نفسها وتزينها عامة فعمدت الى الاثمد لتجميل عينها وتكحيلها ، فضلاً عن ذلك استعملت المرأة التنميص لازالة

---

[١] ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ٣٥٠ . ٣٥١ ؛ ابن شبه ، تاريخ المدينة ، ٢/ ٥٧٩ .

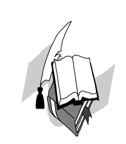
[٢] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣ / ١٠٦ ؛ الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص ١٠٣ .

[٣] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣ / ٤٠٩ .

[٤] الزينة ماتزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والخضاب وماخفي منه كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٦/ ١١٣ (دار الحديث) .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣/ ٢٠٢ مادة (زين) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٢٩/٩ مادة (زين) .

[٦] جواد علي ، المفصل ، ٧/ ٥٦٢ .



مابين الحاجبين من شعر والتزجيج لازالة زوائد الحاجبين ثم تحديدها بالاثمد ايضاً ، وعرفت المرأة تلمية الشفايف بالخضاب وتولت النساء عمليات التجميل هذه بعضهن لبعض ، وكان منهن محترفات يقمن بتجميل السيدات والعرائس ليلة زفافهن (١)، ومن عادة النساء ان يخضبن اظافر اليدين بالحناء بخلاف اليدين والرجلين فان خضابهن يكون بلون اسمر مصفر وان يكتحلن بالاثمد (٢). لقد كلفت المرأة بالحلي في كل بيئة وفي كل عصر ، تضيف الى جمالها جمالاً وتزهو به وتفاخر وتكاثر وتسلب قلوب الرجال ، وان غنيت بجمالها ومكانتها ، لقد تنوعت حلي المرأة العربية وتعددت اصنافه فلبست السوار وكان في المعصم يقول النابغة الذبياني :

وايدت سواراً عن وشوم كانها　　　بقية الواح عليهن مذهب (٣)

والاسورة من ادوات الزينة وقد استعملها العرب قبل الاسلام وتضعها المرأة في يديها (٤) ومن حلي الذراع الدماليج، وسميت بالمعاضد وذلك لتزينها العضد (٥) ، وقد وردت الاشارات اليها عند الشعراء قبل الاسلام، فهذا طرفة بن العبد يقول :

كان البُرين والدماليج علقت　　　على عشر او ضروع لم يخضد (٦)

وقول عنترة بن شداد :

وتحتي منها ساعد فيه دملج　　　مضيء وفوقي اخر فيه دملج (٧)

وكان في الاصابع الخواتم ، وانشد ابن بري قائلاً :

ياهند ذات الجورب المنشق　　　اخذت ختيامي بغير حق (٨)

---

(١) ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٢) الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص ١٧٦ .

(٣) شرح ديوان النابغة ، ص٤٣ .

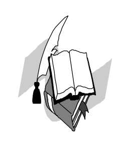
(٤) جواد علي ، المفصل ، ٧ / ٥٦٢ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢ / ٢٩٢ مادة (دملج) .

(٦) شرح ديوان طرفة ، ص٣٣ .

(٧) شرح ديوان عنترة ، ص١١١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٧٦/٢ مادة (دملج)

(٨) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٦٣/١٢ مادة (ختم) .



ومن الحلي المشهورة عند العرب قبل الاسلام القلادة وعرفت بالمخانق ، تصنع من الذهب او الفضة في الغالب ، وقد تكون من ربط حجارة او عظام او خرز بعضها الى بعض ، وكان العرب يضعون قلادة في عنق البدن ، قال الشاعر:

كانت لنا من عطفان جارة　　　كان من دبل وشاره

والحلي حلي البتر والحجارة　　　مدفع ميثاء الى قراره [١]

واولى الاشارات الى المخانق اشارة الى مخنقة كانت تتحلى بها ابنة قيس ابن عاصم ، الذي اشتهر في عصر ماقبل الاسلام بؤاد بناته [٢] ، يقول اعشى همدان

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيدم　　　اسيل تزينه الاطواق [٣]

وقد ذكر العقد المنظوم من لؤلؤ وزبرجد كثير من الشعراء منهم قيس بن الخطيم بقوله :

وجيد كجيد الرئم صاف يزينة　　　توقد ياقوت وفصل زبرجد

كان الثريا فوق ثغرة نحرها　　　توقد في الظلماء أي توقدِ [٤]

وقول طرفه :

وفي الحي احوى ينفض المرد　　شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد [٥]

ووضع العرب الخاتم في يد الرجل بفص او بغير فص ، وقيل هي الخاتم اياً كان ، وقيل هي حلقة توضع في الاصبع كالخاتم ، وكانت النساء قبل الاسلام يتخذنها في عشرهن ، وقيل حلقة من فضة لا فص فيها ، فاذا كان فيها فص فهي الخاتم ، ويذكر ان نساء العرب تتزين بالخواتم ربما تختمن في اصابعهن العشر وتلبسن في سواعدهن الاساور ، وقد جاء في الامثال العربية " لو ذات سوار لطمتني " أي لو ظلمني من كان كفأ ، فجعل السوار علامة الحرية ، لان العرب قلما تلبس الاماء السوار كما قال الشاعر :

فلو اني بليت بهاشمي　　　خئولته بنو عبدالمدان

---

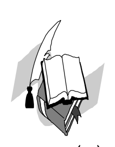
[١] الجاحظ ، الحيوان ، ٣ / ٦٢٢ . جواد علي ، المفصل ، ٧/ ٥٦٢ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٢ / ١٤٣ .

[٣] شعرانية النصرانية ، ص ٣٧٤ .

[٤] شرح ديوان قيس بن الخطيم ، ص١٢٥ ؛ ابن قتيبة ، طبقات الشعراء ، ص ٩٠ .

[٥] شرح ديوان طرفة ، ص٢٠ .



لهان علي ماالقى ولكن   تعالوا فانظروا بمن ابتلاني [١]

ومن الانواع الشائعة من الزينة الخلخال ، ووصفه عبيد بن الابرص بقوله :

دار حيّ اصابهم سالف الدهر   فاضحت ديارهم كالخلال [٢]

ومن الحلي الاخرى التي استعملتها المرأة الفتح والخرص والسخاب والحلق ، والسلسلة والاطواق والجلاجل و(الحيلة) ضرب من الحلي على شكل ثمرة [٣]، ومن ادوات الزينة لدى العرب الحقب : او البريم يكون فيه الوان من الخيوط تشده المرأة على وسطها [٤]. ان هذه الحلي عامة من ضروب الزينة التي عرفت المرأة استعمالها وقد اصبحت من مهمات الزينة لاسيما في المناسبات والافراح ، ويبدو ان بعض النساء لجأت الى عمل الحلي بايديها ، يقول النابغة :

اخذ العذاري عقدها فنظمنه   من لؤلؤ متتابع متسردا [٥]

وورد ذكر لبعض صناع الحلي الذين عرفوا بالصياغة منذ عصر ماقبل الاسلام ، يقول النابغة :

قبح الله ثم ثنى بلعنٍ   وارث الصائغ الجبان الجهولا [٦]

وكان يقال للمرأة التي تتزين بالحلي (امرأة خال) اما اذا لم يكن عليها حلي فهي (عاطل او عطل) وقيل ان لفظة عاطل كانت تطلق على المرأة التي لا حلي في عنقها فقط ، وان كان في يديها ورجليها [٧] ، وفي امثال العرب (ماعليها

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٤٠ مادة (فتخ) ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/ ٨١ .

[٢] شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص١١٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/ ٢٢٠ مادة (خلل) .

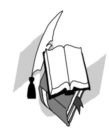
[٣] جواد علي ، المفصل ، ٧ / ٥٦٤ .

[٤] ابن منظور ، لسان العرب ، ١ / ٣٢٥ مادة (حقب).

[٥] شرح ديوان النابغة ، ص١٤٩ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ٨/ ١٧١ .

[٦] شرح ديوان النابغة ، ص١٣٤ .

[٧] ابن سيدة ، المخصص ، ٤/ ٤٢ .



خضاض) أي الشيء اليسير من الحلي [١] وسمي صوت الحلي الوسواس يقول حاتم الطائي :

اذا انقلبت فوق الحشية مرة ترنم وسواس الحلي ترنماً [٢]

ويتبادر سؤال هنا نراه ضرورياً ، هل لبست العرب هذه الحلي والزينة لغرض الزينة والظهور بمظهر الجمال ؟ ام لغرض اخر كأن يكون ديني مثلاً ؟ وللجواب عن هذا السؤال من المتعارف ان الزينة والتبرج لغرض الجمال ، الا ان الروايات قد تجعل من الغرض الديني السبب في هذه الزينة ، فيذكر القلقشندي ان العرب كانوا اذا " لسع منهم انسان علقوا عليه الحلُي من الاساور وغيرها ويتركونه سبعة ايام ويمنع من القوم فيفيق " [٣]قال النابغة :

يسهد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع [٤]

مما تقدم نخلص الى انه قد يكون للسببين معاً اثراً مهماً في استخدام هذه الحلي . ومن ادوات الزينة عند العرب قبل الاسلام الخاتم وهو من حلي الاصبع ويحلى بالحجارة الكريمة في الغالب مثل الياقوت والماس والشذر ، ويستعمل الخاتم للختم ، فقد كان يستخدم للطبع بدلاً من االتوقيع ، وذلك بحفر رمز او كلمة او اسم صاحب الخاتم على الخاتم ، ولذلك عد الخاتم عند الشعوب القديمة رمزاً للتفويض والتصديق والملك [٥]، وهناك ضرب من ضروب التزين المهمة عند المرأة تحصل عليه من طريق غرز الابرة في البدن وذر رماده ليثلج عليه [٦] ، وللوشم استخدام كبير في عصر ما قبل الاسلام ونجده كثيراً في شعر قبل الاسلام ، فهذا طرفة يقول :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

---

[١] الميداني ، مجمع الامثال ، ٢٧٨/٢ .

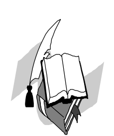
[٢] شرح ديوان حاتم ، ص ٨٠ .

[٣] صبح الاعشى ، ١/ ٤٠٦ .

[٤] شرح ديوان النابغة ، ص٨٠ .

[٥] جواد علي ، المفصل ، ٧/ ٥٦٤ .

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/ ٦٣٨ مادة (وشم) ؛ الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ٤ / ١٨٨ .



وقوفاً بها صحبي على مطيهم   يقولون لاتهلك اسى وتجلد [١]

وقول زهير بن ابي سلمى

يلحن كانهن يدا فتاةٍ   ترجع في معاصمها الوشوم [٢]

وللثة نصيب من الوشم في عصر ماقبل الاسلام قال النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة ايكة   برداً اسف لثاته بالاثمد [٣]

وعرفت المرأة قبل الاسلام اصباغاً في تلوين البشرة ، ماذكر فيها خليط يتضمخن به ليكسب وجوهن حمرة واشراج ، وقيل ان هذا الخليط لم تكن تستعمله الا ذوات العز والثراء ، وقد سمت العرب اولئك النساء بالعواتك [٤] ، وكانوا يعجبون بوسوسة الحلي ويستمد النابغة ان الحلي يستمد لآلآه من بريق ترائبها بقوله :

ترائب يستضيء الحلي فيها   كجمر النار بذر بالظلام [٥]

ويروى ابن سعد وكان لاثرياء مكة ويثرب والقرى يلبسون الملابس الفاخرة المصنوعة من الحرير والخز ، ويلبسون النعال الجيدة ، ويتعطرون بعطور غالية الثمن ، ويركبون الدواب المطهرة مبالغة في التباهي [٦]، وفضلاً عن استخدام العطور لاغراض الزينة ، فقد استخدمت في اغراض اخرى كاستخدامها في الطقوس الدينية عند الالهة ، او التطيب للحرب يقول زهير بن ابي سلمى :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم [٧]

ان ام منشم امرأة كانت تبيع الحنوط وتبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا حرباً غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بان يستميتوا في الحرب [٨] ، وكان لهم اهتمام واسع بالطيب والعطور وقد استعملوا الانواع الفاخرة ، وكان من بين اهل مكة

---

[١] شرح ديوان طرفة ، ص١٩ .

[٢] شرح ديوان زهير ، ص٩٦ .

[٣] شرح ديوان النابغة ، ص١٤٧ .

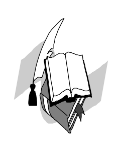
[٤] عبدالله عفيفي ، المرأة العربية ، ١/ ١٤٩ .

[٥] شرح ديوان النابغة ، ص٩٤ .

[٦] ابن سعد ، الطبقات ، ٣/ ١١٦ .

[٧] شرح ديوان زهير ، ص٧٩ .

[٨] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٢٤٦ . ٢٤٧ .



من اشتغل بتجارة العطور مثل ابو طالب بن عبدالمطلب [١] ، والحنظلية ام ابي جهل بن هشام [٢] وكانوا يكثرون من وضع المسك على رؤسهم وكان اكثر الاغنياء يكثرون من التطيب بالعطور ذات الاثمان الغالية [٣].

وفي الشعر العربي الكثير مما يشير الى ذلك ، ففي معلقة امرئ القيس يصف ام الحويرث وام الرباب قائلاً :

اذا قامتا تضوع المسك منهما   نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل [٤]

والى ذلك يشير المرار بن منقذ قائلاً :

عبق العنبر والمسك بها   فهي صفراء كعرجون العمر

وهي لو يعصر من اردانها   عبق المسك لكادت تنعصر [٥]

ومن عاداتهم التكحل ، والتكحل عادة منتشرة عند جميع العرب قبل الاسلام رجالاً ونساءًوفي كل جزيرة العرب ، وكانوا يتطيبون بالطيب والعطر [٦]، وبهذا الخصوص كان من عاداتهم اذا زاروا ملكاً او سيد قبيلة او عظيماً لبسوا احسن ماعندهم من لباس وتزينوا باجمل زينة يعرفونها ومنها التكحل ولبس جبب الحبرة المكففة بالحرير [٧].

عموماً فان هذه الزينة والملابس والحلي التي كانت تزين المرأة وتحليها، دليل على اعتزاز المرأة في نفسها واعتزازها على ذويها ، ودليل على ان قلب جزيرة العرب كان وثيق الصلة باطرافها وبالممالك المجاورة وكان ارتداء الكسا الفاخرة والتزين بالحلي الغالية النادرة من حظ النساء الثريات المترفات ، ان هذا يشعر بعلو مكانتهن وعظم تقديرهن [٨]، وقد اهتمت المرأة العربية عموماً بالحلي والمصوغات الذهبية

---

[١] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٣ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ٦٥/١ .

[٣] ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١١٦ ؛ الالوسي ، بلوغ ، ٣/ ٤١٥ .

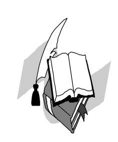
[٤] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٢٥ .

[٥] الضبي ، المفضليات ، ص٩٢ .

[٦] النويري ، نهاية الارب ، ١٧ / ٧٥ .

[٧] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ٢٩ .

[٨] الحوفي ، المرأة في الشعر ، ص ٣٩٧



اكثر من اهتمامها في الملابس ، وكانت الزينة تعني الافراح الدائمة ، لذلك هي لاتخلع الا في الاحزان والنكبات ، وفي هذه الحالة مثلاً تلبس لبساً خاصاً بالحزن ، زد على ذلك فلم تكن مثلاً ملابس النساء تلبسها جميع النساء بل كان يؤخذ بالحسبان الاعمار ، فقد لبست المرأة مايسمى (بالمدرغ) وكان يخص النساء الكبيرات في السن ، اما الفتيات فلبسن (المجول) وهما قميصان لااكمام لهما ، وتلبس النطاق ايضاً حيث يشد في وسطها وترخي اعلاه على نصفه الاسفل ، اما المريلة او المبدع وهو كالنطاق تلبسه المرأة فوق ملابسها للحفاظ على ملابسها الثمينة [١].

رابعاً : الغناء والموسيقى

اصل الغناء من التغني لذلك قالوا تغنى بالشعر وفلان تغنى بفلانة اذا قال فيها شعراً ، وفي حديث عائشة رضى الله عنها عندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث أي تنشد الاشعار التي قيلت يوم بعاث ، وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء [٢].

ومن يعني بدراسة الحياة العربية قبل الاسلام يلاحظ كثرة النصوص التي تدل على انتشار الغناء وذيوعه في كل مكان من الجزيرة العربية ، ويكاد لايقرا ديوان شعر قبل الاسلام لشاعر مهم الا ويجد فيه ذكر الشراب والغناء [٣] ، ولعل ما يدل على ذلك تعبيرهم نجدهم يعبرون عن انشاد الشعر بالغناء ، ففي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدي انه قال له " اسمعني بعض ما عفا لك عنه من غنائك ، يريد من شعرك " [٤].

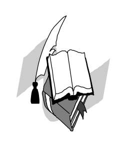
---

[١] الساموك، سعدون، الازياء العربية، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي،العدد /٢٥ لسنة ١٩٨٤، ص١٤٢ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥ / ٣٦ . ٣٧ مادة (غنا) .

[٣] ينظر على سبيل المثال معلقة الاعشى ومعلقة طرفة بن العبد ، ويظهر ان الشعراء انفسهم كانوا يغنون اشعارهم فهذا المهلهل تغنى ببعض شعره وكذلك السليك بن السلكة . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٥/ ٥١ ، ٢٠/ ٣٨٧. ٣٨٨ .

[٤] شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص١٧٨ .



فالشعر والغناء كانا مرتبطين في عصر ماقبل الاسلام ، وكانا يتخللان حياة العرب في سلمهم وحربهم ، ومما يشهد على ذلك من بعض الوجوه " ان القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس ويتباشر الولدان ، لانه حمية لاعراضهم ، وذب عن احسابهم وتخليد لماثرهم واشادة بذكرهم" (١).وكان الحداء لدى العرب مثل الغناء ، فكان الحداء اول السماع والترجيع في العرب ثم اشتق الغناء من الحداء وتحن نساء العرب على موتاها ، ولم تكن امة من الامم بعد فارس والروم اولع بالملاهي* من العرب (٢).

ان هذا الحب للغناء كان عاماً في بلاد العرب ، ولم تكن مكة شاذة على هذا الذوق ، بل كانت مبرزة في هذا الجانب بحكم مافيها من ثراء ومال ، ووجود سوق عكاظ بجوارها حيث كانت ملتقى لذلك ، فضلاً عن ذلك كان العرب يرقصون اطفالهم بالغناء اعتقاداً منهم بان الغناء يريح النفس ويشعرها بالراحة ، وبهذا الخصوص يذكر المسعودي (٣) "والطفل يرتاح الى الغناء ، ويستبدل ببكائه ضحكاً " ، وكانوا يبكون موتاهم بالنواح (٤) ، وتغنت العربيات في مجالس لهوهن وانسهن وفي اعراسهن ، وقد اشتهرن قيان يثرب بجمال اصواتهن وحسن غنائهن (٥) ، وكانت العرب ترى في الغناء ضرورة لابد منها في جلساتهم وافراحهم واحزانهم اعتقاداً منهم بان الغناء يرق الذهن و يلين العريكة ، ويبهج النفوس ويسرها ويشجع القلب (٦) ، وقد ورد في اشعار العرب قبل الاسلام اشارة الى انواع الالات التي كانت مستخدمة في مجالسهم ، فقد ورد ذكر لثلاث الات ، الاوتار ، والات النفخ ،

---

(١) ابن رشيق ، العمدة ، ١/ ٦٥ .

* اللهو : ماشغلك من هوى وطرب ونحوهما .الملاهي:الات اللهو.ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ٤ / ١٥ .

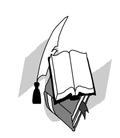
(٢) المسعودي ، مروج ، ٤/ ١٣٣ . ينظر : العلاف ، عبدالكريم ، الطرب عند العرب ، مطبعة اسعد ، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص٣ .

(٣) مروج ، ١٣٤/٤ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٦/ ٥ .

(٤) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ١٥ / ٩١ . ٩٢ . " خبر نياح الخنساء على اخيها وابيها " .

(٥) عبد الكريم العلاف ، الطرب عند العرب ، ص٨ .

(٦) المسعودي ، مروج ، ٤/ ١٤٣ .



والات الضرب ، وكان من اوفرها حظاً من الذكر الاوتار ، واشهرها العود ، واطلقوا عليه اسماء مختلفة فمن اسمائه المزهر وفخرت الحجاز بانها منبت الموسيقى [١]، وورد في شعر امرؤ القيس الذي قال :

لها مزهر يعلو الخميس بصوته   اجش اذا ماحركته اليدان [٢]

ومن اسمائها الكران، ورد ذكرها في معلقة امرؤ القيس قائلاً :

وان امسى مكروباً فيارب قينةٍ   منعمة اعملتها بكران [٣]

وسميت الموتر ، يقول لبيد بين ربيعة :

وصبوح صافية وجذب كرينة   بموترٍ تاتاله ابهامها [٤]

واما الات الضرب فقد ورد ذكر الطبل والدفوف والصنوج والمزاهر والطنابير والكرينة ، وهذا مزود بن ضرار يقول :

اجش صريحي كان صهيله   مزاهير شرب جاوبتها جلاجل [٥].

وكانت بيوت مكة تزدحم بالقيان ، وكانوا مشهورين بالنصب وهو لون من الغناء الديني ، وكان شائعاً في حفلاتهم حول الاوثان [٦]، وعرفت مكة ايضاً نوعاً اخر من الغناء يعرف بالغناء الخفيف وهو ما كان يطلق عليه الهزج ويستعمل عادة في الافراح وحفلات الزواج [٧].لقد كانت مكة مركز الوثنية قبل الاسلام ، ولابد انهم كانوا يرتلون وينشدون بعض الاناشيد في اثناء حجهم وافاضتهم ، ومما يروى انهم كانوا يرتلون " اشرق ثبير كيما نغير " [٨] . وفي الحروب كانت النساء ينشدن اناشيد حربية لتحميس الجيش ، فكانت هند بنت عتبة وجماعة من نساء قريش كن يضربن

---

[١] فارمر هنري ، تاريخ الموسيقى العربية ، عربه وعلق عليه : جرجيس فتح الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ،(بيروت ، ١٩٧٢) ، ص٤٠ .

[٢] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٨٧ .

[٣] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٨٧ .

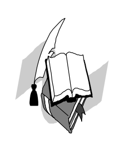
[٤] شرح ديوان لبيد ، ص١٧٥ .

[٥] الضبي ، المفضليات ، ص ٩٥ ؛ عبدالكريم العلاف ، الطرب عند العرب ، ص٨ .

[٦] السباعي ، تاريخ مكة ، ص٤٤ .

[٧] النويري ، نهاية الارب ، ٤/١٤٥ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥/ ١٢٢ .

[٨] ثبير جبل بمكة وهي اربعة اثبرة في الحجاز . ينظر : البكري ، معجم ماastعجم ، ٢/ ٣٦٦ ؛ شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص١٧٨ .



على الدفوف في غزوة احد ، وكانت هند تنشد الشعر وكن يردن عليها ، وكان من الفنون الخاصة بالنساء قبل الاسلام واشتهرت فيها هند بنت عتبة النواح وندب الموتى [١]. ويرى فارمر ان حرية النساء على مايبدو تكاد تساوي حرية الرجل ، فكانت نساء القبائل تساهم في موسيقى اعياد العشيرة باغانينهن وتلك عادة بقيت حتى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي احيا زواجه بخديجة باعظم الفرح والطرق والولائم [٢].

ان الغناء في مكة في هذه الحقبة لم ترسم له قواعد ، وانما كان المغنون والمغنيات والقيان كل يغني بحسب ذوقه وميوله وعواطفه اذ كان العرب لايزالون اقرب الى الفطرة في كل فنونهم [٣]، اما في يثرب التي كانت احدى مواطن الغناء ومعدنه المهمة في هذه الحقبة،اذا ما اعتمدنا في حديثنا على ماذكره ابن عبد ربه [٤]قائلاً " انما كان اصل الغناء ومعدنه في امهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهي يثرب والطائف وخيبر ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة"، ومن هنا فليس غريب ان نسمع ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم حين قدم المدينة يثرب مهاجراً استقبله اهلها من الانصار استقبالاً حافلاً وقد الف نساؤهم مايشبه الجوقات اذ كن يغنين جماعات بالدف والالحان، وفي خبر عمر بن الاطناية الخزرجي انه دعا بشرابه وقيانه فتغنين له بقوله :

عللاني وعللا صاحبيا   واسقياني من المروق ريا
ان قينا القيان يعزفن بالدف   لفتياننا وعيشا رخيا [٥]

ويعبر عن الاستماع الى الغناء والانصات لصوت المغني السماع ، اذ يحدث السماع طرباً في النفس ، ويذكر ابن قتيبة " انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة

---

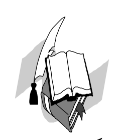
[١] ينظر مثلاً : الواقدي ، مغازي ، ص١٧٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٢/ ٥١٢ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ٢١٠/١ ؛ فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص٤٨ .

[٢] فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص٤٨ .

[٣] شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص١٧٩ .

[٤] العقد الفريد ، ٦/ ٢٢ .

[٥] الاصفهاني ، الاغاني ، ١١/ ١٢١ .



السرور او لشدة الجزع " [١] ، وقد صار لكلمة (السماع) معنى خاصاً في الاسلام ، اذ حولت الى سماع الترانيم الدينية في الغالب ، لذلك لم ينظر اليها نظرة الناس الى الغناء [٢] .

وبعدما عرفنا ان الغناء كان شائعاً في يثرب ، يرى الدكتور شوقي ضيف ان اغلب الظن كانت هناك دور خاصة به فقد كان القوم يشغفون بالغناء وكان يوجد في حياتهم العامة ، كما كان يوجد في حياتهم الخاصة [٣]، بعد ذلك اردنا ان نلقى الضوء في مجالس الغناء من مجالس خاصة او عامة التي كان العرب قبل الاسلام يعقدونها في بيوتهم او في الحانات ، واول مايبدو في هذه المجالس اجتماع الغناء والشراب وكانما كانت الخمر امراً لابد منه لاطراح الهموم ومشاغل النفوس ، وقلما نجد ذكراً لمجلس غناء الا وجدنا معه ذكراً للندامى ، ووصف زهير بن ابي سلمى هذه المجالس بقوله :

يجرون البرود وقد عشت حميا الكاس فيهم والغناء [٤]

وهذا ضرار بن الازور حينما وفد على النبي صلى الله عليه واله وسلم فبايعه واسلم وكان حريصاً على ان يجمع في شعره بين الغناء والشراب ويعلن توبته عنهما قائلاً :

خلعت القداح وعزف القيان والخمر تصلية وابتهالاً [٥]

ومن اوضح مظاهر الترف والحضارة هذه العناية التي كانت تشيع في اعداد تلك المجالس اعداداً يقوم على تخير الورود والرياحين ونثر العطور والمسك ، مما يضفي غلالة من السحر والروعة [٦].

---

[١] ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، ادب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، (مصر ، ١٣٥٥) ، ص٢٣ .

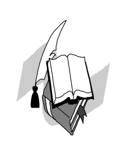
[٢] النويري ، نهاية الارب ، ٤/ ١٦١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥/ ١٠٧ .

[٣] الشعر والغناء ، ص٤١ .

[٤] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص١١ .

[٥] ابن حبيب ، المحبر ، ص ٨٧ . ٨٨ .

[٦] ناصر الدين اسد ، القيان والغناء ، ص ١١٣ .



وقد وصف حساناً مجلساً من مجالس جبلة بن الايهم قبل الاسلام قائلاً " وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الاس والياسمين واصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، واتي بالمسك في صحاف الفضة واوقد له العود المندى اذا كان شاتياً " [١] .

خلاصة القول ان المجالس التي كانت تعقد في قصور الامراء كانت مجالس انيقة يرتدى فيها الثياب الخاصة وتستعمل فيها الانية الفخمة ويقوم على خدمة الشرب فيها مختصون حذقوا اداب السلوك ، ويلاحظ المرء ان الموسيقى كانت ركناً اساسياً من اركان مجلس الشراب ، واذا كانت مجالس الامراء والسادة تعقد في قصورهم ، فان العامة كانت تشرب في حوانيت يديرها اشخاص يطلق عليهم اسم الخمارين او النباذين ، وبما ان الاسلام يحرم على المسلم شرب الخمر وبيعه والاتجار به ، فقد كان كل خماري هذه الحقبة التي نتناولها من النصارى واليهود والمجوس ، زيادة على ذلك ان الكثير من المسلمين قد شربوا الخمر وجلسوا في مجلسها فان احداً منهم لم يتجر بها او يكتسب من بيعها وخدمة شاربيها [٢] ، ووصف طرفة بن العبد هذه المجالس قائلاً :

فان تبغني في حلقة القوم تلقني   وان تقتنصني في الحوانيت تصطد
ومازال تشرابي الخمور ولذتي   وبيعي وانفاقي طريقي وتلدي
ندامای بيض كالنجوم وقينة   تروح علينا بين بردٍ ومجد [٣]

لقد حفلت مكة قبل الاسلام بفن اللهو وان موجة حادة من الغناء اكتسحت مجالسها العامة ومتنزهاتها وبيوت الاغنياء ، وليس ادل على ذلك كما ذكرنا كلمة حسان بن ثابت وفيها يقول ان جبلة بن الايهم كان يستدعي لمجلس انسه من يغنيه من مكة [٤]، لقد تغنى العرب في كل المناسبات البهيجة وضربوا على الات الطرب ، ومن هذه المناسبات الزواج او العودة من الاسفار ، وكانوا ينذرون انه من يحقق

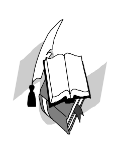
---

[١] ناصر الدين اسد ، القيان والغناء ، ص ١١٣ .

[٢] نبيه عاقل ، مجالس الشراب في الجاهلية والاسلام ، مجلة العربي ، العدد / ٥٨ ، ١٩٦٣ ، الكويت ،١٩٦٣، ص١١٢ .

[٣] شرح ديوان طرفة ، ص٣٠ . ٣١ .

[٤] ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٤/ ١٣٧ ؛ احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٤٥ .



مطلباً لهم فانهم يقيمون مجلس طرب يتغنى فيه ، كمناسبة شفاء من مرض او عودة من حرب ، كما استعملوها في الحرب لتنشيط المقاتلين وتحريظهم على القتال ، كذلك استعمل في الختان وفي العقيقة والولائم [(١)]، لقد شكل هذا الفن حضوراً ضرورياً على المستوى الاجتماعي والديني فضلاً عن ذلك لم يقتصر الغناء على العبيد والقيان ، بل ان عدداً من رجال مكة كانوا يجيدون الغناء كالنضر بن الحارث وابي لهب ، ومنهم من يغني ويضرب على العود ، وعرفوا بقية انواع الالات الموسيقية كالمزمار والدف والمزهر وغيرها [(٢)]، ويذكر " ان اول من غنى الغناء العربي بمكة ابن مسجح مولى بني مخزوم ذلك انه مر بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربي " [(٣)]

اما الرقص فهو وجه من وجوه التفريج عن النفس يرقصون في المناسبات والافراح وقد يكون ذلك هو الذي حمل علماء اللغة على تفسير الرقص انه ارتفاع وانخفاض [(٤)] ، قال اوس بن حجر :

نفسي الفداء لمن اداكم رقصاً   تدمى حراً قفكم في مشيكم صلك [(٥)]

فضلاً عن ان الرقص كان من اختصاص الشباب دون الشيوخ اعتقاداً منهم عدم ملائمة الرقص مع جلالة السن ، وكان اهل مكة وغيرهم من اهل الحجاز ، اذا ارادوا الاحتفال بعرس او ختان او اية مناسبة اخرى مفرحة اضطروا الحبش [(٦)] للرقص والغناء على طريقتهم الخاصة ، ويعد الرقص عند العرب قبل الاسلام من جملة الشعائر الدينية ، ولايستبعد ان يكون العرب قبل الاسلام رقصوا لالهتهم في

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، ٤/ ١٤٥ ،١٦٨ ومابعدها .

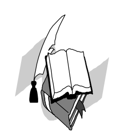
(٢) فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص٤٠ .

(٣) هو سعيد بن مسجح مولا بني جمح وقيل انه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبدالمجلب مكي اسود مغن متقدم من فحول المغنيين واكابرهم واول من صنع الغناء منهم ، نقل غناء الفرس الى غناء العرب ، فكان اول من اثبت ذلك ولحقه وتبعه الناس . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٣ / ٢٧٦ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ٧/ ٤٣ مادة (رقص) .

(٥) شرح ديوان اوس بن حجر ، ص٨١ .

(٦) الحبش : هم جنس من الحبشة يرقصون ، وورد في الحديث انه قال للحبشة دونكم يابني ارقده وقيل (ارفده) لقب لهم هو اسم ابيهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٣/ ١٨٣ مادة (رفد) .



المناسبات الدينية تعبيراً عن شكرهم للالهة [1] ، عموماً فان معلوماتنا عن الرقص في تلك الحقبة تبقى قليلة او قد تكون شحيحة فان ما احرزته الحجاز في هذا المجال لايصل الى ماوصلت اليه المدن الاخرى وبمستوى ما احرزته بقية المدن كالحيرة وغسان [2].

خامساً :الاعياد

كان الشعور الجماعي عند العرب قبل الاسلام اقوى منه مما كان عند الامم الاخرى ، والتي كانت ضرورات الحياة ، ترغمها على الحياة مجتمعه، وتفرض على كل فرد منها ان يقدس جماعته ولايحس بكيانه الفردي ، هذا الشعور الجماعي كان الصفة الغالبة على المجتمع العربي قبل الاسلام ، ومن مضامين هذا الشعور العيد ، والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح ، وقال ابن الاعرابي : العيد لانه يعود كل سنة بفرح مجدد [3].

ان قيام كل قبيلة باعيادها وطقوسها يعمل على تماسكها ويشعرها بوحدتها ويقدم لها المجال لدوام وتقوية الاتصال الاجتماعي لضمان وحدة القبيلة وان القيام بكل هذه العادات التي هي من صنع الافراد كان امراً ضرورياً ، وكان للعرب اعياد يحيون فيها العصبية ، بما يفاخرون به من احساب وانساب ويتنافسون به من عقد اسواق من اجل المديح والثناء ، ومنها اعمال فيعد ذلك من العبادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً ، فهي ايام مسراتهم وافراحهم لظفرهم على عدوهم ونصرتهم ، فيتفق في يوم عيد القوم وسرور، وهو لاخرين حزن وبؤس ، وكان لاهل يثرب يومان يلعبون فيهما فلما قدم الرسول صلى الله عليه واسه وسلم الى المدينة (يثرب) قال لهم " وقد ابدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الفطر والاضحى " [4] ومايصنعونه في اعيادهم ومواسمهم انهم يتزينون باحسن الثياب والملابس الفاخرة ويتسابق الفرسان على الخيل ويلعب الاجواد بالميسر ويضربون بالدفوف ويتغنون

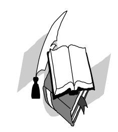
---

[1] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ١٢٢ .

[2] فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص٥٤ .

[3] الزبيدي ، تاج العروس ، ٢/ ٣٤٨ مادة (عود) .

[4] النسائي ، سنن النسائي ، ٣ / ١٧٩ . ١٨٠ . الاعياد قبل الاسلام هما النيروز والمهرجان . ينظر : الالوسي ، بلوغ ، ١/ ٣٤٤ ، ٣٤٧ .



بابيات من الشعر وكانوا يفرحون جميعاً لاجتماع شملهم في ظروف امن وسلام [١]، وهذه الاعياد تكاد تكون عامة لدى العرب قبل الاسلام ، وهناك اعياد خاصة يحتفل بها العرب نوجزها على النحو الآتي :.

١.الختان :

وهو من الاحتفالات الدينية التي كان يمارسها العرب قبل الاسلام وانتشرت هذه العادة الصحية بين معظم قبائل جزيرة العرب ولم يقتصر اهل مكة على تختين الذكور فقط بل ختنوا الاناث ، وعيروا الاغرل الذي لم يختن [٢] ، اذ يقدم فيه الصبي جزءاً من لحمه ودمه قرباناً الى الهته فعد من اهم العبادات ، وكان هذا اليوم يلقي من احتفالهم ماتلقاه الايام ، فروي عن ابن عباس " ختن بنيه وارسل يدعو اللعابين فلعبوا فاعطاهم اربعة دراهم " [٣].

والرجل الذي لم يختن كان يلقى الكثير من التسميات منها اقلف او اغلف او اغرل ، فقد كان العرب قبل الاسلام يعدونه ناقصاً ، وكان العرب يعتقدون ان الغلام اذا ولد في ليلة قمراء ارتد قلفته وصار كالمختون ، وتذكر الروايات ان الشاعر امرؤ القيس كان قد دخل مع قيصر الحمام فرآه اقلف فقال في ذلك :

انى حلفت يميناً غير كاذبة   لانت اقلف الاماجنى القمر

اذا طعنت به مالت عمامته   كما تجمع تحت الفلكة الوبر [٤]

٢.الخفض :

مارس الخفض بعض نساء العرب المختصات ، وتدعى من تتولاه الخافضة وتدعى ايضاً المبظرة [٥]، وكان الغاية من الخفض تقليل غلمة النساء فيكون العفاف

---

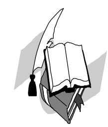
[١] الصابوني ، محمد علي ، اعياد المسلمين ، مجلة رابطة العالم الاسلامي ، العدد ، ٨ ، لسنة ٣، دار الاصفهاني ، مكة المكرمة ، ١٩٦٦، ص٢٣ .

[٢] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٩ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ١٣٨ مادة (ختن). ٧٠/٤ مادة (بظر) ؛ السباعي ، تاريخ مكة ، ص٣٥ .

[٣] ابن قتيبة ، مختلف الحديث ، ص ٢٩٥ . ٢٩٦ .

[٤] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص٩٣ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/ ٢٩٠ مادة (قلف) ؛الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٢٦/٦ مادة (قلف) .

[٥] ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٧٠/٤ مادة (بظر)



عليهن مقصوراً ويروى ان ام سباع كانت قابلة بمكة [1]، وكانت اول امرأة خفضت هاجر ام اسماعيل عليه السلام [2].

٣. **حلق العقيقة** *

في اليوم السابع للمولود كانوا يحتفلون بحلق عقيقة ، وهو الشعر الذي ولد به ، وكانوا يذبحون عنه كبشاً او شاة ويأخذون صوفه منها ويستقبلون بها الدم المتدفق من اوداجها ثم يضعوها على رأس الطفل ويلطخون راسه حتى يسيل الدم ثم يحلقون شعره ، واستمرت هذه العادة في الاسلام ، فيروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " يوم ولد الامام الحسن عليه السلام ، فلما كان سابعه عق عنه النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم بكبشين املحين ، فاعطى القابلة فخذ كبش وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر وطلى رأسه بالخلوق ثم قال ياسماء ، الدم فعل الجاهلية " [3]، وبالرغم من ذلك فقد بلغ بعض العرب مبلغ الرجال دون ان تحلق عقيقتهم ولكن يبدو ان المجتمع كان لايرضى عنهم وينظر اليهم نظرة ازدراء ، فيصف امرؤ القيس احدهم بالحمق والضعف والقذرة فيقول :

ياهند لاتنكحي بوهةً   عليه عقيقته احسبا [4]

ومما هو جدير بالذكر ان العرب احتفلوا بالمولود الذكر ، وبدأت هذه الاحتفالات منذ اليوم الاول له ، اذ كان يستقبل بلون خاص من الطقوس الدينية ، فكان يؤخذ الى الكاهن قبل الاسلام لحنيكة أي دلك داخل فمه بالتمر الممضوغ وهي

---

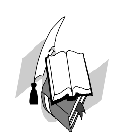
[1] سباع : عبدالله بن سباع بن عبدالعزى بن نضلة الخزاعي ، الذي بارزه حمزة بن عبدالمطلب يوم احد فقال له : هلم الي يابن مقطعة البظور ثم قتله . ينظر : الواقدي ، مغازي ، ص٢٥٥ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٣٨ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص٦٠ .

[2] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١/٤٣٣ .

* العقيقة : الشعر الذي يولد به الانسان ، فاذا حلقت ذلك منه قلت عققت . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ٧٩ .

[3] الامام زيد بن علي بن الحسين ، مسند الامام زيد ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا.ت) ، ص ٤٦٧ .

[4] حسن السندوبي ، اخبار المراقسة واشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٩ ، مع شرح ديوان امرؤ القيس ، ص٨٣ . وهو امرؤ القيس بن مالك الحميري .



عادة غير مقصورة على العرب وحدهم ، بل كانت شائعة عند كثير من الامم ، وفي الحقبة اللاحقة في الاسلام ابتكر الاذان في اذن المولود [١].

سادساً : الاحزان

اذا كنت قد تحدثت عن الافراح وما رافقها من ممارسات في حياة العرب قبل الاسلام ، فلابد من التحدث هنا عن الاتراح والاحزان عندهم وماكانوا يفعلونه عند نزول مصيبة او وقوع حادث محزن مفجع ، فمن المعروف عن العرب عامة ان الحزن يلعب دوراً كبيراً ، من خلال المبالغة في اظهاره عندهم .

والحزن الهم وقيل خلاف السرور ، وقد فرق بعضهم بين الهمّ والحزن وقال بعض اللغويين : الغم الحاصل لوقوع مكروه ويضاده الفرح ، وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العام الذي ماتت فيه السيدة خديجة وعمه ابو طالب (عام الحزن) وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، لما اصابه فيه من هم وغم [٢] ، ومن شعائرهم التي يظهرونها للناس لاشعارهم بانهم مصابون بالالم والحزن لبس ملابس خاصة تكون شعاراً خاصاً بالحزن [٣] ، وذر الرماد او التراب على الرأس او تلطيخ الرأس والوجه بالطين ، وترك الشعر ينمو بلا حلق ولا اجراء تعديل اظهاراً للحزن على الميت ، وكان من شأن تركها او اهمالها في نظرهم معيب ومنقصة على المفجوع وعلى اصدقائه ، وعلى آله على حد سواء ، ثم هي تقاليد لابد من مراعاتها والمحافظة عليها [٤] .

وقد ورد في الحديث " لا اسعاد ولا عقر في الاسلام " [٥] " وهو اسعاد النساء في المناحات تقوم المرأة فتقوم معها اخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة ، ان نساء العرب قبل الاسلام كن اذا اصيبت احداهن بمصيبة فيمن يعز عليها بكت حولاً ، واسعدها على ذلك جاراتها وذوات قراباتها فيجتمعن معها في عداد النياحة واوقاتها

---

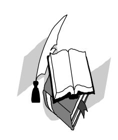
[١] حسين نصار ، اغاني الافراح عند العرب ، مجلة العربي ، العدد ٣٤ لسنة ١٩٦١ ، الكويت ، ص٦٤ .

[٢] الزبيدي ، تاج العروس ، ٧٤/٩ مادة (حزن) .

[٣] جواد علي ، المفصل ، ٥ / ١٤٦ .

[٤] جواد علي ، المفصل ، ٥ / ١٤٦ .

[٥] ابن حبان ، محمد بن حبان (ت٢٥٤هـ) ، صحيح ابن حبان ، تح : شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٩٣) ، ٧ / ٤١٦ .



ويتابعنها ويساعدنها مادامت تنوح عليه وتبكيه ، فاذا اصيبت صواحبها بعد ذلك بمصيبة اسعدتهن " [١].

وكانت المرأة عند العرب اذا ناحت قائمة على زوجها علم انها لاتريد ان تتزوج بعده [٢] " وقد يستعار الموت للاحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية " [٣]، ويكون الاعلان عن موت شخص بالبكاء وبالنعي ، ويتوقف ذلك على قدر منزلة الميت ومكانته الاجتماعية ، ويعد نعي الميت وشق الجيوب من وسائل التقدير والاكرام وتبجيل الميت ، لذلك كانوا يوصون قبل موتهم بنعيهم للناس نعياً يليق بهم ، فقد ذكر ان طرفة بن العبد خاطب ابنة اخيه بهذا البيت :

فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يابنة معبد [٤]

وكذلك فعل لبيد فقى اوصى ابنتيه بهذه الوصية لما حضرته الوفاة :

تمنّى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر [٥]

وكان اهل الجاه والغنى والاشراف يستأجرون النائحات للنياحة على الميت في بيته وخلف نعشه الى القبر وفي مأتمه ، واعتادت قريش اعلان الحداد ويقتضي ذلك غلق اسواقهم وحوانيتهم عند موت سيد من علية القوم واكابرهم اعظاماً وتقديراً ، فلما مات عبدالمطلب بن هاشم ناحت عليه نسوة آل عبد مناف وجززن شعورهن وشق صغار الاولاد قمصانهم وغلقت الاسواق في مكة اياماً كثيرة حزناً على وفاته وحداداً [٦]. وكان في الطائف اذا مات بها احد لم يحمل جنازته الا الشبان وهم يتداولون بالنعش [٧].

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ٣/ ٢١٦ . ٢١٧ مادة (سعد) .

[٢] الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص٧١ .

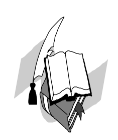
[٣] وقد استخدمت هذه الالفاظ قبل الاسلام وربط بينها وبين هذا المصطلح لما لها من صلة بهلاك الانسان وبمصيره ، فجعلت تؤدي معنى الموت .

[٤] شرح ديوان طرفة ، ص٣٩ .

[٥] شرح ديوان لبيد ، ص٧٩ .

[٦] البلاذري ، انساب ، ١/ ٨٤ . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٣٤/٢٢ .

[٧] ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٢٥ .



وقد يمتد نعي الميت ورثاؤه حولاً كاملاً ، وهي مدة عزاء العرب قبل الاسلام وكانوا يعقرون على القبور الابل ، فيربطون الناقة معكوسة الرأس الى موخرها ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ، اعتقاداً منهم بانها مكافأة للميت واعظاماً ، وكانوا يذبحون للاصنام ، وحتجوا بقول الشاعر :

واتضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح [١]

ونعتقد ان عقر الابل على القبور ، فضلاً عن انه تكريم للميت ، فانه اشهار للفضيلة بين الناس وتباهياً بما نحره بنوه على قبره من ذبائح لاطعام الفقراء . ولم تكن العرب تندب قتلاها ولاتبكي عليهم حتى يثأر بها ، فاذا قتل قاتل القتيل بكت عليه وناحت [٢]، وكانوا يغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم ان يحمل الميت على سرير ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن [٣]، وقد ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى " وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم " [٤] وقال الاعشى :

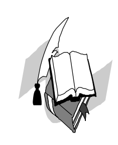
تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يارب جنب ابي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي يوماً فان لجنب المرء مضطجعا [٥]

وقد كانت قريش تضع الكافور على الميت ، وهي عادة استمرت في الاسلام ايضاً ، ولم يكن النعش معروفاً عند العرب قبل الاسلام ، وان اول من عمل له النعش السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الاسلام ، وقد قلد في ذلك اهل الحبشة الذين كانوا يضعون نعوشاً لموتاهم [٦]، ووصف احد الشعراء القبر وحافره قائلاً :

وقد ارسلوا افراطهم فتاثلوا قليباً سفاها كالاماء القواعد [٧]

---

[١] ابن الاثير،الكامل، ٢/ ٨٦ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى،١/ ٤٠٤ ومابعدها ؛ الالوسي، بلوغ ، ٢/ ٣١٠ .
[٢] الالوسي، بلوغ ، ٣/ ١٢ .
[٣] ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٩ . ٤٠.
[٤] سورة التوبة ٩ ، الاية ١٠٣ .
[٥] شرح ديوان الاعشى ، ص ١٠٥.١٠٦ .
[٦] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٤١ .
[٧] ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٨٩/١ مادة (سفا) .



وكان من عادة العرب قبل الاسلام حمل ملوكهم على الاعناق من مكان الى مكان اذا هو مرض ، اما لكبره او ليعلم الناس بالامر فيدعون له بالشفاء كما في قول النابغة الذبياني :

الم تر خير الناس اصبح نعشه   على فتية قد جاوز الحّي سائرا
ونحن لديه نسأل الله خلده   يرد لنا ملكاً وللارض عامراً [١]

ويسمى من يقوم بحفر القبور (الجبانة) وعرف القبر بـ (الجدث) [٢] ، ويقال للميت عند وضعه في قبره لاتبعد ، والى هذا المعنى ورد في شعر مالك بن الريب المزني :

يقولون لاتبعد وهم يدفنوني   واين مكان البعد الا مكانيا [٣]

ويتضح من النص السالف انه وان ذهب عنهم ، سيكون دائماً معهم وفي قلوبهم ولعل هذا التفكير هو الذي حملهم على اخراج حصته مما يأكلونه ويشربونه يسمونها باسم الميت ، وعلى زيارة قبور الموتى والجلوس عندهم ، لاعتقادهم بان روح الميت في رأيهم حية لاتموت [٤].

وقد بالغ الاغنياء بتكفين موتاهم فيروى " ان عبدالمطلب لف في حليتين يمانيتين ثمينتين " [٥] ، وكانوا يضعون الحنوط [٦]في اكفان الميت وملابسه ليطيب به جسمه وليحفظه مدة طويلة ، ويعجل العرب بدفن موتاهم ، والتعجيل بدفن الميت من الضرورات التي اقتضتها طبيعة الجو ، فحرارة الجزيرة العربية لاتساعد على بقاء جسد الميت مدة طويلة والا تعرض للفساد [٧].

---

[١] شرح ديوان النابغة ، ص٦٩.٧٠ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ١٠ / ٢٩ .

[٢] ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص٢٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٢ / ١٢٨ مادة (جدث) .

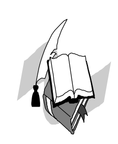
[٣] القالي ، الامالي ، ٢/ ١٣٧ .

[٤] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ١٥٩ .

[٥] اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٣ .

[٦] الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة مشتق منه ذلك لان الرمق اذا احنط كان لونه ابيض يضرب الى الصفرة وله رائحة طيبة وقد حنطه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٧٨/٧ مادة (حنط) .

[٧] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ١٦٥ .



وقد عرف العرب القبر ، وقد عرف اهل اللغة القبر " مدفن الانسان وجمعه قبور " [1]، وكان اهل مكة قبل الاسلام وفي صدر الاسلام يدفنون موتاهم في شعب ابي دب [2]،وفي روايات اخرى ان المعلاة كانت مقبرة المطيبين خاصة بهم دون غيرهم قبل الاسلام ، وفي الشبيكة مقبرة الاحلاف [3] .

وللتعبير عن الحزن لبس اهل الميت ملابس الحزن حولاً كاملاً ، واللونان الابيض والاسود هما اللونان اللذان يتخذ منهما الملابس في الحزن ، ويذكر الوشاء [4] ، ان اللون الابيض هو شعار الحزن في الحجاز ، اما اهل اللغة فلهم رأى اخر اذ يعدون الثياب السود ثياب المأتم [5].

سابعاً : المثل الخلقية عند العرب قبل الاسلام :

أ. **الضيافة :**

تعد من الخصال الحميدة عند العرب ، فهي عرف اصيل من اعراف العرب قبل الاسلام وقد كانت درساًمن الدروس التي لقنتها الطبيعة ان صح التعبير للانسان العربي وعلمته ممارستها ظروف حياته ، فضلاً عن ان الكرم سجية من سجايا العرب عرفوا بها على مر العصور ، وكانت على الاعم الاغلب قطب الرحى في مدائح الشعراء لانها راس المزايا التي يتجلى بها الانسان وعنها تتفرع المزايا الاخرى التي سوف نتطرق اليها ، زد على ذلك فان الكرم والضيافة وسيلة السيادة والجاه ، ويصفها حاتم الطائي قائلاً :

يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى في ماله سبلا

ولاتقولي لمالٍ كنت مهلكه مهلاً وان كنت اعطي الجن والخبلا

---

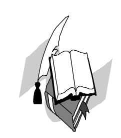
[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥/ ٦٨ مادة (قبر) .

[2] ابو دب : رجل من بني سراة بن عامر سكنه فسمي به ، وشعب ابي دب يعمل فيه الجزارون بمكة ، ويزعم اهل مكة ان في هذا الشعب قبر امنة بنت وهب بن عبد مناف ام الرسول صلى الله عليه واله وسلم . ينظر : الازرقي ، اخبار مكة ، ٢ / ٢١٠ .

[3] الازرقي، اخبار مكة ، ٢ / ٢٠٩ ، ٢١٣ هامش (١).ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١/ ٢٨٤ .

[4] الظرف والظرفاء ، ص ١٠٣ .

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، ١/ ٤٧٣ مادة سلب .



لاتعذليني على مالٍ وصلت به   رحماً وخير سبيل المال ما وصلا [١]

وقد عبر عن الكرم بالجود والسماحة والندى وسمي الكريم جواداً او سمحاً ونعت بالدسيعة تشبيهاً بالبحر الخضرم وهو المال الكثير [٢]يقول امية بن ابي الصلت :

المطعمون الطعام في السنة   الازمة والفاعلون للزكوات [٣]

والضيافة مظهراً جميلاً من مظاهر الحياة الاجتماعية عرفوا بها ونسبت اليهم وقالوا الضيافة العربية تمدحاً بها ، وثناءً عليها ، والضيافة غير الكرم لان الكرم لايقوى عليه الا المياسير ، اما الضيافة فمفروضة على كل فرد بما ملكت يداه ، واصبحت سجية عند العرب قل او كثر ، ومن قصص الضيافة التي تضمنت شيئاً من ادابها ما رواه ابي الفرج الاصفهاني من قصة ثأر شاعر (قيس بن الخطيم) قبل الاسلام [٤]، وكان من عادة العرب الاجواد ايقاد النار في الليل ليراها الغريب والجائع من مسافة بعيدة فيفد اليها حيث يجد من يقربه ويقدم له مايحتاج اليه من طعام ، وقد اطلقوا على هذه النار (نار القرى) ونار الضيافة ، كانوا يوقودونها في الاماكن المرتفعة لتكون اشهر [٥]. قال الاعشى :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين تصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق [٦]

وكانوا يقدونها على المرتفعات لتكون ابين واوضح ، وربما اوقدوها بالمندل الرطب ، وهو عطر ينسب الى مندل ببلد الهند ونحوه مما يتبخر به ليهتدي اليه

---

[١] شرح ديوان حاتم الطائي ، ص٧٣ .

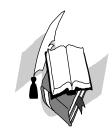
[٢] الدسيعة : الجفنة التي يؤكل فيها . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٢٧/٥ مادة (دسع) ؛ ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ٥٤ .

[٣] شرح ديوان امية ، ص٢٣ .

[٤] ينظر : الاغاني ، ٣/ ٤ . ٦ .

[٥] الالوسي ، بلوغ ، ١٦١/٢ .

[٦] شرح ديوان الاعشى ، ص ١٢٠ .



العميان [١]، وهذا مظهر من مظاهر الترف والمقدرة بالثراء ، قال عدي بن زيد ان ناره كانت تحرق الشحر الطيب الرائحة :

رب نار بت ارمقها تقضم الهندي والغارا [٢]

والعرف عند العرب ،ان الضيافة ثلاثة ايام وثلاث ليال وبانتهائها يسقط حق الضيافة من رقبة المضيف ، وقد عبر عن منزلة الضيف بعبارات (بيتي بيتك) وعلى الضيف بالطبع ان يتادب بأدب الضيافة فيصون حرمة بيت مضيفه [٣]، ولقد بالغ العرب قبل الاسلام بمظاهر الضيافة من خلال الحفاوة والتعهد له حتى صاروا كالعبيد ، والى ذلك قال حاتم :

اخا طارقٍ او جار بيت فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف مادام ثاوياً ومافي الا تلك من شيمة العبد [٤]

وبلغ من كرم العرب ان بعضهم كان يؤثر المحتاجين على نفسه وولده ، فضلاً عن فخرهم بسعة الجفان ، مما يدل على كثرة الأكلين ، ولدينا في الشعر العربي قبل الاسلام الكثير من الابيات الشعرية تصف ذلك ، فهذا امية بن ابي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان قائلاً :

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي
الى ردح من الشيزى ملاءٍ لباب البر يلبك بالشهاد [٥]

وكانوا اذا اقبل الضيف فرحوا به واعزوه ، وقد افتخروا بتقديمهم للضيف اشهى مايملكون ، ومن صنوف الحفاوة بالضيف ان يتلقاه المضيف ببشر وايناس ، والتبسيط معه في الحديث قال عروة بن الورد :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع
احدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع [٦]

---

[١] الالوسي ، بلوغ ، ١/ ٧ ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص٣١٧ .

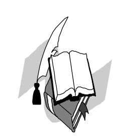
[٢] القالي ، الامالي ، ١/ ٦٠ .

[٣] جواد علي ، المفصل ، ٤/ ٥٧٦.

[٤] شرح ديوان حاتم ، ص٤٤ .

[٥] شرح ديوان امية ، ص٣٣ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص ٤٦٥ . ٤٦٦ .

[٦] شرح ديوان عروة ، ص٤٩ ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ٤/١ .



وتذكر الروايات ان كعب بن مامة الايادي وهو من اجواد العرب قبل الاسلام انه هلك بسبب جوده ، فقد مات عطشاً لانه اعطى الماء غيره [١].

وكان لفصل الشتاء المحك للاجواد ، فهو فصل بارد ، وتزول فيه الاعشاب فيقصد اهل الجود والسخاء الذين كانوا يدنون الناس اليهم ويطعمونهم فيقتلون بذلك جوع الشتاء ، لهذا عرفوا بـ (قاتل الشتاء) [٢]، قالت الخنساء التي ترثى اخاها صخراً :

وان صخراً لوالينا وسيدنا   وان صخراً اذا نشتّوا لـ

وان صخراً لمقدام اذا ركبوا   وان صخراً اذا جاعوا لعقار [٣]

وكنوا عن كرم الرجل بجبن كلبه ، لانه اذا ما رأى الغرباء كف عن النباح يقول حسان بن ثابت :

يغشون حتى ماتهر كلابهم   لايسألون عن السواد المقبل [٤]

وقد افتخر الشعراء بالكرم واثروا غيرهم على انفسهم وكانوا يخافون ان يقال عنهم (اشحاء) قال الشمخي الفزاري :

الم تعلمي ياعمرك الله انني   كريم على حين الكرام قليل

واني لاخزى اذا قيل مقتر   جواد واخزى ان يقال بخيل [٥]

ومن كرم العرب وسخائهم على الارامل واليتامى والسائلين ، قال اوس بن حجر :

ابا دليجة من يوصي بارملة   ام من لاشعث ذي طمرين طملال [٦]

وكانت لهم تجربة سابقة استقوها من تجاربهم ، فهم لايرون مدعاة للبخل لان المال الذي سيخلفونه سيرثه غيرهم ، لذا اوصى حاتم الطائي الاغنياء ان ينفقوا اموالهم في الكرم وفي هذا المعنى قال :

---

[١] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ / ١٥٨ ؛ ينظر : الالوسي ، بلوغ ، ١/ ٨١ .

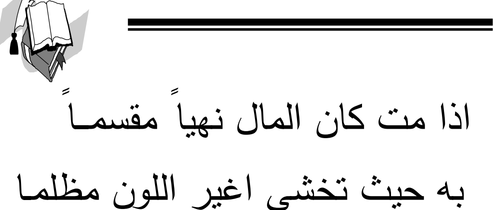
[٢] الزبيدي ، تاج العروس ، ٨/ ٧٦ مادة (قتل) .

[٣] شرح ديوان الخنساء ، ص ٤٨ .

[٤] شرح ديوان حسان ، ص ١٨٠ .

[٥] الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣ / ١٥٤ .

[٦] الطملال : الفقير . شرح ديوان اوس بن حجر ، ص٠٣ . ينظر : الجاحظ ، البيان والتبين ، ١/ ١٥٩ .



اهن للذي تهوي البلاد فانه　　اذا مت كان المال نهياً مقسماً
ولا تشقين فيه فيسعد وارث　　به حيث تخشى اغير اللون مظلما
يقسمه غنماً ويشرى كرامةً　　وقد صرت في خطٍ من الارض اعظما
قليل به ما يحمدنك وارث　　اذا ساق مما كانت تجمع مغنما [١]

وهناك الكثير من التسميات التي اطلقها العرب على الكرماء منهم ، فسموا ازواد الركب ، وسموا بالاجواد ، وسموا بالمطعمين [٢].

نعتقد مما تقدم ان العرب وماوصلوا اليه من الكرم والضيافة لم تصل اليه اية امة من الامم ، فهم ورثوها من ابينا ابراهيم عليه السلام فهو اول من قرى الضيف ، وقد اثنى عز وجل على اكرام الضيف بقوله تعالى " هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون " [٣]، وكان اهل الحجاز اذا نزل بعضهم ضيف ذبحوا له او نحروا له ، فاذا سافر منهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم ماذبحوه على شكل المثلث ايذاناً بانه من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب ومن الاماجد الاعزاء .[٤]

ان شيوع الكرم لدى العرب قبل الاسلام وتقديرهم له لاينفي ان بعضهم كان على بخل ، والبخل آفة عرفتها المجتمعات البشرية كلها فهي في نظر عرب قبل الاسلام خروج على الاعراف الاجتماعية التي افرزتها حياة الصحراء وضروراتها التي كانت تفرض مع كل عربي ان يقدم القرى (الطعام) الى أي ضيف ينزل ، وامتناع العربي من ادائها يجعله عرضة لاحتقار مجتمعه وازدرائه وبخله يلصق به سبة لايمحوها تطاول الايام ، بل ان هذا العار يجاوز الرجل الى قبيلته فيغدو لطخة سوداء في تاريخ هذه القبيلة ، ومن هنا كانت القبائل تتحامى جهدها من ان تعير

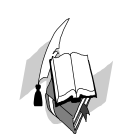
---

[١] شرح ديوان حاتم الطائي ، ص ٨٠ . ٨١ .

[٢] ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٨٨ . ولقبوا عبدالمطلب بن هاشم بمطعم طير السماء .

[٣] سورة الذاريات ٥١ ، الايات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

[٤] الالوسي ، بلوغ ، ٣/ ١٨ .



بهذه النقيصة ببذلها القرى لكل ضيف فهذا عروة بن الورد عير خصمه بالبخل قائلاً :

اني امرؤ عافى انائي شركة   وانت امرؤ عافى انائك واحد
اتهزأ مني ان سمنت وان ترى   بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة   واحسو قراح الماء والماء بارد [١]

ويروي الجاحظ ان رجلاً حذر بنت عمه من ان تتزوج ببخيل جبان وان قدم مهراً مغرياً قائلاً :

لاتقربي يابنت عمي بوهة   من القوم دفناساً غنياً مفندا
وان كان اعطى راس ستين بكرة   وحكماً على حكم وعبدا مولدا [٢]

وماقيل عن البخلاء قول الاخطل :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم   قالوا لامهم بولي على النار [٣]

ويرى البعض ان اكثر مايلفت الانتباه لهذه الظاهرة وجودها لدى النساء اكثر منها لدى الرجال ، فمثلاً حاولت امرأة حاتم الطائي ان تغل يده عن العطاء فعصاها لان الكرم عادة راسخة عنده لايستطيع ان يبطلها فانشد قائلاً :

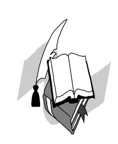
وقائلة اهلكت بالجود مالنا   ونفسك حتى ضر نفسك جودها
فقلت دعيني انما تلك عادتي   لكل كريم عادة يستعيدها [٤]

وقال طرفة :

وانت امرؤ منا ولست بخيرنا   جوداً على الاقصى وانت بخيل
فاصبحت فقعاً نابتاً بقرارةٍ   تصوح عنه والذليل دليل [٥]

---

(١) شرح ديوان عروة بن الورد ، ص٢٩ .
(٢) البيان والتبين ، ٢٤٦/١ .
(٣) نقائض جرير والاخطل ، ص١٣٥ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٦/ ١٨٧ .
(٤) شرح ديوان حاتم ، ص٤٤ ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص ٣٢٥ .
(٥) شرح ديوان طرفة ، ص٨٠ .



ب. **الشجاعة :**

كانت الشجاعة عند العرب قبل الاسلام مفخرة للعربي وحليته ، واذا حاولنا تقصي حياة العربي منذ طفولته ادركنا ان الشجاعة ولدت معه وانه شب وكبر وهي تسير في دمه ، وكيف لا وقد تربّي في بيئة تتمدح البطولة والاقدام وحسن البلاء في حماية الذمار والاخذ بالثأر ، وقد تنوعت مظاهر الشجاعة فمدحوا الموت في ضلال السيوف ، وهجوا بالموت على الفراش وسموه الموت حتف الانوف قال السموؤال بن عاديا :

وانا لقوم لانرى القتل سبة　　اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموتِ آجالنا لنا　　وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف انفه　　ولاطل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا　　وليست على غير الظبات تسيل [١]

وكان من محامد القبيلة ان يكثر في الحروب قتلاها ، وهذا دليل على ان العرب قبل الاسلام قد الفوا الحروب والفتهم ، قال امرؤ القيس :

فأن تدفنوا الداء لانخفه　　وان تبعثوا الحرب لانقعد

وان تقتلونا ثقتكم　　وان تقصدوا لدم نقصد

واعددت للحرب وثابة　　جواد المحثة والمرود [٢]

ونجد في الشعر العربي قبل الاسلام آيات اعتذار الشعراء لفرارهم من الحروب فهذا اوس بن حجر فر من جموع بني عبس واعتذر بانه لما شهد الجموع خاف لانهم شجعان ودافع عن نفسه بان فراره اليوم لا معرة ، اذا ان شجاعته مشهورة وبلاءه محمود من قبل :

اجاعلة ام الحصين خزاية　　على فراري اذ لقيت بني عبس

ورهط ابي عمرو وهمرو بن عامر　　وتيماً فجاشت من لقائهم نفسي

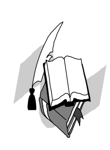
مطاعتي في الهيجا مطاعيم للقرى　　اذا اصفر افاق السماء من الفرس

وليس يعاب المرء من جبن يومه　　وقد عرفت منه الشجاعة بالامس [١]

---

[١] شرح ديوان السموؤال في عاديا ، ص ٩١ .

[٢] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص٦١ .



وقول حسان بن ثابت :

ضربناهم حتى استباحت سيوفنا حماهم وراحوا موجعتي من القتل [٢]

ولم تتمكن النساء لينحن على قتيل في الحرب لان قتله مجد وشرف ، ولانهن تعودن ان يفقدن اعزاء في الحرب ، ولان النواح عليه ينبيء ان دمه مطلوب قال عمرو بن كلثوم :

معاذ الاله ان تنوح نساؤنا على هالك اوان نضج من القتل [٣]

واذا كان الاسد اشجع الوحوش وملكها واعظمها رهبة الحقوا الرجل الشجاع به في جرأته وغلبه ، وكذلك شبهوا الشجاع بالنمر لقوته وبسالته كما في قول امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصا ماغركم بالاسد الباسل [٤]

ومما لاشك فيه ان هذا الخلق مضافاً الى اخذهم بالثأر كان له بعض الاثر في كبح العدوان ، لان الضعيف مركب الذلول ، قال زهير بن ابي سلمى :

ومن لايذذ عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم [٥]

ويصف امرؤ القيس ان الموت في ساحة الحرب اعلى صفات الشجاعة قائلاً :

فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

فلم تغسل جماجمهم بسدر ولكن بالدماء مر ملينا [٦]

ج. **العفة** :

---

[١] شرح ديوان اوس بن حجر ، ص٥١.٥٢ .

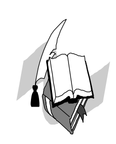
[٢] شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص١٨٧ .

[٣] شرح ديوان حماسة التبريزي ، ١/ ١٨٣ .

[٤] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٥١ ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣/ ٥٦ .

[٥] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص٨٨ .

[٦] بني مرينا قوم من اهل الحيرة ، شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٩٠ .



في بيئة تمرس اهلها على الاخلاق الكريمة واعتزوا بالاباء والمروءة ، والشهامة ، والنجدة ، وعلو الهمة ، وكرم الخصال ، وشرف الفعال ، وطيب الخلق ، وشدة البأس ، وقوة المراس ، وحدة الطبع ، والوفاء والحكم ، وقد كان في رجالهم أمثلة حية لهذه الخصال ، وافتخروا بالشرف وكان لابد للرجال والنساء من التعفف ولان الغيرة ، والعفة عند العرب قبل الاسلاممقرونة بالسيادة كالشجاعة والكرم ، فالعفة حلية الرجال الكرام والابطال العظام ، وهي من ابرز القيم الخلقية ، التي كان العرب يفخرون بها ويتأمرون من اجلها ، فهذا مثلاً عنترة بن شداد افتخر بانه لم يراود انثى عن نفسها ، فضلاً عن انه يغض طرفه ان مرت به جارته قال :

ماأستحت انثى نفسها في موطن   حتى اوفي مهرها مولاها

اغشى فتاة الحي عند حليلها   واذا غزا في الجيش لاغشاها

واغض طرفي مابدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأمواها [١]

والخنساء ترثي اخيها مشيرة الى عفته واستحيائه قائلة :

لم تره جارة يمشي بساحتها   لريبة حتى يخلى بيته الجار

واحيى من مخبأة كعاب   واجرأ من ابي شبل هزير [٢]

والعفة عند علماء اللغة" لغة الابتعاد عن كل انواع المحارم والاطماع الدنية " [٣]، اما اصطلاحاً فهي من ابرز القيم العليا التي تحفظ مكانة القبيلة وسمعتها في المجتمع [٤]. وكان العرب ينظرون الى العفة على اساس انها المثل الاعلى لديهم سواء في البادية ام الحضر ، فبلغ اهتمامهم بالمحافظة على العرض مبلغاً عظيماً حتى اصبح الاعتداء عليه كفيلاً باشعال نار الحرب اذ لابد من حماية العرض من ان يمس او يلطخ بالعار [٥]، ونظراً لاهمية لعفة فقد شدد عقلاء القوم على ضرورة التحلي بها ، ووضع بعض العقوبات القاسية سعياً وراء تحصين ابنائهم من شرور

---

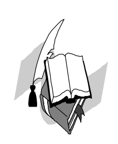
[١] شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص٧٦ .

[٢] شرح ديوان الخنساء ، ص٤٩ .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ٩ / ٢٥٣ مادة (عفف) .

[٤] العدوى،ابراهيم احمد، التاريخ الاسلامي افاقه السياسية وابعاده الحضارية،(القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص٤٢ .

[٥] الحوفي ، الحياة العربية ، ص٣٦٢ .



الخلاعة والمجون التي يمكن ان تعصف بهم ، وفي ذلك يقال ان عبدالمطلب اقام الحد على الزنى ومنع التعري في اثناء الطواف [١]، وقد اشير الى ان الربيع بن حدان هو اول من رجم مرتكب الزنا قبل الاسلام [٢] والمتصفح لاحاديث العرب وخطبهم ووصايهم يعرف اهتمام العرب تاكبير بالعفة ، فقد نصح عقلاء القوم ابناءهم بالتعفف ، ويروى عن دريد بن الصمة " اياكم وفضيحة النساء فانها عقوبة غد وعار ابد يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها ويزال لازماً ما عاش له عارها " [٣]. زد على ذلك انكارهم عن الحديث عن النساء في مجالسهم وفي امثالهم " كل مهمة . أي يحتمل . ماخلا النساء وذكرهن " [٤]. وقد بلغ الاهتمام بالعفة انهم استحلوا القتال في الاشهر الحرام دفاعاً عنها ، فيذكر ان حرب الفجار حصلت بسبب اعتداء بعض شباب قريش وكنانة على عفة امراة من بني عامر [٥]، ولجأ بعض العرب الى قتل نسائهم بعد تخليصهن من السبي خوفاً من الحاق العار بهم كالذي فعله الحارث ابن اكل المرار [٦].فضلاً عن اعتزاز المرأة العربية بعفتها ، وليس ادل على ذلك من قول هند بنت عتبة في بيعة النساء ، وهل تزني الحرة كما مر آنفاً [٧].

ان المرأة العربية ارتدت النقاب وهو القناع الذي يستر الوجه بقصد التعفف ، فضلاً عن اشارات عديدة الى ارتداء المرأة الحجاب [٨]، ولكن هذا لايعني ان نساء العرب جميعاً كن يرتدين الحجاب ، فهناك اشارات في القرآن الكريم الى شيوع مظاهر التبرج في اكثر من اية [٩].

د. **الحرية والاباء :**

---

[١] اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٩. ١٠ .

[٢] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١/ ٤٣٥.

[٣] ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء،ص١٧١ . ينظر : القالي ، الامالي ، ٢٨/٢ (وصية عامر بن الظرب) .

[٤] أي كل شيء جميل ذكره الا النساء . ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/ ٥ .

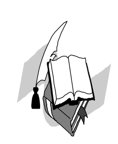
[٥] ابن حبيب ، المنمق ، ص١٨٩.

[٦] الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٧٩/١٦ .

[٧] الواقدي ، المغازي ، ص٣٣٤ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٩/٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ٢/ ٢٥٣ .

[٨] ابن الاثير ، الكامل ، ١/ ٥٨١ .

[٩] ينظر : مثلاً سورة الاحزاب ، الاية ٣٣ ؛ سورة النور ، الاية ٣١ .



كانت الحرية ملازمة للعربي ، فكانت طبيعية لدى العرب ، منذ اقدم عصور التاريخ وقد صورت كتب اللغة والتاريخ الكثير من الروايات التي تبرز دور الحرية في حياة العربي ، وبما حملته من اثار ايجابية احياناً واخرى سلبية ، فضلاً عن تمادي العرب في حب الحرية ، فهم فهموها مطلقة من القيود التي تتنافى وطبائعهم ، فيروى الاصفهاني خبر عمرو بن كلثوم وفتكه بعمرو بن هند لانه بغى وتملكه الزهو، رافضاً الخضوع والهوان بعد ان استعلت ام عمرو بن هند على ام عمرو بن كلثوم (ليلى) وارادت منها ان تقوم مقام الوصيفة ، فصاحت : واذلاه يالتغلب فسمعها عمرو بن كلثوم فثأر ووثب الى سيف ضرب به رأس عمرو بن هند [١]، وكانت هذه الحادثة سبباً في قول معلقته المليئة بالفخر التي يقول فيها :

الا لايجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

بأي مشيئة عمرو بن هند تكون لقيكم فيها قطينا

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهددنا واوعدنا رويدا متى كنا لامك وقتوينا

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الاخذون لما رضينا

وانا المانعون لما اردنا وانا النازلون بحيث شينا

وانا العاصمون اذا اطعنا وانا العازمون اذا عصينا

اذا ما الملك سام الناس خسفاً ابينا ان نقر الذل فينا

ورثناهن عن اباء صدق ونورثها اذا متنا بنينا [٢]

لقد اعتز العربي كثيراً بنفسه ، رافضاً الخضوع لغيره فلا يدين لرئيس قبيلة الا اذا كان من القبيلة نفسها ، وقد صور طرفة بن العبد الى اثار الشعور بالحرية والاباء وفخراً بقوته وعدته قائلاً

ان الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كالرأس الحية المتوقد

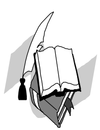
فآليت لاينفك كشحي بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند

حسام اذا ماقمت منتصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعضد

---

[١] ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ١١/ ٥٤. ٥٦ .

[٢] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص١٧٠. ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٠ .



اخي ثقة لاينثني عن ضريبة   اذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني   منيعاً اذا بلت بقائمه يدي [١]

لقد فهموا الحرية المطلقة من القيود التي تتنافى وطبائعهم وكان لهذا الفهم اثار سيئة بجانب اثاره الحسنه ، فلم يكد العرب يخضعون للقانون العام المنظم للعلاقات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ان هذا التصور الخاطيء للحرية ان صح التعبير كان من اسباب ردة بعض المسلمين عن الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ رفضوا ان يخضعوا لامرة الخليفة ابي بكر رضى الله عنه وامتنعوا من دفع الزكاة مدعين انها اتاوة ، جاهلين حكمتها واثارها الاجتماعية والروحية [٢]، وورد في امثال العرب(لو ذات سوار لطمتني) أي لو ظلمني من كان كفأ لي لهان علي ولكن ظلمني من هو دوني ، وفي معنى آخر لو لطمتني ، فجعل السوار علاقة للحرية لان العرب قلما تلبس الاماء السوار ، قال كما مر سابقاً :

ان هذا الفهم الخاطيء للحرية جعل من الحرية الاجتماعية لاوجود لها ، فكانت للقوة والبطش للضعيف المهان والقوي المهاب :

تعدو الذئاب على من لاكلاب له وتتقي صولة المستئاسد الحامي[٣]

هـ. الوفاء :

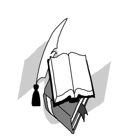
مثلما لازم العرب قبل الاسلام الخصال والطباع الاصلية من شجاعة وكرم وحرية ، كان الوفاء من صفات العربي بل هي صفة اساسية جرت في عروقهم ، انهم كانوا يتعاقدون في المحالفات على الدم والماء والطيب ويتمسحون بالكعبة واردلوا من وراء ذلك توكيداً للحلف واحترامه ، وكان الغدر معرة يتجافون عنه ، فضلاً عن ان البيئة كان لها دوراً فاعلاً في اضطرار العرب الى التعاون اذ لايتم هذا التعاون الا بمراعاة العهد والوفاء وعظم الله تعالى امره بقوله " والموفون بعهدهم اذا

---

[١] شرح ديوان طرفة بن العبد ، ص٣٧. ٣٨ .

[٢] الحوفي ، الحياة العربية ، ص٣٥٨ .

[٣] علي الجندي ، تاريخ الادب الجاهلي ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٦٩) ، ١/ ١٠١ .



عاهدوا " [١]، وقوله تعالى " والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون " [٢] ، وضرب المثل بوفاء السموأل بن عاديا يقول الاعشى :

كن كالسموأل اذ سار الهمام له   في جحفل كسواد الليل جرار

بالا بلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وصار غير غدار

فقال ثكل وغدر انت بينمها   فاختر وما فيهما حظ المختار

فشك غير قليل ثم قال له   اذبح هديك اني مانع جاري [٣]

لقد حرص العرب على الوفاء اتماماً المكارم اخلاقهم وكرم خصالهم وكانت تقول في امثالهم " انجز حر ماوعد " [٤]، وضربت العرب المثل في الخلق بعرقوب ، وكان رجلاً من العماليق ، فاتاه اخ له فسأله شيئاً فقال له عرقوب اذا اطلع فخلى فلما اطلع اتاه فقال اذا ابلح فلما ابلح اتاه فقال : اذا ازهى فلما ازهى اتاه قال : اذا رطب فلما رطب اتاه قال اذا صار تمراً فلما صار تمراً جده من الليل ولم يعط اخاه شيئاً [٥]. وقد ذكرت المصادر عن الحياة العربية قبل الاسلام شواهد كثيرة تتحدث عن الوفاء بالوعود والمحافظة على العهود والمحافظة على احترام حق الجار وحماية الحليف وغير ذلك من الاخلاق والعادات [٦]، واعطت الاسواق عناية كبيرة لترسيخ قيم الوفاء وكانوا يعملون على تكريم الاشخاص الذين يحرصون على حماية الجار والوفاء له ، وكانوا يرفعون راية الوفاء لهم في الاسواق [٧]. كما كانوا يقفون بوجه الاعمال التي تناقض الاخلاق العربية ، لاسيما صفة الغدر فكان من عاداتهم التشهير بالاشخاص الغادرين فقد كانوا يرفعون لهم راية الغدر ، وكانوا لايصاهرون

---

[١] سورة البقرة ٢ ، الآية ١٧٧ .

[٢] سورة المؤمنون٢٣ ، الآية ٨.

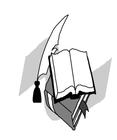
[٣] شرح ديوان الاعشى ، ص ٦٩ . ٧٠ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص١٠٤ .

[٤] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣،/ ٣٧١ .

[٥] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣/ ١٤٧ .

[٦] ينظر : المبرد ، الكامل ، ١/ ١٩٣ ؛ابن قتيبة ، طبقات الشعراء ، ص١٠٩ .

[٧] الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٢/ ١١٦ ؛ الالوسي ، بلوغ ، ١ / ١٢٢ .



الغادر لايجالسونه ولايستمعون منه حديثاً وكانت الاسواق مجلس المفاخرة بالشجاعة والكرم والوفاء [١] .

نخلص مما تقدم ماعرضه المسعودي من خلال المحاورة التي دارت بين كسرى واحد خطباء العرب ، الذي اجمل فيها اخلاق العرب قائلاً " العز والشرف والمكارم ، وقرى الضيف واذمام الجار، واجارة الخائف ، واداء الحمالات، وبذل المهج والمكرمات وهم سراة الليل وليوث الغيل ،وعمار البر ، وانس القفر ، الفوا القناعة ، وشنفوا الضراعة ، لهم الاخذ بالثأر ، والانفة من العار ، فقال كسرى لقد وصفت عن هذا الجيل كرماً ونبلاً " [٢] .

و.الخيل :

لقد اهتم العرب قبل الاسلام كثيراً بالخيل لما لها في حياتهم من اثر كبير حتى جعلوها بمثابة الولد ، وفضلاً عن استخدامها في ترحالهم ، زيادة على الجمال وقطع المسافات الطويلة قاطعة الصحارى ، استخدموها في غاراتهم وحروبهم ، فضلاً عن استخدام لحومها ، وقد ورد الثناء عليها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واشعار العرب، قال تعالى"والعاديات ضبحاً ،فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ،فاثرن به نقعاً ،فوسطن به جمعاً " [٣]. وورد ذكرها في الحديث النبوي" الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة"[٤]وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:" الخيل ثلاثة:فهي لرجل اجر، ولرجل ستر،وعلى رجل وزر" [٥]،وقد اعتنى العرب قبل الاسلام بالخيل اعتناءاً كبيراً،كان الرجل منهم يبيت خاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه واهله وولده قال الجعفي الشاعر :

الخير ماطلعت الشمس وغربت   معلق بنواصي الخيل معقود [٦]

---

[١] الافغاني ، اسواق العرب ، ص٣٤١ .

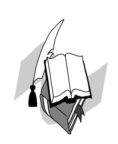
[٢] مروج الذهب ، ٩٨/٢ .

[٣] سورة العاديات ١٠٠ ، الاية ١-٥ .وجاءت لفظة الخيل في خمس سور من القرآن الكريم هي : سورة آل عمران ٣، الاية ١٤ ؛ الانفال٨ ،الاية ٦٠، الاسراء١٧، الاية ٦٤؛ النحل١٦ ، الاية ٨؛ الحشر٥٩ ، الاية ٦.

[٤] مسلم ، صحيح مسلم ، ٢/ ٦٨٢ .

[٥] ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ٩٣٢/٢.

[٦] ابن سيدة ، المخصص ، ١٨٥/٢ ؛ الالوسي ، بلوغ ، ٢/ ٧٧ .



وقد اشتهر العرب بالمحافظة على انسابها وعدم الخلط بين سلالاتها فتراهم يخلدون ذكرها وصفاتها في قصائدهم ، وكان اطلاق الاسماء على الخيل عادة مألوفة ومعروفة ليتمكنوا من تمييزها وليعرفوا الاصيل منها من غيره [1]، سئل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمر بن معدي " كيف معرفتك بالخيل العراب ياعمرو فقال معرفة الانسان بنفسه واهله وولده " [2]، قال لبيد بن ربيعة :

معاقلنا التي نأوي اليها   بنات الاعوجية لا السيوف

كأن دماءهم تجري كميتاً   ووردا قانئاً شعر مدوف [3]

وقول عنترة :

لااملك السيف الا قد ضربت به   ولاتموت جيادي وهي اغمار

ولاعود مهري ان اوقفه   وسط الكماة ولايشقى بنا الجار [4]

وكانت العرب على كثرة سخائهم باموالهم وبذلهم لانعامهم لايجودون باعطاء الخيل ولايسمحون باعارتها [5]ويروى ان احد فرسان العرب قبل الاسلام وهو عبيدة ابي ربيعة قد طلب منه فرسه (سكاب) فمنعها وانشد قائلاً :

ابين اللعن ان سكاب علق   نفيس لايعار ولايباع

مفداه مكرمة علينا   يجاع لها العيال ولا تجاع

سليلة سابقين تناجلاها   اذا نسبا بضمها الكراع

ففيها عزة من غير نفر   يحيدها اذا حر القراع [6]

لقد اشتهر ولم تزل العرب على ذلك من تثمين الخيل والرغبة في اتخاذها وصيانتها والصبر على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم وشدة حالهم في معيشتهم

---

[1] الاصمعي ، ابي سعيد عبدالملك بن قريب ، الخيل ، تقديم : د. نوري القيسي ، مجلة كلية الاداب ، العدد ، ١٢ ، لسنة ١٩٦٩ ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، ١٩٧٠) ، ص٣٣٧ .

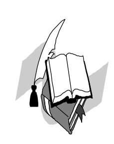
[2] الكلبي،عبدالله بن محمد بن جري الغرناطي(القرن الثامن الهجري)، الخيل مطلع اليُمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، تحقيق : محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت ، ١٩٨٦)، ص ٤٠ .

[3] شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، ص٢٢٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٨/٩ مادة (دوف) .

[4] شرح ديوان عنترة ، ص ٤٦ .

[5] الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص٤٠ .

[6] الالوسي ، بلوغ ، ٢/ ٨١ .



الى درجة انهم سموها الخير واضيف لفظ الخيل الى بعض الاسماء فقيل زيد الخيل لشغفه بها وكثرة ما اجتمع لديه منها فقد عرفت له ستة افراس باسمائها [١] ، وليس ادل على اعزاز الخيل وكرامتها على اهلها ورفعتها في نظرهم من قول امرؤ القيس :

أو بات عليه سرجه ولجامه وبات يعييني قائماً غير مرسل [٢]

وبلغ من تعظيم الخيل انهم كانوا لايهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ او فرس تنتج [٣] . وكان من تقاليد العربي لايبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك ، لان في بيعها مثلبة لاتدانيها مثلبة ، وهذا ما يوحي بالثقة الاكيدة التي تغمر قلب العربي ، والاعتقاد الراسخ لحبه لهذا الحيوان الاصيل،ولابد ان تعطى هذه الاهمية لهذا الحيوان المكان البارز في الادب العربي،لانه ملأ جوانب كثيرة من حياة العرب [٤]، وكان من الوان الخيل المحببة لدى العرب"الكمتة،والحمة ، والحوة ، والكمتة اشد الخيل جلوداً وحوافر الكمت والحم" [٥].ومن الالوان الاخرى الشقرة والخلوقي،والمدمى، والادبس، والامغر،والافصح، والاصبح ، والاقهب " ويستحب في الوان الخيل الصفاء والبريق من أي لون كان " [٦]، وحتى هذه الالوان فمنها الوان اصيلة تشمل خمسة الوان هي البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة ، ومنها الالوان الفرعية فهي المركب بعضها مع بعض ماعدا تلك الالوان [٧]. وكانوا يفضلون ذكور الخيل ولاسيما في الحروب ، قال الشاعر :

واعددت للحرب اوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا [٨]

---

[١] الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٤٦/١٧ ؛ ابو عبيدة ، الخيل ، ص٢ .

[٢] شرح ديوان امرؤ القيس ، ص١٣٦ .

[٣] ابن رشيق ، العمدة ، ١/ ٢٩ .

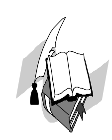
[٤] الاصمعي ، الخيل ، ص٣٤٠ .

[٥] الكلبي الغرناطي،الخيل،ص٥١ ؛الاصمعي، الخيل ، ص٣٧٥ . ينظر : الالوسي ، بلوغ ، ٢ / ٩٦.٩٥ .

[٦] الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص٧٥ ؛ ابن سيده ، المخصص ، ١٠٥/٢ .

[٧] الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص٤٩ .

[٨] الاصمعي ، الخيل ، ص٢٤٨ .



وفضلاً عن مسمياتها كان لها اسماء اخرى في حلبة السباق ، كان لهذه الاسماء اثراً مهماً في الطابع الاجتماعي ، نوردها كما ذكرها بعض المؤرخين وحسب تسلسلها في السباق :

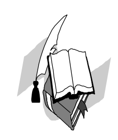
١. المجلى : لانه جلى عن وجه صاحبه بعض همه .
٢. المصلى لانه يضع جحفلته على الارض
٣. السُلي : لانه شريك فسلى عن صاحبه بعض همه .
٤. التالي ، لانه تلا الثالث وذلك ان العرب كانت تأخذ من كل شيء تختاره ثلاثة فتعدها طبقة ، ثم ثلاثة اخرى طبقة ثانية .
٥. المرتاح : مفتعل من الراحة .
٦. الحظّي : لانه قد نال حظاً من السبق
٧. العاطف : وسمي بذلك لدخوله الحجرة .
٨. المؤمل : على القلب والتفاءل .
٩. اللطيم :لانه لو رام دخول الحجرة للطم لانه اعظم جرماً واقل جرياً من السابع والثامن .
١٠. السكيت : لان صاحبه يعلوه خشوع ويسكت خزيا [١]

ويذكر ان ابو خراش قدم مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد ان يرسلهما في الحلبة فقال للوليد ماتجعل لي ان سبقتهما ، قال ان فعلت فهما لك فارسلا وعدا بينهما فسبقهما فاخذهما [٢]، ومن الجدير بالذكر ان السير على الاقدام للوصول الى المواضع المقصودة هو المألوف عند اكثر الناس بسبب فقرهم وعدم تمكنهم من امتلاك دابة ركوب ، ويعد امر اقتناء الخيل في بلاد العرب من الامور

---

[١] يضيف المسعودي " الفسكل الذي يجي في اخر الخيل " مروج ، ٣/ ٢١٧ . ينظر : الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص١٥٠ـ ١٥١ ؛ ابن سيدة ، المخصص ، ٢ / ١٧٧ـ١٧٨ وتسمى حلبة السباق (الضمة) والجمع اضاميم وهي جماعات الخيل . محمد حسين ، الهجاء والجاؤن ، المطبعة النموذجية ، (مصر ، ١٩٤٨) ، ص ١٩ هامش (٤) .

[٢] ابو خراش : هو خويلد بن مرة ، احد بني قرد واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل في مدركه شاعر مخضرم مات في خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) نهشته افعى فمات ، وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٢١ / ٢٠٥ ، ٢٠٨ .



الكمالية فاطعامها والعناية بها ، ولايستطيع حيازتها الا من كان على سعة من العيش ، وهي فضلاً عن استخدامها في الغزو تستعمل ايضاً في اللهو والالعاب الرياضية كرمي الجريد والسباق والصيد [١].

ثامناً : مساكن العرب :

لم تسعفنا المصادر بمعلومات ثمينة عن مساكن العرب في الحجاز قبل الاسلام ، ولكن مايمكن القول عنه او اجماله ان لكل عشيرة منهم منطقة معروفة ومعهم مواليهم (حلفائهم) ورقيقهم ، وبناء على ذلك فقد استقرت قريش في مكة ، وكان لكل بطن منها منازل خاصة بها (رباع) [٢]، ولايمكننا معرفة التفاصيل عن طبيعة البيوت في تلك الحقبة ، لكن يمكننا ان نتعرف شيئاً من ذلك من خلال التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي وصل اليه المجتمع انذاك ، والذي تسعفنا المصادر اليه هو ماذكره الازرقي من ان قصي بن كلاب جعل مركز الخطة هو الكعبة المعظمة (كالمحور في الدائرة) ثم بدأ العمران الى الكعبة ، وسميت بدار الندوة ، وكان لهذه الدار شأن هام في حياة قريش [٣]،وتذهب بعض الروايات الى ان سعيد بن عمرو بن هصيص السهمي اول من بنى بمكة داراً هي دار العجلة [٤]، وهكذا بنى قصي داره واختط لقريش دورها فيما يلي داره فكانت خطة الدور ثنائية حيث كانت بين كل دارين طريق تفصل بينهما ليكون مسلكاً ينفذ منه الى المطاف [٥]، وبدأ العمران وقامت الدور في مكة ، ولكن اعظاماً لحرمة الكعبة فقد اجتنبوا تربيع بيوتهم فجعلوها دائرية الشكل أي انهم اتخذوا طرازاً معمارياً مخالفاً لطراز بناء الكعبة ، وقد دام هذا الطراز في مكة حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي عندما قام حميد بن زهير ببناء دار مربعة الشكل [٦]، وقد بنيت البيوت من

---

[١] جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٢٥ ؛ فيليب حتي ، تاريخ العرب مطول ، ١ / ٢٥ .

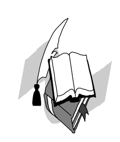
[٢] الازرقي ، اخبار مكة ، ٢/ ٢٣٣ .

[٣] الازرقي ، اخبار مكة ، ٢/ ١٠٩ . ١١٠ هامش (٢) .

[٤] الفاسي ، شفاء الغرام ، ١/ ١٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٤٢٢ .

[٥] العصامي ، سمط النجوم ، ١/ ١٦٢ .

[٦] جواد علي، المفصل،٤ / ٥٢ ؛ كستر، مكة وتميم ترجمة يحيى الجبوري ، (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص١٣ .



المادة الاكثر وفرة في جبال الوادي فقد شيدت من احجار الجبال [١]. كما في قوله تعالى "تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً " [٢]، واتخذوا جريد النخل واخشاب شجر الدوم لسقوفها ، وقد استخدمت المواد نفسها في بناء الكعبة عند تجديده الذي تم فيما بعد[٣] . وهذا العباس عم النبي صلى الله عليه واله وسلم لما بنى داره قال :

مرتجراً بنيتها باللبن والحجاره والخشباب فوقها مطارة [٤]

وبنى عند باب البيت (دكك) يجلس عليها الدرانية (البوابون) يمنع الغرباء من الدخول الى الداخل ولحراسة الدار، وقد اشير االى ذلك في شعر ينسب للمثقب العبدي :

فابقي باطلي والجد منها كدكان الدرانية المطين[٥]

اما دور الاثرياء والسادة فمن المؤكد انها كانت كبيرة وتحتوي على عدد من الغرف وللدار بابان متقابلان احدهما للدخول والاخرة للخروج ، ويدل هذا على ان الدار كبيرة وتطل على واجهتين فهي دار كبيرة لها سعة بينه فهذا مثلاً عبدالله ابن جدعان شخص واسع الثراء يمتلك في بيته عدداً من الجواري والمغنيات والخدم ، وكنت قريش تجتمع احياناً في بيته ، فلا بد ان يكون بيته كبيراً متعدد الاجنحة ، جناح خاص لسكناه مع عائلته وجناح لخدامه وجواريه ودار ضيافة كبيرة ، ومطبخ يتناسب مع حجم الولائم التي يقيمها ، وهذا ينطبق على معظم بيوت اغنياء مكة وتجارها ، وبهذا احتوت مكة على المنازل الفخمة والكبيرة الحجم [٦].

---

[١] حافظ وهبة ، جزيرة العرب ، ص٣٠ .

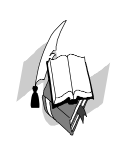
[٢] سورة الاعراف ، الآية ٧٤ .

[٣] الماوردي ،ابو الحسن علي بن محمد ، الاحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص١٦٠ .توضع هذه الاخشاب عرضاً اذا ارادوا تسقيف بيت ثم يلقى عليها خشب الصغار . ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ١٢٩ .

[٤] ابن عساكر ،ابن بدران الشيخ عبد القادر ابن محمد الدققي تهذيب التهذيب، مطبعة الترقي،(دمشق، بلا.ت) ٢٣٧/٧ .

[٥] الزبيدي ، تاج ١٣/٧ مادة (دك) ؛ جواد علي ، المفصل ٥/ ٢٤

[٦] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٤٠ . ينظر : الاصبهاني ، الاغاني ، ٣٢٧/٨ ؛ الخربوطلي ، علي حسين ، تاريخ الكعبة ، د/ط دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٦) ، ص٥٩ .كانت قريش تسمى البيت المبني قصراً لانه يقصر من فيه . ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ١٢٦ .



ونظراً لارتفاع درجة الحرارة في مكة في فصل الصيف فقد يكون لبعض الدور المضلات الخارجية تبرز عن اصل البناء وهي من الحجر ايضاً ليستظل بها من الشمس عند الجلوس تحتها ، مثل دار السيدة خديجة بنت خويلد [١] ، وتقع هذه الدار في زقاق الحجر وهي الدار التي شهدت ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي في جملتها دار متواضعة تحتوي على اربع غرف [٢] ، فضلاً عن ذلك فلابد ان ينام هؤلاء على سطوح المنازل ، خصوصاً اذا ماعرفنا انهم كانوا يعرفون المعارج (السلالم)[٣] لكن البيوت اختلفت في طرازها المعماري وسعتها ومادة بنائها باختلاف مكانة صاحبها الاجتماعية ومنزلته من حيث الغنى والفقر [٤] . اما بيوت الفقراء فكانت بسيطة مبنية من الطين تقي ساكنيا حر الصيف وبرد الشتاء وتفتقر الى المرافق الخدمية كالحمامات والمرافق الصحية ، لذا يلجأ اصحابها ، الى قضاء حاجتهم خارج البيوت [٥].

اما في يثرب فقد ذكر انهم تفرقوا في عالية المدينة وسافلها واتخذوا الديار ، ومنهم من لجأ الى قرية من قراها متخذاً الاطام ، ويذكر ابن كثير ان الدور في يثرب حين قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهجراً كانت تبلغ تسعاً ، كل دار مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها واهلها ، وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهي كالقرى المتلاصقة ، ووصفت ايضاً بانها ابيات مجتمعة تجاوز حد القرى كثرة وعمارة ، ولم تبلغ حد الامصار [٦]، فامتازت المنازل بانها لاتتكاتف على قاعدة بل تتفرق وتفصل بينها مساحات خالية على عادة العرب في بناء قراهم

---

[١] الطبري ، تاريخ ، ٢/ ١٩٧ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٤/ ٥٢ .

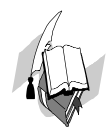
[٢] الفاسي ، شفاء الغرام ، ١/ ٢٧٠ . ٢٧١ ؛ رحلة ابن جبير ، ص٩١ .

[٣] السباعي ، تاريخ مكة ، ص٣٧ .

[٤] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ٩٢٥ .

[٥] انما سمي المتوظأ حشاً لانهم كانوا يتغوطون في البستان ، والحش تعني البستان . ابن سيدة ، المخصص ، ٦١/١ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥/٢٤.٢٥ .

[٦] البداية والنهاية ، ٣/ ٢٠٣ .



ومدنهم [١] ، ويذكر الاصفهاني ان اهل الحجاز جعلوا مخترقاً مابين كل دارين لم ينصب عليها باب وهي اشبه بالممر يسلك بين الدارين وسموها (الخوضة) [٢] .

ومن المسلم به ان يثرب لم تتمتع باحترام وقدسية العرب الا بعد الهجرة النبوية مما انعكس سلباً على تخطيط مبانيها فيثرب لم تكن سوى مجموعة من المنازل البسيطة المنتشرة بدون نظام محدد وتحيط بها الحقول والبساتين ، ونظراً لوفرة المياه انتشرت فيها المسطحات الخضراء واصبحت محطة لامداد القوافل ، مما ساعد على عدد النازحين اليها [٣] ، ولكن اكثر مايلفت النظر في التخطيط للمناطق السكنية والتي كانت تقام بعيداً اوعلى اطراف الاسواق ، أي انفصال بين المنطقة السكنية والمنطقة التجارية،ولعل الامر يعود لاسباب دفاعية واجتماعية [٤] ، ونستطيع الاستدلال من بعض النماذج الى ان بيوت اهل يثرب كانت مبنية من الطين ومسقفة بجريد النخل شأنها شأن مساكن اهل الحجاز ، منها ما كان ذا طابق ومنها ما كان ذا طابقين [٥]. ولعل في وصف دار ابي ايوب الانصاري الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد مسيره من قباء الى منازل بني النجار اصدق دليل على ذلك ، فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل في اسفل الدار وان ابا ايوب واهله ناموا في الطابق العلوي ، فانكسر لهم زير ماء فنشفوه بغطائهم خوفاً من نزول الماء على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد باتوا وجلين لهذا الامر [٦]، واذا اخذنا بالحساب اسم العراء الذي اطلق على المدينة (يثرب) للتدليل على عدم ارتفاع مبانيها فان هذا الامر ينطبق على مباني اهل يثرب قبل الهجرة النبوية [٧].

---

[١] احمد السباعي، تاريخ مكة ، ص٣٣ . وتسمى هذه المساحات بـ (الساحة : فضاء يكون بين دور الحي) وتسمى البيوت المجتمعة (بالصِّرم) اما البيوت اذا دنت من بعضها تسمى (الحارة) . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ١/ ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢١ .

[٢] الاغاني ، ١٦ / ٣٢٤ .

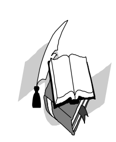
[٣] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣١٧ .

[٤] صالح العلي ، المدينة المنورة ، ص١٠ .

[٥] الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص٧١٨ . ٧١٩ .

[٦] ابن هشام،السيرة،٢/ ٤٩٨. ٤٩٩ ؛ النويري ، نهاية الارب،٣٤٣/١٦ ؛السمهودي ، وفاء الوفا ، ١٨/١ .

[٧] السمهودي ، وفاء الوفا ، ١/ ١٨ .



وكان للقبائل اليهودية بيوت (المدارس) وهذه البيوت كانت اشبه ماتكون بمساجد المسلمين من حيث وظائفها الدينية والسياسية والاجتماعية ، وقد ذكرت اسماء بعضها كاسم المدرسة ماسكة (١).

ونظراً لاعتماد اهل يثرب على الزراعة وكثرة بساتينها ولاسيما بساتين النخيل كان اهلها يتخذون لهم عرائش في فصل الصيف ، والعريش ساباط يصنع من جريد النحل ويرش بالماء ليكون محلاً بارداً يستظل به الناس ايام الحر بصورة خاصة ، ويبدو ان هذه العرائش (البيوت الصيفية) كانت منتشرة في يثرب قبل الاسلام وبعده ، فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد مسيره من قباء الى منازل بني النجار استظل بعريش قد رش بالماء للتخلص من حر الشمس قبل ان يدخل دار ابي ايوب الانصاري (٢).

اما الطائف فهي متقدمة بالقياس الى بقية اهل الحجاز ، فاستفادوا من الزراعة ووفرة المياه فاحاطوا بالمدينة بساتين مثمرة وفاقوا في البناء فبيوتهم جيدة ومنظمة ، وعرفت الطائف ايضاً الاطام في زمن متأخر من يثرب (٣).

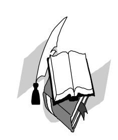
اما الاشكال الهندسية وترتيبها فقد فصلها لنا الالوسي قائلاً في وصفها " فمن ابنيتهم الدار والمنزل والمقوى والمربع ويقال الصحن الدار ، قاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها ، ثم النفق والسرب وهو البيت تحت البيت ثم الغرفة فوقه وهي العلية وجمعها علالي ،ثم الخزانة وهي غرفة المؤونة وتحفظ فيها ، ويأتي بعدها المضجع او المرقد ، و يقال للبيت المغمى اذا سقف بالخشب والغماء مايغمى به ، أما المقيب والمسنم فهو المبني على هيأة السنام في اتساع اسفله وتضايق اعلاه وفي الدار الصفة وجمعها صفاف ، منها الشرقية التي تقابل المشرق، والغربية التي تقابل الغرب ، والفراتية التي لاتقع الشمس فيها مباشرة ، والمقنؤه هي الظليلة التي لاتصلها

---

(١) ابن هشام ، السيرة ، ٥٥٩/٢ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ٣٠٩/١ ؛ الكتاني ، التراتيب ، ١/ ٢٠٤ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢٦١/١ . ينظر : خليل ابراهيم ، المظاهر الحضرية للمدينة ، ص ٢٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٣/ ٨٣ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٤/ ١٤٨ .



الشمس ، والكلوة الثقب في اعالي البيت ينفذ منه النور ويقال له الشاروق ، والمشكاة التي في الحائط يقال لها الاوقة والبيت الذي فيه " [1] يقول امرؤ القيس :

وبيت يفوح المسك في حجراته بعيد من الافات غير مروق[2]

ويواصل الالوسي حديثه قائلاً (ويقال للسطح : الصهوة والسطح مربد التمر ، والدرج مايرتقي فيه الى السطح فانه كان من خشب فهو السلم ، وكل مرقاة من الدرج عتبه والجمع عتب ، والطنف اجر ونحوه يجنح به اعلى الحائط ليقيه المطر وهو الافريز ، والنجيرة سقيفه تصنع من خشب لايخالطها غيره ، والعرس حائط او اسطوانه يقام في البيت يوضع عليها العارضة ، يوضع فوقها روافد من الخشب والطوب هو الاجر يبنى به ، والطيان الذي يطين الحائط نحوه ، والحلاط مارق من الطين ويقال للبناء بكامله الهاجري نسبه الى أول قبيلة كانت تبنى ، وفي الدار الكنيف واصله الحظيرة ويقال له الحش والمستراح والمخرج والمرحاض : المغتسل ، والمزراب والميزاب جميعاً لاخراج الماء من السطوح ويكون من الخشب او غيره ، والبالوعة ثقب في وسط الدار ، وفي الدار المطبخ وهو موضع الطبخ ، والمخبز ويقال له المسمر والوطيس والساعور : تنور في الارض حفير وفي الدار القصر ويقال له المجدل والفدن والعقر والصرح وهو كل بناء مرتفع ، والموسم مكان السوق والمحفل مجمع الرجال ، والمأتم مجمع النساء ، والندى مجمع للسمر والحديث والمصطبة مجتمعهم لعظام الامور ، والخان مكان مبيت المسافرين ، والحانوت مكان الشراء والبيع ، والسدة مابنى امام الحانوت ، والعضادة حانوت صغير ، والحانه مكان التسوق في الخمر ، والماخور مكان الشرب في منازل الخمارين ، الديماس الحمام ، والاتون موقد ناره [3] .

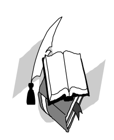
لقد عرف العرب البناء وتفننوا به ويظهر ذلك جلياً في قصورهم الشاخصة الى يومنا هذا ، وقد انحصرت صناعة البناء لدى الحضر لانهم اكثر حاجة اليها فاتخذوا

---

[1] ويورد ابن سيدة باب في مسميات اجزاء الدار فيذكر (عقوة الدار ، باحتها . عراق الدار : فناء بابها . طوار الدار : ما كان ممتداً معها . طلل الدار موضع من صحنها يهيأ لمجلس اهلها . دار قوراء : واسعة) المخصص ، ١١٧/١ ، ١١٨ / ١١٩

[2] شرح ديوان امرىء القيس ، ص١١٩ .

[3] بلوغ ، ٣٩١،٣٩٢/٣ ، ٣٩٣ .



البيوت والمنازل للسكن والماوى ، ويعلل ابن خلدون ذلك قائلاً " بان الانسان لما جعل عليه من الفكر في عواقب احواله لابد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها" [١] ، ويضيف ابن خلدون " هذه الصناعة والقائمون عليها متفاوتون ، فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر " [٢] وهذا مايدلل على ان ما وصل اليه العرب قبل الاسلام في صناعة البيوت والتي كان لهم اليد الطولى وما خلفته من اثار شامخة تشهد لهم بمهارتهم وتفوقهم في فن البناء . بعد ان تعرفنا على مساكن العرب لابد ان نطرح سؤال نراه ضرورياً هو اين كان يقيم الوافدون على مكة لمواسم الحج ؟ خصوصاً اذا ما عرفنا ان منازل مكة كانت رباع ويسمى كل حي بالشعب وكان هذا الشعب لعشيرة معينة فمثلاً شعب ابي طالب كان لبني هاشم وعشيرته[٣] واذا اخذنا بنص الازرقي [٤] القائل " ان الرسول صلى الله عليه اله وسلم نهى عن بيع رباع مكة وعن اجر بيوتها " . نعتقد من النص في أعلاه ان بيوت مكة كانت تكرى وتباع ولاسيما ايام مواسم الحج ، والا لم كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم ينهى عن بيع وتأجير البيوت ، أي ان هذه الحالة كانت موجودة قبل الاسلام . اما الشطر الثاني لاعتقادنا فهو ان الشخصيات الغنية كانت تقيم عند اغنياء مكة حيث تربطهم علاقات تجارية بهم ، فاقيمت لهم منازل خاصة اقيمت لهذا الغرض اما الفقراء والطبقات الاخرى فهي المقصودة بالكري والبيع وخلال موسم الحج ، فيذكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :كان ساكن مكة حياً من العرب ، فكانوا يكرون الظلال ويبيعون الماء فابدلها الله تعالى بهم قريشاً فكانوا يظلون في الظلال ويسقون الماء " [٥].

أ. **اثاث البيوت**

---

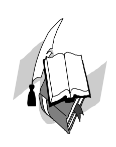
[١] المقدمة ، ص٤٠٦

[٢] المقدمة ، ص٤٠٧

[٣] الازرقي ، اخبار مكة ، ١٦١/٢

[٤] اخبار مكة ،١٦٣/٢

[٥] الازرقي ، اخبار مكة ، ١٦٣/٢ .



لقد استخدم الخشب في صنع اثاث البيت وفي كثير من الادوات المستخدمة في حياة الانسان ، وقد ذكر القرآن الكريم اسماء بعض الاثاث مثل الارائك والسرر والنمارق والزرابي والقرش المبطنة بالاستبرق والسندس وانواع الاواني من الفضة كالقوارير والاكواب والكؤوس ، واستخدموا الاواني لصنع الطعام ، لاسيما الاواني التي تستعمل في اطعام عدد من الناس في المناسبات كالمأتم والافراح منها الجفنة [١]. بقوله تعالى : "يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك " [٢] وقوله تعالى" يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفانٍ كالجواب وقدور راسيات " [٣] ، وكانت معظم الاواني المستعملة عند عامة الناس تصنع من الحجر وهو مايطلق عليه (البرم) وقد اشتغل عدد من سادات مكة بهذه الصناعة [٤]، واذا كان القرآن الكريم قد خاطب العرب بهذ ه الاوصاف فمن غير المعقول ان العرب لم يعرفوها ومن المرجح ان تكون طبقات منهم قد عاشت عيشة ترف ونعيم تقارب تلك الاوصاف.

واستورد اهل مكة الاواني الغالية والاثاث الراقي من بلاد الشام ، لما عرفت به هذه البلاد في الصنعة وحسن الذوق كما استوردوها من العراق [٥] ، واستعمل الاغنياء في بيوتهم الاسرة والكراسي للتعبير عن غناهم ، وكانت قريش ليس احب اليها من السرير تنام عليه ، فلما قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المدينة (يثرب) ونزل منزل ابي ايوب الانصاري قال عليه السلام " يا ابا ايوب اما لكم سرير قال لا والله فبلغ اسعد بن زراره ذلك ، فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسرير له عمود فكان ينام عليه " [٦] . وكانت قريش تفرش ارض سيد القبيلة وذوي اليسار من الناس ، وكذلك غرف بيوتهم بالفرش كالبسط وتوضع الوسد في صدر

---

[١] ينظر: سورة الكهف ١٨ ، الآية ٣١ ؛ سورة سبأ ٣٤، الآية ١٣ ؛ سورة الغاشية ٨٨، الآية ١٢ ، ١٦ ؛ الزخرف ٤٣ ، الآية ٣٤ .

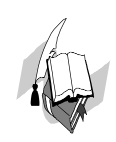
[٢] سورة الكهف ١٨ ، الاية ٣١ .

[٣] سورة سبأ ٣٤، الآية ١٣ .

[٤] ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٥٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢/ ٤٣ مادة (برم) .

[٥] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ٢٤ .

[٦] البلاذري ، انساب ، ١/ ٥٢٥ .



المجلس ليتكيء عليها الجالسون وليتوسدوها عند النوم ، ويعد تقديم الوسادة الى الضيوف من امارات التكريم والتقديس لمن قدمت اليه [١] وستروا بيوتهم بالابواب ، واول من بوب في مكة حاطب بن ابي بلتعة ولما شرعوا يصنعون لبعض الدور ابواباً كانوا يقصرون ذلك على بعض غرفها ويتركون مداخلها مشرعة على عرصاتها دون ابواب [٢]، ويروى ان " هند بنت سهيل ، استأذنت الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ان تجعل على دارها بابين ، ابى وقال لها انما تريدون ان تغلقوا دوركم دون الحجاج ، قالت : والله ما اريد الا ان احفظ على الحجاج متاعهم فاغلقها عليهم من اللصوص فأذن لها فبوبتها" [٣].

ب. **الحياة اليومية**

لم يشغل العمل المجتمع الحجازي عن الترفيه والتسلية ، فقد مارسوه بوسائلهم وامكانياتهم المحدودة ، فقد عرف قبل الاسلام لوناً من الوان الترويح عن النفس والترفيه عنها في مواطن الكلأ والاماكن الجميلة من البادية في ايام الربيع حيث تظهر الازهار البرية ، وكان اهل يثرب يخرجون الى العقيق متنزههم للتسلية [٤]. اما اهل مكة فانهم اعتادوا الخروج لقتل الوقت والترفيه في متنزهاتهم حديقة الاقحوان التي تقع قرب بركة ماجن اسفل مكة ، ولهم مجلس (دكة) في المحصب يجتمعون فيها للسمر والتسلية مرتدين الملابس الملونة و مطيبة ومستمتعين باصوات القيان والدفوف والطبول يقول الحارث بن خالد :

من ذا يسأل عنا اين منزلنا   فالاقحوانه منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفواً مايكدره   طعن الوشاة ولاينبو بنا الزمن [٥]

ومن متنزهاتهم شعب خم وهو يتصل بالمسفلة ، وكان لهم في المحصب دكة يجتمعون فيها وكانت تشرف على نخيل باسق وبساتين تحتضنها شعاب الوادي

---

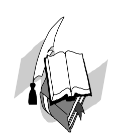
[١] الزبيدي ، تاج ، ٢/ ٥٣٤ مادة (وسد) ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٣٠ .

[٢] احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٢٧ .

[٣] احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٢٧ .

[٤] جواد علي ، المفصل ، ٥/ ٤٦ .

[٥] الازرقي ، اخبار مكة ، ص٢٢٥ ومابعدها ؛ احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٣٢ .



الممتدة الى منى [١] ، وكان للعرب في تلك الحقبة مجالس واندية يغشاها الرجال والنساء يتناشدون فيها الاشعار ويتبادلون الاخبار ، فكان منهم من يستدعي اليه في مجلسه اصحاب المجون [٢] ، والفكاهات للترفيه عنهم ، ويذكر ان المتمكنين من اهل عرب قبل الاسلام يستعملون (الكلل) للتخلص من البعوض على سرير المنام وينامون تحتها [٣]، وكان في جملة ما ابتكره العرب قبل الاسلام لقضاء الوقت (الاغلوطات) *وهي صعاب المسائل ، فيطرح سؤالاً صعباً على الحاضرين ويطلب منه حله ، وورد في امثال العرب (اهون من دحندح) ، وهي لعبة من لعب الصبيان ، يجتمع فيها الصبيان فيقولونها فمن اخطأها قام على رجله وحجل على احدى رجليه سبع مرات [٤] ، وليس في طبع العربي ميل الى المزاح ، اذ يراه منقصة بحق الرجل واسفافاً يعرضه الى التهكم والازدراء به [٥] ، وكان من وسائل التلطيف من شدة الحر رش الارض بالماء [٦]، وعبر عن اللعب واللهو بـ(الديدن) وهو الضرب بالاصابع في اللعب وان الديديون اللهو واللعب [٧]، قال الاعشى :

اترحل من ليلىولما تزود   وكنت كمن قضى اللبانة من دد [٨]

ومارسوا العاب رياضية للتسلية المفيدة مثل المصارعة ، فقد كان ركانه بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب شاباً قوي البنية "اشد قريش بطشاً " [٩] ، فكان يمارس العاب القوة هذه وقد صارع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن النبي

---

[١] احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٣٣ .

[٢] الماجن : الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ، والمجن خلط الجد بالهزل . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ٤/ ١٦ ، ١٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٤٠١ مادة (مجن).

[٣] جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٤١ .

* الاغلوطات : ان تعيأ بالشيء فلا تعرف وجه الصواب منه . ابن منظور ، لسان العرب ، ٧/ ٦٦٣ مادة (غلط) .

[٤] الميداني ، مجمع الامثال ، ٣/ ٥٠٦ .

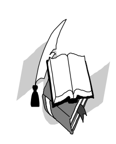
[٥] المزح : الدعاية او المزح نقيض الجد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢/ ٥٩٣ مادة (فرح) .

[٦] ابن سيدة ، المخصص ، ٤ / ١٩ ؛ الزبيدى ، تاج ، ٤/ ٣١٢ مادة (رش).

[٧] ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ١٥١ مادة (ددن) .

[٨] شرح ديوان الاعشى ، ص٤٧ .

[٩] السدوسي ، مؤرج بن عمر (ت١٩٥هـ) ، حذف من نسب قريش ، نشره : الدكتور صلاح الدين المنجد ، (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص٢٥ .



صرعه وتغلب عليه رغم انه لم يغلب قط ولذلك اسلم وامن بعدها ولاسيما بعد ان حقق له معجزات اخرى [١]. وروي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله " علموا اولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ... وخير الخلق للمرأة الغزل " [٢] ، واذا تمعنا في قول عمر رضى الله عنه وهذا الاسلوب التربوي ، عرفنا انهم اعتادوا الرماية ودربوا بها في سلمهم وحربهم وكذلك ركوب الخيل ، ومارسوا القنص والصيد واشتهر بذلك الحمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه " كان اعز قريش واشدها شكيمة وقد اعتاد فور عودته من الصيد ، ان يطوف بالكعبة ثم يمر على نوادي قريش للتسليم عليهم " [٣] .

فضلاً عن السباحة ومزاولتها في البرك المتناثرة حول مكة وفي الطائف ويثرب كرياضة ممتازة للتسلية ، وكانت لهم العاب اخرى بقصد التسلية والترفيه فقد لعبوا الكرك ومارسه المكيون قبل الاسلام وبعده ، ومارس الاطفال الالعاب التي تتناسب مع سنهم ، وقد ذكر ان صبياناً كانوا يلعبون ليلاً [٤]. ومن العاب الغلمان (الحكه) وهي لعبة يأخذون عظماً فيحكونه حتى يبض ثم يرمونه بعيداً فمن اخذه فهو الغالب [٥]، ومن العاب الصبيان البوصاء لعبة يلعب بها الصبيان يأخذون عوداً في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم [٦] ، والارجوحة : خشبة يوضع وسطها على تل ثم يجلس غلام على احد طرفيها وغلام آخر فتترجح الخشبة بهما ويتحركان فيميل احدها بالآخر [٧] ، ومن العابهم ايضاً لعبة تسمى (الانبوثة) يحفر الصبيان حفيراً ويدفنون فيه شيئاً ، فمن استخرجه فقد غلب [٨]، ولعبة (عظم الوضاح) ان تأخذ بالليل عظماً ابيضاً فيرمونه في ظلمة الليل ثم يتفرقون في طلبه فمن وجده فله القمر

---

[١] ابن حبيب ، المنمق ، ص ١٧٤ . ١٧٥ .

[٢] المبرد ، الكامل ، ١/ ١٥٥ .

[٣] ابن حبيب ، المنمق ، ص ٤٢٢ . ٤٢٣ .

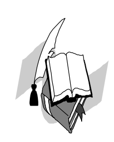
[٤] ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٢١ .

[٥] الزبيدي ، تاج ، ٧/ ١٢٢ مادة (حك) .

[٦] ابن سيدة ، المخصص ، ٤ / ١٧ .

[٧] ابن سيدة ، المخصص ، ١٢٠/١ .

[٨] ابن سيدة ، المخصص ، ٤ / ١٧ . ١٨ .



، وذكر ان من وجده يركب الفريق الاخر من الموضع الذي وجدوه فيه الى الموضع الذي رموا به ، ويذكر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعب وهو صغير بعظم وضاح [١]. ومن العاب الصبيان (الطبن) وهو خط مستدير يلاعب به الصبيان [٢]، والشعارير وهي من لعب الصبيان [٣]. ومن الالعاب الاخرى (البُقيري) ان يجمع يديه على التراب في الارض الى اسفله ثم يقول لصاحبه : اشته في نفسك فيصيب ويخطيء ، وذكر انهم يأتون الى موضع قد خبيء لهم فيه شيء فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه [٤]. ومن العابهم (الخطرة) وهو ان يعملوا مخراقاً ثم يرمي به واحد منهم من خلفه الى الفريق الآخر فان عجزوا عن اخذه رموا به اليهم فان اخذوه ركبوهم [٥]، و(الشحمة) ان يمضي واحد من الفريقين بغلام فيتنحون ناحية ثم يقبلون ويستقبلهم الاخرون ، فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ويدفع الغلام اليهم ، وان لم يمنعوه ركبوهم وهذا كله يكون في ليالي الصيف [٦]، وهناك العاب اخرى مارسها العرب قبل الاسلام وعرفت بالقوة والشدة ومن هذه الالعاب(الربع) وهي رفع الحجر باليد امتحاناً للقوة ، وقد مر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوم يربعون حجراً فقال ما هذا فقالوا هذا الاشداء [٧] .

وقد تباينت الاراء بشأن الميسر ، فمنهم من كان يلعب الميسر ليس ابتغاء الكسب ، وانما كان يلعبه للتسلية والترفيه ولمساعدة الآخرين ، وذلك باعطائه ما يكسبه للمحتاجين والفقراء فعدوه مفخرة لانهم كانوا يفعلونه في ايام الشدة وايام الشتاء [٨] ، فضلاً عن مجالس الخمر وقد مر ذكرها في موضع سابق . اما الحياة الليلية فكانت حياة هادئة على وتيرة واحدة ، يأوى الناس الى بيوتهم مع غروب الشمس ،

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ٦/ ١٤٥ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥ / ١٢٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٦٣ مادة (طبن) ؛ الزبيدي ، تاج ، ٢٦٧/٩ مادة (طبن) .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤/ ٤١٦ مادة (شعر) ؛ الزبيدي ، تاج ، ٣ / ٣٠٥ مادة (شعر) .

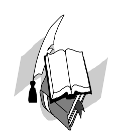
(٤) الجاحظ ، الحيوان ، ٦ / ١٤٥ .

(٥) الجاحظ ، الحيوان ، ٦ / ١٤٥ .

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، ٦ / ١٤٦ .

(٧) الزبيدي ، تاج ، ٥ / ٣٣٨ مادة (ربع) .

(٨) الالوسي ، بلوغ ، ٣/ ٥٤ ومابعدها .



اما وجهاء القوم فقد كانوا يتسامرون في بيوتهم وفي مضاربهم ، وذلك بان يأتوا الاصدقاء فيتحدثون معهم ويتذاكرون الايام الماضية ثم يعودون الى بيوتهم ويكون السحر في الليل خاصة ، والسحر الظلمة ثم اطلق السحر عامة في الليل والنهار ، فضلاً عن ان المتكلمين هم من الناس البلغاء ، ومن تلك القصص قصص ايام الابطال والشجعان (١) ، ثم يأتي الصباح وكان العربي عند نهوضه في الصباح يحيي اهله بتحية الصباح بقوله (عم صباحاً) واذا كانوا جماعة يقول (عمّوا صباحاً)، ثم يتناولون الصبوح وكانوا يحيون الجلوس من النوم صباحاً لاعتقادهم بانه انشط للجسم ، زد على ذلك فان غاراتهم تكون صباحاً ويسمون الغارة يوم الصباح لكن اكثرهم كانوا ينامون في الصباح أي نوم الغداة ولا ينهضون الا متأخرين لاكراههم على النهوض (٢). وكان العرب يتصافحون باليدين ، وقد يتعانقون اذا جاءوا من سفر او من فراق (٣) .

تاسعاً :النظافة

اهتم العرب قبل الاسلام بالنظافة ، فقد اهتموا بنظافتهم الشخصية من غسل اعضائهم بما يشبه الوضوء من مضمضة واستنشاق وسواك وقص الشارب (٤)، وقد عرف العرب الصابون للنظافة اليومية والذي عمله سليمان عليه السلام وقد قام السدر في الحجاز مقام الصابون في الاغتسال فكانوا اذا ارادوا تنظيف اجسامهم استعملوا ورق السدر مع الماء فيخرج رغاء ابيض وذلك بعد طحن الورق او دقه ، وقد جرت العادة بغسل الميت فيه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " خمس من الفطرة والاستمداد والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظافر "

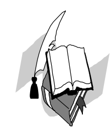
---

(١) الزبيدي ، تاج ، ١٢ / ٧٣ مادة (سمر) ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٣٤ .

(٢) الزبيدي ، تاج ، ٢/ ١٧٥ مادة (صبح) . ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، ادب الكاتب ، ص٩٦ ؛ الالوسي ، بلوغ ، ٢ / ١٩٢ .

(٣) الزبيدي ، تاج ، ٢/ ١٨١ مادة(صفح) .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٩ .



[1]، ان هذا الاهتمام بالنظافة البدنية الدورية دليل على عناية العرب قبل الاسلام بالنظافة اليومية .

أ. **مواضع قضاء الحاجة**

لم تكن هناك مواضع لقضاء الحاجة في البيوت سواء في مكة او يثرب او الطائف ، التي كانت العرب تسميها (الاكناف) [2] ، بل كان الناس يقضون حاجتهم في مواضع خارج البيوت ، فيدخلون الخلاء وهو موضع قضاء الحاجة ، وقد يكون ستراً وقد تكون غرفة ويستنجي بالماء او الحجارة [3]. لاسيما النساء اللواتي يخرجن الى هذه المواضع ليلاً ، وكانت العرب في البداية تأنف من اتخاذ الاكناف في بيوتها وكانوا يحسبونها من عادات العجم ، وكان في يثرب مناصع لكل قبيلة ، وبعد ذلك اتخذ اهل المدينة (يثرب) الاكناف قرب بيوتهم ، وقد كان موضع الكنيف الخاص ببيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف حجرة عائشة رضى الله عنها [4]. واخذت الروايات تذكر صراحة اسم الاكناف باسم الخلاء ، فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " اذا اراد البراز انطلق حتى لايراه احد " [5]، ويروي الجاحظ [6] "ان العرب اذا ارادوا قضاء الحاجة تستر بنجوه[7]،وقالوا ذهب الى المخرج والى الخلاء والى الحش،وانما الحش القطعة من النخل ، وهي الحشان وكانوا في المدينة(يثرب) اذا ارادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل لان ذلك استر فسموا المتوظأ الحشن وان كان بعيداً من النخل" ، واذا ارادوا التبول انطلقوا الى موضع يتوارون عن

---

[1] الشوكاني ، نيل الاوطار ، ٢/ ١٣٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ٣٦ .

[2] الكنيف : الخلاء وكله راجع الى الستر وكل ماستر من بناء او حظيرة فهو كنيف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٩/ ٣١٠ مادة (كنيف) .

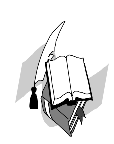
[3] الزبيدي ، تاج ، ١٠ / ١٢٠ مادة (خلا) . ومن اسماء الغائط الخلاء والمذهب والمرحاض والمرفق . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، ١ / ٦٠ .

[4] السمهودي ، وفاء الوفا ، ٢ / ٤٦٦ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ١٦ / ٤٠٨ .

[5] الشوكاني ، نيل الاوطار ، ١ / ٩٣ ؛ الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص ٢٨٥ .

[6] الحيوان ، ١ / ٣٣١ .

[7] النجو : مايخرج من البطن من ريح او غائط وقيل الغدرة نفسها واستنجى مسح النجو او غسله . ينظر : الزبيدي ، تاج ، ١٠ / ٣٥٨ مادة (نجو) . ويذكر الجاحظ في هذا المعنى : ما ارتفع من الارض . الحيوان ، ١/ ٣٣١ .



اصحابهم بعض الشيء واكثر ما يبولون قعوداً ، ويرى العرب ان مابين السرة والركبة من الرجل عورة لذلك يجب ستره ، والعورة السوأة من الرجل والمرأة [1] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاّعنان يارسول الله ؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس ، وفي ظلهم " [2] ، ويذكر ان بيوت مكة في نظافتها خير من سائر بيوت جزيرة العرب غير ان نظام(المراحيض) لايتبع النظام الصحي [3].

ب. **الحمامات**

لقد تضاربت الروايات حول وجود الحمامات واستخدامها من العرب فقد ذهب اللغويون الى الرأي الاول القائل بان العرب من اهل القرى والمدن قد عرفوا الحمامات ولها مساخن تسخن لهم الماء ليغتسلوا بها وكانوا يستعملون النورة في الحمامات لازالة الشعر واذا خرج احدهم من الحمام قيل له طابت حمتك وذكر ان من اسماء الحمام (الديماس) [4]، قال اعرابي لابنه وكان قد دخل الحمام فاحرقته النورة :

لعمري لقد حذرت قوطاً وجاره ولاينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتما عن نوره احرقتهما وحمام سوء ماؤه يتسعر
اجدكما لم تعلما ان جارنا ابا الحسل بالصحراء لا يتنور [5]

خصوصاً اذا ماعرفنا " ان اول من عمل الحمام سليمان عليه السلام وعملوا له النوره لازالة شعر كان على بلقيس حين تزوجها " [6]، ومهما يكن من امر هذه الروايات ، يبدو لنا ان الحمامات كانت موجودة فعلاً ،ولكن ليس بالمعنى المعروف او بتسميات اخرى ، واستناداً الى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "ستفتح لكم ارض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا

---

[1] الزبيدي ، تاج ٣/ ٤٢٩ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٥ / ٣٣ .

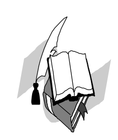
[2] الشوكاني ، نيل الاوطار ، ١ / ١٠٣ .

[3] حافظ وهبه ، جزيرة العرب ، ص ٣٤ .

[4] الزبيدي ، تاج، ٨/ ٢٦٠ مادة (حم) ، ١٦ / ٨٩ مادة (دمس) .

[5] ديوان حماسة التبريزي ، ٢ / ٤٠٧ . ٤٠٨ .

[6] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١/ ٤٢٦ .



بالازار ،وامنعوا النساء الا مريضة او نفساء " [١] ،ومن خلال الروايات التي ذكرها البخاري وغيره يمكن القول ان اماكن الاغتسال كانت على نوعين :

١. **البيوت** : استناداً الى الرواية التي تخبرنا بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد رجوعه من غزوة الخندق الى المدينة (يثرب) دخل بيته وكان في المغتسل عندما جاءه جبريل يأمره بالذهاب الى يهود بني قريظة [٢].وكانت تستخدم المخاضب [٣] في الاستحمام ، وفي حديث ام سلمة " كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اناء واحد من الجنابة " [٤] ، وكان اهل يثرب يوفرون الماء لبيوتهم بواسطة الابار الخاصة بالبيوت كما مر سابقاً .

٢. الاستحمام في العيون والابار الموجودة سواء في مكة او يثرب او الطائف اذ يتم ذلك في فصل الصيف ، وقد اخترنا الروايات عن تعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السباحة عندما كان عمره ست سنين في بئر انس حينما زار اخواله بني النجار مع امه [٥]، وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" يتطهرون بالماء المسخن بالنار ويكرهون التطهر بالماء المشمس " [٦] ، ويذكر ان اهل مكة ويثرب يعنون بنظافة بيوتهم كما يعنون بنظافة ابدانهم وملابسهم اكثر من سواهم من سكان جزيرة العرب [٧].

---

[١] الشوكاني ، نيل الاوطار ، ١/ ٣٠٠ .

[٢] البخاري ، صحيح ، ٥/ ٤٩ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ١ / ٣٠٥ .

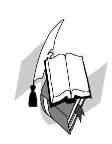
[٣] المخضب : هو كل ما يغسل فيه الثياب من الخشب او الحجارة وفي تور شبيه بالطست وهو اناء صفر وفيه انية نحاس . ينظر : ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ٣ / ٢٦٦ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، ١/ ٩٦ .

[٤] الشوكاني ، نيل الاوطار ، ١/ ٣٩ .

[٥] السهمودي ، وفاء الوفا ، ٣/ ٩٥١ . ٩٥٢ .

[٦] الكتاني ، التراتيب الادارية ، ١ / ٩٥ .

[٧] حافظ وهبة ، جزيرة العرب ، ص ٣٥ .



عاشراً : عقائد العرب الدينية وتأثيرها الاجتماعي

ان الانسان بوصفه كائناً اجتماعياً له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العيش ومن بين هذه الحاجات حاجته الى التدين ، فالدين ظاهرة متأصلة في الانسان منذ ان وجد على ظهر الارض لانه نظام اجتماعي يقوم بخدمة وظائف حيوية لها اهميتها للفرد وللمجتمع على حد سواء والعرف والقانون يعينها على اداء مهمتها في المجتمع . فللدين دور هام في عملية التماسك الاجتماعي والتآلف بين الافراد المكونين للمجتمع ، ذلك انه يوحد بين هؤلاء الافراد في القيم والاهداف والمعاني ، ويسوغ هذه القيم مما ينسق تفاعل الافراد ويدعوا الى التعاون بينهم فضلاً عن قيامه بتوحيد صفوفهم ، ونلمس ذلك واضحاً فيما فعله الاسلام في مجتمع الجزيرة العربية فقد الف بين قلوبهم ومكنهم من الانتشار والحاق الهزيمة باعدائهم ، لم يكن الدين عملاً فردياً او محاولة شخصية لاظهار الروح الانسانية ، بل هو عملية حية متبادلة بين الانسان والقوى فوق الطبيعة والاديان القديمة غالباً هي جماعية تتعلق بالقبيلة كلها فالاله هو للقبيلة يحميها ويشمل برعايته افرادها كافة، لقد عرف الدين بانه" الاعتقاد بكائنات غيبية ذات قوى مؤثرة والقيام بطقوس وعبادات لها " [١].

وقد كان لعرب ماقبل الاسلام على وفق هذا المفهوم العام للدين حياة دينية متنوعة تمتد جذورها الى حقب تاريخية قديمة وقد اتخذت صوراً واشكالاً مختلفة تبعاً لتطورهم الثقافي وطبيعة ظروف حياتهم الاقتصادية والاجتماعية .

لقد كانت دياناتهم قبل الاسلام متباينة مختلفة فكان غالبيتهم وثنين وهم الذين عبدوا الاصنام وحجوا البيت واعتمروا ومارسوا طقوس العبادة من احرام وطواف وسعي ووقفوا المواقف كلها [٢] .وحصل اصل الشرك من طريق التقرب الى الله بالتماثيل والاصنام، ثم تحولوا تدريجياً الى عبادة الاصنام نفسها وشبوا على تعظيم الكعبة [٣] ، كما في قوله تعالى " مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " [٤]، والادلة

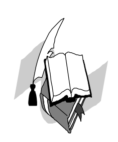
---

[١] صالح العلي ، محاضرات ، ص١٦٦ .

[٢] القلقشندي ، نهاية الارب ، ص٤٥٢ .

[٣] المسعودي ، مروج ، ٢ / ١٠٢ .

[٤] سورة الزمر ٣٩ ، الاية ٣ . ينظر : سورة لقمان٣١ ، الاية ٥٢ ؛ سورة الزخرف ٤٣، الاية ٩ ، ٨٨ .



على اثبات ذلك كثيرة ومتواتره في القرآن ، وقد ذكر القرآن الكريم اعترافهم باتخاذهم الاصنام واسطة وزلفى تقربهم الى الله ، غير انه لايوجد مصدراً اصدق واوثق من القرآن ، الذي حصر هذه الديانات في ملة ابراهيم عليه السلام ، والذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فضلاً عن القرآن الكريم فلدينا في الشعر العربي قبل الاسلام مايشير الى هذه العقائد المختلفة كانت تراود خواطر الشعراء وتمثل قسطاً من تفكيرهم الديني ، بحظوظ متفاوتة لكل عقيدة ولاسيما ان الشعراء حينذاك كانوا يعدون طائفة مميزة ، اذن فليس من المبالغة ان نقول نستطيع الاعتماد الاكبر على الشعر العربي قبل الاسلام ، ولهذه المميزات للشعر العربي التي تمدنا بحقيقة التفكير العربي قبل الاسلام ولاسيما التفكير الديني ، لقد عرفت مدن الحجاز في حقبة قبل الاسلام عدداً من الديانات والعقائد :

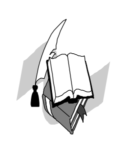
أ. **الوثنية والشرك :**

على الرغم من عدم توفر معلومات عن بداية ظهور الوثنية الا انها الديانة السائدة عند العرب قبل الاسلام ، كما اشار الى ذلك القرآن الكريم [(١)]، ويشير الباحثون الى ان هذه الديانة كانت في الاصل عبادة الكواكب " وان اسماء الاصنام والالهه وان تعددت وكثرت فانها ترجع كلها الى ثالوث سماوي هو : الشمس والقمر والزهرة ، وهو رمز لاسرة صغيرة تتألف من الاب هو القمر ، ومن ام وهي الشمس ، ومن ابن هو الزهرة وذهبوا الى ان اكثر اسماء الالهة هي في الواقع نعوت لها [(٢)]، ويلاحظ ثمة ارتباط بين عبادة هذه الاجرام ، وذلك ان الناس كانوا قد صنعوا الاصنام لتكون صورة او رمزاً يذكرهم بالاله الذي يعبدونه فاتخذوها اصناماً وبذلك مثلت الاصنام في نظرهم قوة عليا هي فوق الطبيعية ، واعتقد عابدوها انه قد حلت فيها روح الهتهم المقدسة [(٣)]، ومن ابرز الاصنام التي كان يعبدها غالب العرب عند ظهور الاسلام هي هبل واللات والعزى ومناة ، ويعد هبل من اعظم هذه الاصنام ،

[(١)] سورة الزخرف٤٣ ، الاية ١٥ ، ٢٨ .

[(٢)] جواد علي ، المفصل ، ٦/ ٥٠ .

[(٣)] جواد علي ، المفصل ، ٦/ ٦٨ . ٦٩ .



وقد لوحظ ان العرب يعتقدون ان هبل كان له علاقة بالرزق والاخصاب ، ويلاحظ ان القرآن الكريم قد اشار الى عبادة العرب اللات والعزى ومناة ، وسخر من اعتقادهم بان هذه الاصنام هي بنات الله فقال تعالى " افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، الكم الذكر وله الانثى " [١]. ولم تقتصر العرب على هذه الاصنام فقط ، بل اشارت المصادر الى عبادتهم لاصنام اخرى مثل أساف ونائلة ومطعم الطير ومناف وقزح ، فضلاً عن وجود اصنام اخرى كان يعبدها قوم نوح واستمرت عبادتها عند العرب وهي سواع ويغوث ويعوق ونسر [٢].

ان شيوع الوثنية في بلاد العرب قبل الاسلام ، التي قامت على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة كالارض والسماء والنجوم والكواكب ، ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها ، لذلك حرصوا على ارضائها اجتلاباً لخيرها فاتخذوا لها اشكالاً مختلفة في بيوت واشجار واحجار مصورة تمثل انساناً او حيواناً واخرى غير مصورة ، وصاروا ينظرون اليها على انها رمز للطبيعة ، ومن ثم اصبحت معبودات لهم ، كانوا يطوفون حولها ويتاجرون عندها ويعدون المكان الذي فيه المعبود حرماً يحرم الاتيان فيه باشياء معينة [٣]، ومن العرب من كان يعبد الاصنام ومنهم من كان يعبد الاوثان وهي الجماد والحجر وكانت خالية من الصنيعة والفن ويصف ابن الكلبي اهل مكة فيقول"كان لاهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا اراد احدهم السفر كان اخر ما يصنع في منزله ان يتمسح به،واذا قدم من سفره كان اول ما يصنع ان يتمسح به ايضاً " [٤]، ولم تكن الحيض من النساء تدنو من اصنامهم ولا تمسح به ، انما كانت تقف في ناحية منها [٥] وكانوا يسمون

---

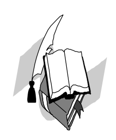
[١] سورة النجم ٥٣ ، الاية ١٩ . ٢١.

[٢] للمزيد من التفاصيل ينظر :محمد عبدالمعيد خان،الاساطير،ص١١٦ . ١٤٢؛ الملاح،الوسيط ، ص٤١٦ .

[٣] جمال سرور ، قيام الدولة العربية الاسلامية ، ص٤٨ .

[٤] الاصنام ، ص٣٣

[٥] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٣٢



ذبائح الغنم التي يذبحون عند اصنامهم وانصابهم تلك العتائر ، والمذبح الذي يذبحون فيه يسمى العتر [١] ، يقول زهير بن ابي سلمى :

فزل عنها واوفى رأس مرقبة　　　كمنصب العتر دمى راسه السك [٢]

وكانت هذه الالهه حاضرة في حروبهم يستلهمون منها النصر ففي احدى المعارك المهمة في حرب الفجار نصب اللات قبل المعركة خباء او بيت ليتخذ محلاً لالهه الطائف ، وكان مدار الخباء يمثل حد حرم منيع لايمكن خرقه فيظل ملاذاً آمناً للاجئين ، وحاولت ثقيف ان تجعل من وثنها منافساً للكعبة حتى انها اطلقت على الوثن اسم (الربة) [٣] .

اما مناة فقد كانت اقدم هذه الاوثان الثلاثة كما يذكرها ابن الكلبي ، وكانت العرب جميعاً ، لاسيما الاوس والخزرج وسكان يثرب (المدينة) يعظمون مناة ويذبحون ويهدون لها ، وكانوا يسمون (عبد مناة) و (زيد مناة)[٤] ، وكلمة مناة مشتقة من المنية فكانت الهة القضاء والقدر وهي بهذا الوصف تعد من اقدم مظاهر الحياة الدينية ، وظلت مناة قائمة حتى خرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة فاتحاً سنة ٨ هـ [٥] .

مما تقدم نجد ان العرب كانت تعتقد ان هذه الاصنام تجلب على عابديها الخير الوفير فتكون السبب في اطعامهم واروائهم ، فضلاً عن انها تتصف بقوة عظيمة فتحارب الى جانب اتباعهم وتقودهم الى النصرة في الحروب ، زد على ذلك انها تحمي الجوار وترعى الحمى ، ولكن لدينا شواهد اخرى على بعض الحوادث والتي دلت على استهانة بعض العرب او رفض احترامها وتقدسيها ، ومن هنا نجد ان العادات والتقاليد الاجتماعية عند بعض العرب قبل الاسلام ، قد تغلب على

---

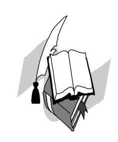
[١] العشيرة في كلام العرب الذبيحة ، الاصنام ، ص٣٤

[٢] شرح ديوان زهير ، ص٥٠

[٣] المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، امتاع الاسماع لما للرسول من ابناء والاموال والحفدة والمتاع ، صححه : محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة ، ١٩٤١) ، ص٤٩٠ ؛ علي ابراهيم ، التاريخ الاسلامي العام ، ص١٢٨

[٤] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص١٣

[٥] الالوسي ، بلوغ ، ١/ ١٤٦ .



اعتقادهم الديني ، فهم بحسب طبيعة حياتهم ، يغلبون مصالحهم واهواءهم على معتقداتهم اذا ماتعارضت معها ، ومما يؤكد ان التقاليد الاجتماعية عند بعض الاعراب ، قد تفوق ايمانهم بآلهتهم على الرغم من قوتها وسطوتها ، ما جاء عن صنم الفلس الذي كان له حمى لايستطيع لحد ان يعتدي عليه ، فطرد سادنه يوماً ناقة لامرأة ، كانت في جوار احد اشراف العرب ، وكان من عبدة الفلس وادخلها في حمى الصنم فاشتكت المرأة لهذا الشريف ، فركب جواده واسرع الى السادن " وقال له : خل سبيلها قال : اتخفر الهك ؟ فبوأ له الرمح ، فحل عقالها ، وانصرف بها الشريف " [١]فاقبل السادن على صنمه يستجير به ، ويحرضه على ذلك المعتدي الاثيم ، وانشد قائلاً :

يارب ان مالك بن كلثوم   اخفرك اليوم بنابٍ علكوم

وكنت قبل اليوم غير غشوم [٢]

اما الطفيل بن عمرو الدوسي فانه يذهب الى صنمه ذي الكفتين ويضرم فيه النار ، فلا يلبث ان يتحول الى رماد فيخاطبه قائلاً :

ياذا الكفين لست من عبادكا   ميلادنا اقدم من ميلادكا

اني حشوت النار في فؤادكما [٣]

واذا كان العرب قبل الاسلام قد اعتقدوا المنفعة في اوثانهم ، فانهم اعتقدوا الاذى ايضاً ، لذلك قدموا النذور والقرابين والهدايا طلباً لرضاها ، فالالهه باعتقادهم تستطيع صب جام غضبها وتلحق لعناتها بمن كانت تنصرهم ، اذا ما اخطؤوا في حقها اواعتدوا على حرمتها [٤]. ويروى ان امرأة رومية تدعى(زنيرة) كانت بمكة فاسلمت ثم عميت فقال المشركون اعمتها اللات والعزى وقالت قريش : ماذهب بصرها الا اللات والعزى [٥].

---

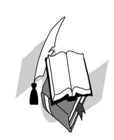
[١] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٥٩ . اسم هذا الشريف هو مالك بن كلثوم .

[٢] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٦١ . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ٩ / ٨٧ خبر امرؤ القيس واستقسامه لدى الصنم ذي الخلصة بعد مقتل ابيه .

[٣] ابن هشام ، السيرة ، ١/ ٣٨٥ ؛ ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٣٧ .

[٤] زيتوني ، عبدالغني ، الوثنية في الادب الجاهلي ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٧، ص١٣٩ .

[٥] ابن حجر ، الاصابة ، ٤ / ٣٠٥ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٦ / ١٨٣ .



ومهما يكن من امر الاصنام في الجزيرة العربية فقد كانت مكة قلبها النابض وتعج داخل حرمها بالاصنام ، واشتهرت ابان عصر ماقبل الاسلام بكثرة حفلاتها الدينية ولاسيما ايام الاعياد ، فتزدحم شوارعها بالمتفرجين وتسير مواكبها الدينية فتتابعه القطوف بحجارة الاحياء وفيها ترى جمالاً مترنحة حاملة القباب المتمايلة الفاقعة الالوان يقودها زعماء القوم ويسير وراءها على الجمال ايضاً نساء قريش وقد حللن الشعور وضربن الدفوف [١] ، وعلى الرغم مما تقدم ، الا ان العرب قبل الاسلام حافظوا على تعظيم البيت والطواف به والحج اليه واهداء البدن [٢].

ويبدو من جملة الطقوس الدينية التي مارسها العرب اتخاذهم طريقتين للتقرب الى الله او الاصنام : الاولى : تقديم القرابين الحيوانية بذبحها ، والثانية : وقف القرابين الحيوانية ايضا لالهة الصنم ، فتقرب ابراهيم الخليل عليه السلام بالخبز ثم امره الله بذبح العجل والعنز والكبش الذي افتدى به ابنه اسماعيل عليه السلام ، ثم تبع العرب سننه [٣]، وقدم العرب كل انواع القرابين وحتى البشرية منها ، فعبدالمطلب اراد ذبح ابنه عبدالله ، ثم فداه بمائة من الابل كما ذكرنا ، ومارس العرب طقوس متنوعة مصاحبة لذبح القرابين مثل الغناء والرقص وغير ذلك مما مارسه عرب شمال الجزيرة مثلاً [٤].

اما وقف الحيوان كما ورد في القرآن الكريم " ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لايعقلون " [٥]. ان هذه المعتقدات كلها ليس لها هدف ديني محض ، بل ان لها فائدة مادية

---

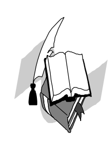
[١] علي ابراهيم ، التاريخ الاسلامي العام ، ص ١٣٢ .

[٢] الازرقي ، اخبار مكة ، ١ / ١١٦ .

[٣] البتنوني ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، (القاهرة ، ١٣٢٩هـ) ، ص ١٩٣ .

[٤] ابن هشام ، السيرة ، ١/ ١٥٤ ؛ ناصر الدين الاسد ، القيان والغناء ، ص١٤٦ .

[٥] سورة المائدة ٥، الاية ١٠٣ . البحيرة : وهي الناقة التي تشق اذنها عندما تولد في خامس بطن للناقة الام ولايجز وبرها ولايذكر اسم الله عليها وان ركبت ، وتخصص البانها للرجال فقط السائبة : هي التي يسيبها الرجل من ماله اذا بريء من مرض او نال مطلب تمناه ، لاتمس ، وتخصص للاضياف من الرجال فقط . الوصيلة : التي تؤخذ من النتاج السابع للشاة فاذا كان ذكراً ذبح وان كانت انثى تركت ولبن الانثى للرجال ايضاً دون النساء . الحام : وهو الفحل الذي يصير ولده جداً أي الذي يدرك احفاد اولاده فيترك ولايحمل عليه ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا مرعى . ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ١ / ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٨ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٣٠ .



تعود على اصحابها بالنفع من حيث تخصيص بعضها للضيوف ، وقد يكون للحام حالة انسانية يعطف من خلالها على الحيوان ، ان العرب قبل الاسلام كانوا يقدمون هذه القرابين اذا ارادوا ان يختنوا غلاماً او ينكحوا منكحاً او يدفنوا ميتاً او اذا شكوا في نسب احدهم او ارادوا سفراً او تجارة او استخارة في نازلة او خلاف او مقصد ذهبوا الى هبل وكان صنماً في جوف الكعبة (١).

وتتداخلت مع عبادة الاصنام بعض المعتقدات الاجتماعية التي تدخل ضمن الجانب الغيبي اذ كان لهذه المعتقدات بعض الاثار الاجتماعية في حياة العرب قبل الاسلام من قبيل الضرب بالقداح او الاستقسام عندها او التحكيم لديها ، فكانت في جوف الكعبة عند هبل سبعة اقداح مكتوب في اولها (صريح) والاخر (ملصق) فاذا شكوا في مولود ، اهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فاذا خرج (صريح) الحقوه ، وان خرج ملصق منعوه (٢). وعلى الرغم من الاهمية التي يعقدها العرب في مسألة الاستقسام والقداح عند الاصنام ، الا انه لم يعقد عليها ذلك الالتزام فسرعان مايثور عليها اذا لم تلّبِ رغبته في بعض الاموال كما مر ذلك سابقاً ، واذا كانت الالهة اقدر من البشر كان من اللازم التودد اليها بشتى الطرق المعبرة عن معاني التقرب والتحبب والتعظيم لتمن عليه بالبركة والسعد وكل خير يشتهيه ، واهم مايقرب الانسان الى الالهة النذور والقرابين والمنح والعطايا ومنها الذبائح وهناك مواضع معينة هي خزائن تتجمع فيها النذور والهبات من ذهب وفضة ، وكانوا يعلقون السيوف والملابس الثمينة على الاصنام تقرباً اليها ووفاء بنذور نذورها لها،يضاف الى ذلك المأكل والمشرب لاعتقادهم انها تسر الالهه وتفرحها (٣).

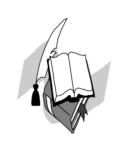
وبالنظر لمكانة الالهة في نفوس العرب فقد اقاموا لها البيوت المقدسة ويبدو ان نظرة العرب الى بيوت الالهة ترتبط بنظرتهم الاجتماعية من خلال الاهتمام في بنائها للبيوت وزخرفتها وحسن مظهرها والتنظيم ، لان المعبد الضخم يدل على قوة

---

(١) ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٦٠ . ١٦١ ؛ محمد عزة دروة ، عصر النبي ، ص٣٣٤ .

(٢) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٢٨ .

(٣) يوسف ، شريف ، الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد / ٢٩ ، لسنة ١٩٧٨ ، ص١٩٣ .



الاله فينظر الناس اليه بعين الاجلال ، فضلاً عن عدم بناء بيوتهم بجوارها ولا يرفعونه على البيوت المقدسة ، ويتحاشون التربيع لكيلا يشبهها [١]. وكانوا يعدون طهارة الملابس وطهارة الجسم من الامور اللازمة لمن يريد الدخول للمعبد وبخلافه يعد نجساً وآثماً ، وكان خلع الخف او النعل من المراسيم المهمة التي تؤخذ بالحسبان عند دخول البيوت المقدسة تعظيماً لها [٢].

خلاصة قولنا لم يكن للعربي الوثني حظ وافر من امور الدين كما تقدم ، فضلاً عن الشعر العربي قبل الاسلام ، فقد كان عديم التنبه للدوافع الروحية بل كان قليل الاكتراث بالدين ، وكان في ممارسته لبعض الطقوس الدينية انما ينساق بقوة الاستمرار ويجري امتثالاً لاحكام العرف والتقليد ، ولم نسمع عن حدوث حروب بين القبائل بعضها مع بعض بسبب الدين مع كثرة هذه الحروب [٣]، فالعربي لايميل الى امور معقدة فهو لايذهب الى التفكير فيما بعد الطبيعة بل يستفيد من كل شيء سهل الحصول لديه [٤]فكان التنقل من اله الى اله ومن دين الى دين شائعاً بين العرب وكان يحدث بين الافراد ويحدث بين القبائل اذ ترفض القبيلة برمتها ديناً لتختار ديناً غيره ، وهذه من امارات الخلط والتخبط بالعقيدة وفي التفكير الديني ، ومن اجلى مظاهر ضعف العاطفة عند الوثنين العرب انهم لم يكونوا على امر جامع من عقائدهم ، اذا ما استثنينا الحج ، وليست لاصنامهم فاعلة تسيطر على عقائدهم بل كانت وثنيتهم ساذجة لاتتجاوز تقليد الاباء كما في قوله تعالى " انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون " [٥].

وكانت مقاليد الوثنية العربية بايدي الكهنة والعرافين فكان العرب يعتقدون في الكاهن،انه قديسهم الديني وقدوتهم الصالحة وعالمهم الحكيم، فضلاً عن ما كان للكهانة من دور في رسم صورة تاريخية واجتماعية والى ذلك كان الكهنة يقومون

---

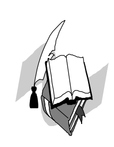
[١] ابن هشام ، السيرة ، ٢/ ٤٠٦ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٦/ ٤٠٤ .

[٢] ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ١٤٧ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٢١ .

[٣] فيليب حتى ، تاريخ العرب مطول ، ١/ ١٣٣ .

[٤] محمد عبدالمعيد ، الاساطير العربية ، ص٢٧ .

[٥] سورة الزخرف ٤٣، الاية ٢٢ .



بدور التحكيم في حل بعض المنازعات ، ومن قبيل ذلك مفاخرة امية بن عبد شمس وهاشم بن عبد مناف على خمسين ناقة،وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي (١).

ومقابل تلك المكانة التي كان يمثلها الكاهن ، الا انه في مواقف معينة موضع تهكم الشعراء ، بل ادى بعضهم الى ان يلقي حتفه بنفسه ، ومن هذا القبيل تهكم قبيصة بن ضرار الضبي احد الكهان وهو ضميرة بن لبيد الحماسي الكاهن الذي خر صريعاً بطعنة من رمح قبيصة بن ضرار الضبي فقال له الاخير : الا اخبرك تابعك بمصرعك اليوم (٢) وللكهانه علاقة وثيقة بالعرافة ، وان هناك صنف من الكهنة يقوم بالتنبوء لمعرفة ماسيحدث في المستقبل (٣) ، لقد تعبدت قريش جميع اصنام القبائل العربية ، ونعتقد ان السبب وراء ذلك كان بدافع ترغيب الاعراب في تقديس اصنامها ولتشجيعهم على زيارة الكعبة وبذلك يتحقق استمرار مصالح قريش المادية وتجارتها واكتساب المكانة الروحية والاجتماعية للهيمنة على جميع العرب دينياً ، وعلى الرغم من تفوق يثرب والطائف جغرافياً ، ولكن وجود البيت الحرام وفر لاهل مكة الكثير من الامتيازات الاجتماعية والدينية وهذا بدوره انعكس على وحدة المجتمع المكي وظهور الاستقرار الداخلي وانتشار الامن والهدوء ، لقد التقى اهل مكة على مفهوم ديني موحد هو سدانة الكعبة .

ب. **الحنيفية :**

على ان ذكر الله كان امراً شائعاً قبل الاسلام ، ولانكاد نظفر بشاعر منهم لم يذكره في شعره على حين قل ذكرهم للاصنام ، يقول الاعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا (٤)

وروى لعبيد بن الابرص :

من يسل الناس يحرمه وسائل الله لايخيب (٥)

---

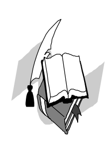
(١) المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين امية وبني هاشم ، ص٨ .

(٢) القالي ، الامالي ، ٢/ ٧٨ .

(٣) الدباغ ، تقي ، الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٩٢) ، ص ٣٥ .

(٤) شرح ديوان الاعشى ، ص١٧٠ .

(٥) شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص٢٦ .



وقول زهير بن ابي سلمى :

فلا تكتمن الله مافي نفوسكم ليخفي ومهما يكتم الله يعلم[١]

والحنيفية من كان على دين ابراهيم عليه السلام وكان العرب قبل الاسلام يقال " من اختتن وحج البيت حنيف لان العرب لم تتمسك بشي من دين ابراهيم غير الختان وحج البيت" [٢].ويذكر الزجاجي الحنيف في الجاهلية (قبل الاسلام) من كان يحج البيت ويغتسل الجنابة ويختتن،فلما جاء الاسلام كان الحنيف المسلم [٣] اما ابو عبيدة فيذكر " ان الحنيفية عند العرب حج البيت وبعض مسائل الفطرة " [٤] .

ان المتأمل لما ورد في الشعر العربي قبل الاسلام ويتعمقه يجد ان مفهوم (الله) عند العربي كان يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الصنم ، واذا عدنا الى الاذهان ان التوحيد في جزيرة العرب اقدم بكثير من الوثنية وظل معروفاً فيها .

لم يقم الفكر الديني عند العرب قبل الاسلام على اساس الايمان بالمبادىء الوثنية وانما كان بجانب ذلك اعتقاد قوي بالله عز وجل ووجد له سنداً قوياً بما قدمته الديانتان اليهودية والمسيحية ، فضلاً عن البقايا التوحيدية القديمة كالديانة الابراهيمية الحنيفية [٥] ، وقد مارس الوثنيون طقوس دين ابراهيم عليه السلام مع شركهم ، وعظموا الاشهر الحرام وانكروا الفواحش وعاقبوا على الجرائم ، ومن انواع عبادة التوحيد قبل الاسلام التحنث وهو التقرب والانقطاع الى الله وممن تحنث الى الله عبد المطلب بن هاشم ثم ورقة بن نوفل ، وتحنث البعض الاخرة الباالله بطريقة اخرى مثل حكيم بن حزام الذي تحنث بواسطة صلة الرحم والتصدق [٦] ، ان العقلية العربية لم

---

[١] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص٨١ .

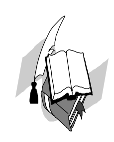
[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٧/٩–٥٨ مادة (صنف) .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ،٥٧/٩–٥٨ مادة (صنف) .

[٤] وسائل الفطرة عشرة (واذا ابتلى ابراهيم ربه كلمات فاتمهن) خمس في الرأس وخمس في الجسد فاما في الراس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك ، واما التي في الجسد فاالاستنجاء وتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانه والختان) . ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٢٩ .

[٥] ينظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٦٦.

[٦] جواد علي ، المفصل ٣٤٣/٦ .



تفهم او عاجزة عن فهم الاله الواحد فهم لم يعرفوا معنى التوحيد من اساسه ، ان طبيعة البلاد العربية لم تدع الى نشوء فكرة التوحيد ، وان وحدانية اليهود والنصارى لم تكن اكثر من وثنية العرب ، فالعرب لم يتأثروا باليهودية والمسيحية في فكرة التوحيد بل تأثروا بفلسفتهم الوثنية الى حد ما ، فنرى ان الاسلام لم يتطور من درجة الى درجة بل نشأ مستقلاً بذاته فان الاسلام رب العالمين وليس رب قريش فقط [١] وهذا اوس بن حجر يقسم بلله ويقسم بالاوثان على الرغم من ايمانه بالله قائلاً :

وباللات والعزى ومن دان دينها   وبالله ان الله منهن اكبر [٢]

وعلى الرغم من ان اهل الحجاز كغيرهم من العرب قد استبدلوا بدين ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ديناً غيره ، الا انه كان لايزال فيهم بقايا ملة ابراهيم ويتنسكون بها " من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واقراء الضيف وتعظيم الاشهر الحرم وانكار الفواحش والتقاطع والتظالم مع ادخالهم في ذلك ما ليس فيه " [٣] .

خلاصة القول ان ظهور الحنيفية والعودة بها الى دين ابراهيم عليه السلام جاءت هذه الحركة الاصلاحية نتيجة سوء احوالهم الدينية ، فجرت المحاولة للارتقاء من الوثنية الى اعتقادات أرقى والتخلص من عادات قبل الاسلام،ان فكرة نبذ عبادة الاوثان والتخلص من العادات السيئة قبل الاسلام والرقي بالعقيدة والسمو بالانسانية،هي حلقة في سلسلة التطور الديني والفكري في تاريخ العرب [٤].

ولم تكن للعقيدة الدينية الوثنية اثر كبير في النفسية العربية قبل الاسلام ، لان نفوس هؤلاء ذات طبيعة قاسية مستقلة ، ولعل العرب لم يشعروا بالعاطفة الدينية الابعد ذهاب الشباب وحلول المشيب [٥]، ان عبدة الاوثان لم يكن عندهم وازع ديني ، والمقيمون في مكة كانوا اكثر العرب اكتراثاً للدين ، لانه كان يرد عليهم ارزاقاً ، ولانهم مقيمون بجوار الكعبة على مرأى ومسمع من الاصنام والسدنة والكهنة ،

---

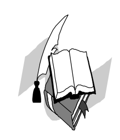
[١] محمد عبد المعيد خان ، الاساطير العربية ، ص١٤٨

[٢] شرح ديوان اوس بن حجر ، ص٣٦

[٣] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٦ . الازرقي ، اخبار مكة ١١٦/١

[٤] الخربوطلي،علي حسين ، الحنيفية والحنفاء منذ عهد ابراهيم حتى ظهور الاسلام(القاهرة – ١٩٧٣) ، ص٣٩

[٥] محمد صالح سمك ، امير الشعر العربي في العصر القديم ص١٣٣



وتجاراتهم انما تدور حول موسم الحج والاعياد التي تسبقه وتلحقه ، والاسواق التي تصحبه او تعقبه [1]

ج . **الحج**

يعد الحج من اهم تقاليد العرب الدينية قبل الاسلام بامد طويل اذ كان لتقاليده علاقة قوية واثر كبير في حياتهم الاجتماعية وكان شاملاً لجميع العرب على اختلاف عقائدهم وعباداتهم وبيئاتهم[2]. ولمكانة الحرم في نفوس العرب قبل الاسلام فانهم كانوا يضعون له حدوداً تشير الى نهايته ومن يدخل هذه الحدود يصبح آمناً ، ويعد الاعتداء في الحرم نوعاً من الكفر والفجور ولذلك نجد العرب قد ارخت بعام الغدر بسبب ماحدث فيه من اعتداء داخل الحرم[3] ، وصانت قريش حرمة الكعبة والحرم ، فلم تسمح قريش لعابث ان يمسها بشيء ، فيروى ان احد الاطفال قد هتك ستار الكعبة في اثناء لعبه ، فقام اليه عبد شمس بنفسه وامسك به صائحاً في قريش كلها يؤنبها على فعلة هذا الطفل ، فاشار عليهم هاشم بقطع يد الصبي اذا كان بالغاً الحلم والا يكتفي بضربة فضرب الصبي على فعلته هذه ضرباً شديداً [4] ، ولشدة اجلال العرب واعزازهم للبيت العتيق وارض الحرم كان الرجل منهم يلقي قاتل ابيه او احد ذويه في ارض الحرم او في الشهر الحرام ولا يعترضه بشر[5] ، وكانوا لايدخلون الكعبة باحذيتهم وقد سن لهم الوليد بن المغيرة خلعها ، وبلغ من تقديس الكعبة ان الحوائض من نساء العرب قبل الاسلام لايدنين من الكعبة ولايمسحن باصنامها بل يقفن بعيداً عنها[6] ، ويعد موسم الحج من اكبر المحافل الاجتماعية في مكة ، فضلاً عن وظيفته الدينية حيث يفد اليها اعداد كبيرة من العرب وغيرهم ، لغرض اداء طقوس الحج وممارسة النشاط الاقتصادي من طريق التجارة والتكسب في اسواق مكة المرتبطة بموسم الحج ولاشك ان الاعداد الكبيرة من الحجاج الذين

---

[1] محمد صالح سمك ، امير الشعر العربي في العصر القديم ، ص١٣٣ .

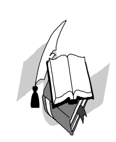
[2] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٧٢.

[3] الازرقي ، اخبار مكة ، ٢/ ١٣٨ ؛ جواد علي ، المفصل ، ٦ / ٤١٤.

[4] الازرقي ، اخبار مكة ، ٢/ ١٤٦.

[5] الفاسي ، شفاء الغرام ، ١/ ٧٢.

[6] احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص ٣٦.



يفدون الى مكة كانت لبعضهم علاقات اجتماعية مع اهل مكة كالمصاهرات وعلاقات الصداقة والمعاهدات والاحلاف ، وكان البعض يحل ضيفاً على من تربطه به علاقة صداقة من اهل مكة والاقامة عنده عدة ايام حتى تنقضي ايام موسم الحج [١] ونجد ان اهل مكة كانوا يتضامنون في القيام بواجبهم تجاه الوافدين من خلال الترحيب والاكرام وتوفير الطعام والشراب لهم ، فقد كانت دور سادات قريش مشرعة الابواب امام الضيوف[٢] .فضلاً عن قيامهم بعملية الرفادة والسقاية والحجابة ، ولقد انطوى في تقاليد الحج تقليدان عظيمان يسبغان على الحج وموسمه الروعة والامن ويدلان على مدى تأثيره في نفوس العرب وحياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية " اولهما تقليدا من منطقة الكعبة التي هي منطقة مكة وتحريم القتال فيها في كل وقت فيها ومهما كانت الاسباب ، وثانيهما : تقليد الاشهر الحرم بحيث يكون القتال وسفك الدماء محظورين فيها " [٣]، ووردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى الحج وتقاليده وشعائره منها قوله تعالى " واذ بؤانا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، واذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات " [٤]

لقد كان يفد على مكة من كل صوب وحدب فيلتقون في موسم الحج واسواقه وفي ظل اشهر الحرم ويجتمعون ويتعارفون ، ويتبايعون ويتشاورون ويتناشدون الاشعار ويعقدون المجالس للمفاخرات وحل المشاكل ، فضلاً عن كونه مظهراً قوياً بارزاً من المظاهر الاجتماعية فقد سنحت للعرب فرصة لحركة سياسية واجتماعية وفكرية وادبية ، وكان العرب يسبغون على حرمة الاشهر الحرم وهدنتها صفة تقدسية ويصبغونها بصفة دينية ، فضلاً عن اعتقادهم بان الاخلال بحرمتها وقداستها يجلب لهم الشر والنحس ، زد على ذلك فان العرب ارادوا من وراء هذا

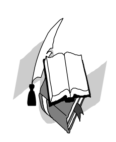
---

[١] ابن دريد ، الاشتقاق ، ١/١٧١ .

[٢] ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٢٤ ، ٤٢٦ .

[٣] دروزة ، محمد عزة،تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، المطبعة العصرية ، (بيروت ، ١٩٦١) ، ٥/ ٢٨٢ .

[٤] سورة الحج ٢٢، الآية ٢٦ . ٢٨ .



التحريم تضيق نطاق القتال والحروب والاحقاد بينهم ، وتوثيق عرى الالفة والاتحاد بينهم تمهيداً لايجاد تضامن عام في كيان واحد ، وورد في قوله تعالى " ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم " [1]، وسمي من حارب في الاشهر الحرم المحلون[2] ، وشكلت التلبيات والاختلاف بينها وفي تنوع الاصنام ، قد يكون مظهراً من مظاهر الانقسامات السياسية والصراعات القبلية ، فاصبحت لكل قبيلة وبمرور الوقت تلبية خاصة ، وتمثل هذه التلبيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي للقبيلة ، ابتداء من وصف رحلة الحج ومتاعبها وانتهاءاً بالمشاكل التي تعاني منها القبيلة [3]، ناهيك بما يمكن ان يكون لهذا كله من اثر اجتماعي وادبي عظيم في العرب الذين تفرقوا الى منازلهم وقد امتلأت جعباتهم بالاخبار ، وذاكرتهم بالاشعار والخطب والكلمات ، واكتضت اذهانهم بمختلف الصور والمشاهد مما ساعد على تقريب العرب بعضهم من بعض وتوحيد لغتهم ، وبعث حركة نشيطة من تطور الوثنية الى الشرك ثم الى وصف الشركاء شفعاء عندالله ومن استنكار العرب لما بين الكتابين من خلاف ونزاع وظهور طبقة الموحدين ، وهذا مايفسر لنا تدرج العادات والتقاليد الاجتماعية ، وترقى النظم الاقتصادية والسياسية ، ومن هنا يتضح حكم الاسلام على هذه التقاليد بعد الغاء ما يتناقض مع اسس الدعوة وما فيه من قبح وفحش وتهذيب الباقي تهذيباً يجعله ينسجم مع تلك الاسس [4]، فالقرآن الكريم نفسه يؤكد علاقات التطور والتدرج في الكون والبشر والقيم .

د. **الحمس**[5]:

---

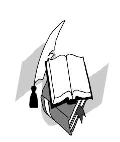
[1] سورة التوبة ٩ ، الاية ٣٦ .

[2] الاصفهاني ، الاغاني ، ١٦/ ٢٧٠.

[3] للتفصيل في التلبيات ينظر : ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٧ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١١ ـ ٣١٨ ؛ اليعوبي ، تاريخ ، ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ؛ قطرب ، ابي علي محمد بن المستنير (٢٠٦هـ) ، الازمنة وتلبية الجاهلية (قبل الاسلام) ، تحقيق : حنا جميل ، المنار ، (الاردن ، ١٩٨٥) ، ص ١١٥ . ١٢٥.

[4] دروزة ، تاريخ الجنس البشري ، ٥/ ٢٨٩ .

[5] الحمس : قبائل من العرب قد تشددت في دينها فكانت لاتستظل ايام منى ولاتدخل البيوت من ابوابها وهم قريش كلها : كنانة وماولدت الهون بن خزيمة والغوث وثقيف ، وخزاعة وعدوان وبنو ربيعة بن عامر بن



ان وجود الحرم في مكة اعطى الحق لقريش واهل مكة والذي رأوا في انفسهم منزلة ارفع من منزلة باقي العرب ، وذلك لمجاورتهم بيت الله الحرام ولرعايتهم المناسك والشعائر ولاهتمامهم بشؤون الحجاج في معظم الحالات ، كل هذا زاد من اعلاء شأن قريش حتى كناهم العرب (اهل الله)[(١)] ، فضلاً عن ذلك فانهم كانوا يرون ان سكنهم منحهم مزايا خاصة ، فكانوا يقولون ليس للعرب مثل حقنا " ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل للحمس ويحرم عليهم ما يحرم على الحمس " [(٢)] ، وقد الزم الحمس انفسهم بامور جعلوها خاصة بهم فاوصوا على انفسهم الا يطبخوا قطاً ، ولا يسلؤوا سمناً ولا يدخروا لبناً ولا يمسوا دهناً ، ولايأكلوا لحماً ولا شيئاً من بنات الحرم ورفضوا ان ينسجوا شعراً او وبراً او صوفاً ، ورأوا الا يلبسوا الا جديداً ، وفي المسكن كانوا في حجهم لا يدخلون بيتاً من شعر ، ولايستظلون اذا استظلوا الا في بيوت الادم ، فضلاً عن ذلك فانهم كانوا لايلجون البيوت من ابوابها [(٣)]، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى " ... وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى ، واتوا البيوت من ابوابها ... " [(٤)]، وكذلك فقد جعلت قريش من هذا الحمس انضواء الكثير من القبائل العربية الى قريش من خلال هذه الزيجات ، وبذلك جعلت قريش من الحمس حلف ديني يميزه عن الاحلاف القبلية ويضم قبائل كنانة وقريش وخزاعة وطوائف من بني عامر بن صعصعة [(٥)]، ويروى عن ظويلم الذبياني من انه لقب (مانع الحريم) لانه خرج قبل الاسلام يريد الحج فنزل على المغيرة بن عبدالله المخزومي ، فاراد المغيرة ان يأخذ منه ما كانت تأخذه ممن نزل

صعصعة . ينظر : البكري ، معجم ، ١/ ٢٤٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٧/٦ مادة (حمس) ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص١٥٣ .

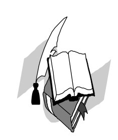
[(١)] ابن الاثير ، الكامل ، ١/ ٢٦٦ .

[(٢)] الازرقي ، اخبارمكة ، ١/ ١١٣ .

[(٣)] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٧٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١/ ٢٩٧ .

[(٤)] سورة البقرة ٢، الآية ١٨٩ . ينظر : تفسير ابن كثير ، ١/ ٢٢٥ .

[(٥)] ابن حبيب، المنمق ، ١٤٣ . ١٤٤ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ١/ ١٩٩ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ١/ ١٧٦ .



عليها ، فامتنع عليه ظويلم مستعيناً عليه بحرمة مناسك الحج ومشاعره وبالله القدير الذي هو القصد والغاية من الحج[١].

وقد افاد الحمس ايضاً حين اصبح كل من ولد من نسائهم على نهجهم في دياناتهم ، فان لم يكن متحالفاً معهم فهو على الاغلب ميال اليهم ، ويبدو ان الانتساب الى الحمس كان يعد انذاك مفخرة كبيرة ، فحينما كان بنو عبس حلفاء لبني عامر بن صعصعة وهم من الحمس في يوم جبلة ، افتخر لقيط بن زرارة بذلك التحالف وجعل بني عبس من الحمس لمحالفتهم اياهم[٢] ، وكانت النساء من غير القرشيات ينذرن تحميس ابنائهن ، وتحمست النساء القرشيات واتخذن لتحمسهن شعائر وعلامات مناسبة لطبيعة المرأة ، فالاحمسيات لاينسجن ولايغزلن ولايسلئن السمن [٣] ، وهنا لابد من القول حول تاثير الديانتين النصرانية واليهودية ، لقد كان من تأثير هاتين الديانتين حسب ما نعتقده لم يتجاوز الحدود الضيقة ان لم يكن يتجاوز الحوادث الفردية ، لانه لم يكن كيان واسع النطاق في بيئة العرب قبل الاسلام ، كما هو الامر بالنسبة الى يهود يثرب الذين وجدوا قبل الاسلام بزمن طويل مما كان لهم من تمكن اجتماعي واقتصادي وزراعي ومن اندماج وثيق بالحياة العربية ، وعدم انتشار اليهودية لدى العرب بنطاق واسع لايعني ان العرب كانوا في عزلة عن تأثيرها ، بل تأثروا بها سواء في تطور الفكرة الدينية في ما كان عندهم من معلومات وعادات وافكار حملت الصبغة الدينية مثل ابناء الانبياء والرسل وقصصهم مع اممهم ، وماكان عندهم من كتب ومناصب دينية وما كان في كتبهم من صفات وتقاليد وسواء في الطقوس والعادات المتنوعة [٤].

وهكذا فان الجانب الديني عند العرب قبل الاسلام ، وقد تدرج من وثنية مادية طبيعية وقوى طبيعية الى وثنية غير مادية روحية وخفية الى فكرة الله والاعتراف به مع اشراك الهة اخرى معه ماديين وغير ماديين ، فضلاً عن انقلاب هؤلاء الشركاء

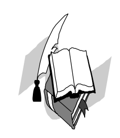
---

[١] ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٢٨٢.

[٢] ابن هشام ، السيرة ، ١/ ٢٠٠ .

[٣] الازرقي ، اخبار مكة ، ١/ ٢٩٩ .

[٤] محمد عزة دروزة ، عصر النبي ، ص٤٣٩ .



الى شفعاء لدى الله ووسطاء واعتبار الاوثان المادية رموزاً ثم الى الاتجاه الى الله وحده [١].

ومما تقدم لابد من القول ان العرب وعلى الرغم من التطور التدريجي في قيمهم الدينية ، الا ان للديانة اثراً كبيراً في حياتهم الاجتماعية ، وخير مثال على ماذهبنا اليه ما قام به عبد المطلب من افعال فقد رفض عبادة الاصنام ، ووحد الله عز وجل ، ووفى بالنذر، وسن سنناً ، نزل القرآن باكثرها وجاءت السنة بها وهي الوفاء بالنذور ، ومائة من الابل في الدية ، والا تنكح ذات محرم ، ولاتؤتي البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المؤدة والمباهلة وتحريم الخمر وتحريم الزنا وتعظيم الاشهر الحرم والا ينفقوا اذا حجوا الا من طيب اموالهم ، ونفي ذوات الرايات وغيرها[٢] ، زد على ذلك شخصيات اخرى غير عبدالمطلب كثيرة من العرب ، كانوا مستنيرين فطنوا الى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء بالجانب الديني الى اعتقادات ارقى منها حتى انتهوا الى فجر الاسلام ، لكننا سنجد انفسنا امام سؤال له اهمية كبيرة على مانعتقد ، هل كان العرب يحرمون الخمر والزنا ، فضلاً عن افعال اخرى كان بدافع ديني ام هو بدافع اخر وللجواب على هذا السؤال لابد من القول ان للديانة اثر في الحياة الاجتماعية ، ولكن ما نعتقده ان العرب حرموا كثيراً من العادات والتقاليد لسبب اجتماعي ، فضلاً عن اسباب اخرى مثل الاقتصادي او السياسي ، فيروى ان العباس بن مرداس سئل " لم لاتشرب الخمر فانها تزيد من جرأتك فقال : ما انا بأخذ جهلي بيدي ما ادخله في جوفي واصبح سيد قومي وامسي سفيههم " [٣] ، وكان عثمان بن مضعون قد حرم الخمر قبل الاسلام وقال لاشرب شراباً يذهب بعقلي ويضحك بي من هو ادنى مني وازوج كريمتي من لااريد [٤] .

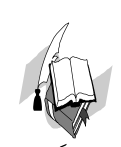
---

[١] دروزة ، عصر النبي ، ص٤٣٢ .

[٢] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٢٧ . ٣٢٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ١٠. ١١

[٣] الالوسي ، بلوغ ، ٢/ ٢٩٧ .

[٤] الالوسي ، بلوغ ، ٢/٢٩٧ .



مما تقدم نستنتج ان تأثير الدين كان حالة متداخلة ، فنجد احياناً ان تأثير الدين على المجتمع كبيراً ، وفي احيان اخرى نجد ان التأثير لايكاد يذكر ، فضلاً عن ان تحريم العرب لما تقدم نستطيع القول انه رقي وتطور في السلوك الاجتماعي للعرب ، ومهما يكن من امر ديانة العرب قبل الاسلام ، فلابد من القول وعلى الرغم من معرفة العرب الى الهة مادية معروفة مثل الشمس والقمر وزحل وعطارد وغيرها من الاجرام السماوية ، كما كانت لهم آلهة هي نعوت تعبر عن امور معنوية مثل (ود) و (رحمن) ، وكانت الجبال تؤثر في حياة الناس ، وكان للشاعر والكهان اثر في حياته الاجتماعية ، فكان من تأثير جبل ابي قبيس انه يزيل وجع الراس ، ولم تكن الشجر اقل شأناً في حياة العرب الاجتماعية [١]

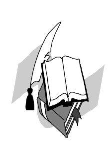
ان المعبودات المادية كانت اكثر مظاهر الشرك ، فهي شغلت حيزاً كبيراً في اديانهم وعقائدهم ، سواء في ذلك الذين عدّوا معبوداتهم الهة وشركاء مع الله او الذين عدّوها شفعاء ووسطاء ، كما في قوله تعالى " والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ، وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون " [٢] وقوله تعالى " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امناً واجنبني وبني ان نعبد الاصنام " [٣].

---

[١] محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية ، ص٥١ .

[٢] سورة الاعراف ٧ ، الاية ١٩٧ . ١٩٨ .

[٣] سورة ابراهيم ١٤، الاية ٣٥ .

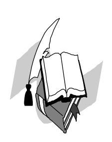


الخاتمة

ان موطن العرب قبل الاسلام رقعة شاسعة من الارض ذات صفة متباينة في المناخ والتضاريس ، وهذا الاختلاف جعل منها مواطن متعددة ، لقد ضاقت الجزيرة العربية عن امداد سكانها باسباب العيش الرغيد ، بكل مايحتاج اليه الانسان ، فعاش العربي في احضان طبيعة قاسية، فكان يعيش في خطر دائم لكنه آمن في هذه البيئة ، بقيم ظل معظمها تقليداً متوارثاً يعتز به واحتكم في ظل هذه الظروف الى قوانين صارمة لاتسامح فيها وتكاد تكون ثابته .

وهنا لابد من القول ان الباحث قد توصل الى عدد من النتائج وعلى النحو الآتي :

١. تأثرت الجزيرة العربية بصورة عامة ، والحجاز بصورة خاصة، وحياة اهلها بمؤثرات متعددة يأتي في مقدمتها الموقع الجغرافي .
٢. شكلت العصبية القبلية والاعتزاز بالنسب قانوناً ثابتاً لدى العربي، فكانت العصبية القاعدة الاساس في المجتمع القبلي بوصفها مظهراً لحماية المجتمع من التحديات ، وقد ساعد ذلك على نشوء قيم واعراف ، وتكيف ابناء القبيلة بها .
٣. شكل المجتمع القبلي مجتمعاً فئوياً ، فقد كانت القبيلة الواحدة تضم فئات الصليبة والموالي والعبيد، وكان هذا التمايز الاجتماعي قائماً بين هذه الفئات.
٤. ارتبطت القبيلة بقبائل اخرى من خلال اقامة الاحلاف والمعاهدات والجوار.
٥. يعد الثأر مظهراً بارزاً وواضحاً في المجتمع القبلي وهو القانون السائد للانتقام من الجناة ، وكثيراً ما يذهب بالارواح البريئة .
٦. تأثرت العصبية القبلية في تأثير تقارب الانساب ، فحملت هذه العصبية روح التضامن والتآلف، وكان لها اثراً ايجابياً في الفرد ، سياسياً واجتماعياً ، بعد ان صارت قانوناً ملزماً في المجتمع العربي قبل الاسلام ، فكان لها الاثر في توجيه حياة العرب الاجتماعية والادبية والسياسية ، وافرز هذا التضامن بعض الصور ، تمثلت بالدية والمفاخرات فضلاً عن الثأر الذي نوهنا به .



٧. تأتي الاسرة بعد القبيلة في الاهمية ، وقد قامت هذه الصلات الاسرية على احتواء جميع الاقارب من الذكور خاصة ، وتعد هذه الصلات من اقوى الروابط التي تربط الافراد بعضهم ببعض ، وبذلك شكلت العمود الاساس للقبيلة .

٨. برز دور الابن في المجتمع العربي ، فتمتع بمنزلة كبيرة لما كان له من وظائف مهمة كان في مقدمتها الدفاع عن القبيلة اوقات الحرب ، ونتيجة لذلك فقد تعلموا البطولة والخصال الحميدة ، فقابل حب الاباء للابناء قابله طاعة الابناء لابائهم .

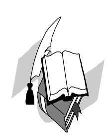
٩. تمتعت المرأة على اختلاف مسمياتها الام ، او الاخت ، اوالبنت ،او الزوجة باهمية قد تكون متفاوته ، فنجدها احياناً تقوم بدور فاعل في بناء المجتمع ، واظهرت مؤهلات جيدة في الميادين الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، كذلك الحربية ، وبرز عدد لابأس به من النساء عرفن بالمقدرة والكفاية وفي احيان اخرى حط من شخصية المرأة ، فقد وأد بعض العرب بناتهم على الرغم من حدوده الضيقة لممارسة هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة التي مارسها عدد قليل من قبائل العرب ولاسباب اقتصادية .

١٠. ومثلما كان للابن والبنت منزلة في نفوس آبائهم كان للخال والعم منزلة تكاد تكون تتساوى في النفوس .

١١. حرم العرب الزواج من الفروع والأصول كالام ، والاخت ، والبنت ، وعرفوا الزواج الشرعي ، على الرغم من تأثرهم بقسم الاقوام المجاورة .

١٢. بلغ من تأثير العرب باليهود ان طبعوا حياة اليهود الاجتماعية بطابعهم ، فعاشوا معيشتهم القبيلة ، ولبسوا لباسهم ، ومارسوا عاداتهم، وتقاليدهم حتى اصبح الدين هو الفارق الوحيد بين العرب ، واليهود عند ظهور الاسلام .

١٣. شكل المال احد وسائل المجتمع القبلي ، وكان يسخر لخدمة ابناء المجتمع او ينفق في ميدان الكرم لكسب المزيد من الحمد، والمجد ، والثناء ، فكان الغنى مستودعاً لابناء قبيلته وينفق في سبيلها .



١٤. لبس العرب قبل الاسلام الملابس المتفاوتة تبعاً للمستوى المادي للفرد ، وهذا ما انعكس على المأكل ،والمشرب، وافراحهم ،واتراحهم ، وباقي مفردات حياتهم اليومية .

١٥. عرف العرب النظافة سواءاً نظافة الابدان ام نظافة مساكنهم ، وامتازت مكة على سائر المدن الحجازية في هذا الجانب، وهذا طبيعي عند العرب ذوات العمق الحضاري .

١٦. عرف العرب في مجتمع الحجاز الفضائل والقيم الخلقية ، واصبحت كالدين المتبع وهذا الموروث الحضاري الذي حمله العرب جعلهم في صدارة الامم .

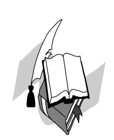
١٧. فالعرب لم تكن أمة منعزلة ، بل كانت امة متفاعلة بمن جاورها من الامم ، وهذا يظهر جلياً من خلال التبادل التجاري مع هذه الامم .

١٨. على المستوى الديني كان للدين تأثير واضح في حياة العرب الاجتماعية ، فضلاً عن ذلك ، فقد كان هناك ميل واضح وملموس للاعتقاد بالله على الرغم من غموض بعض جوانبه ، وكان البعض يشرك معه الهة اخرى يعتقد انها تقربهم الى الله ، زد على ذلك لم تكن مسألة البعث والحساب شائعة عند العرب قبل الاسلام ، وترتب على ذلك العديد من المواقف .

١٩. تميزت مكة من نظيراتها بيثرب والطائف بموقعها الديني ، مما جعل هذا التمايز ينعكس على سكانها ، وتوزيع قبائلها الذين اكتسبوا نظرة تبجيل واحترام بوصفهم سكان حرم الله وسدنة بيته العتيق .

٢٠. ارتبطت المدن الثلاث بعلاقات قوية بعضها مع بعض في جميع الاصعدة مما جعل اكثر عاداتهم وتقاليدهم وحياتهم اليومية متشابهة .

الباحث



المراجع الثانوية

١) ارنولد ، توماس وجمهرة من المستشرقين
تراث الاسلام ، تعريب : جرجيس فتح الله ، المطبعة العصرية ، (الموصل ، ١٠٥٤) .

٢) الالوسي ،محمود شكري
بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، تحقيق : محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي،ط٣ ، (مصر ، بلا.ت)

٣) البتنوني ، محمد لبيب
الرحلة الحجازية ،(القاهرة ، ١٣٢٩هـ).

٤) بروكلمان ، كارل
تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية : نبيه امين ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٥، (بيروت ، ١٩٦٨)

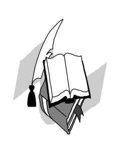
٥) البستاني ، بطرس
أ.ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، دار المكشوف ودار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٨)

٦) البستاني ، كرم
النساء العربيات ، دار صادر ، (بيروت، بلا . ت) .

٧) بلاشير. ر
تاريخ الادب العربي ، ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة ،(دمشق ، ١٩٧٣) .

٨) بيهم ، محمد جميل
المرأة في التاريخ والشرائع ، (بيروت ، ١٩٢١) .

٩) الترمانيني ، عبدالسلام
أ.الرق ماضيه وحاضره ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٥)
ب.الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام (دراسة مقارنة) ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت، بلا . ت) .



١٠) الجابري ،محمد عابد

العصبية والدولة ،دار الطليعة ، ط٣، (بيروت ، ١٩٨٢).

١١) الجبوري ، يحيى

الملابس العربية في العصر الجاهلي، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت ، ١٩٨٩)

١٢) الجبوري ،منذر

ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة ،(بغداد ، ١٩٧٤) .

١٣) جرجي ، زيدان

تاريخ اداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، (بلا مكان للطبع ، ١٩٣٦)

١٤) جمعة ،ابراهيم

مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الاسلام ، دار الطباعة الحديثة ،ط١،(البصرة ، ١٩٦٥).

١٥) الجندي علي

تاريخ الادب الجاهلي ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٦٩).

١٦) الجوهري ، عبدالهادي

قاموس علم الاجتماع ، مكتبة نهضة الشرق ، (القاهرة ، ١٩٨٣) .

١٧) حتي ، فيليب وآخرون

تاريخ العرب (مطول) ، دار غندور للطباعة والنشر ، (لبنان ، بلا. ت)

١٨) الحسن ، احسان محمد

العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٨٥) .

١٩) حسن ، حسن ابراهيم

تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، (مصر ، ١٩٦٤)

٢٠) حسن ، علي ابراهيم

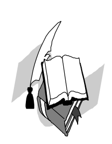
نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ، مكتبة النهضة (مصر ، ١٩٦٣).

٢١) حسين ، محمد

الهجاء والهجاؤن ، المطبعة النموذجية ، (مصر ، ١٩٤٨)

٢٢) الحلبي ، علي

برهان الشافعي ، السيرة الحلبية ، (بيروت ، بلا . ت)



٢٣) الحوفي ، احمد محمد

أ.المرأة في الشعر الجاهلي،دار نهضة مصر للطبع والنشر ،(القاهرة ،١٩٨٠) .

ب.الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، دار القلم ، (بيروت ، ١٩٧٢) .

٢٤) خان ، محمد عبدالمعيد

الاساطير العربية قبل الاسلام ، (القاهرة ، ١٩٣٧) .

٢٥) الخربوطلي ، علي حسني

أ.محمد والقومية العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٩)

ب.الحنيفية والحنفاء منذ عهد ابراهيم حتى ظهور الاسلام (القاهرة – ١٩٧٣)

ج.تاريخ الكعبة ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٦)

د.المجتمع العربي ، (القاهرة ، ١٩٥٩) .

٢٦) خليف ، يوسف

الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٦)

٢٧) خليل ، عبدالكريم

قريش من القبيلة الى الدولة المركزية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧)

٢٨) ابن خميس ، عبدالله بن محمد

المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، (الرياض ، ١٩٧٠).

٢٩) الدباغ ، مصطفى مراد

جغرافية جزيرة العرب ، ط١ ، دار الطليعة ، (بيروت، ١٩٦٣) ، ط١ .

٣٠) الدباغ ، تقي

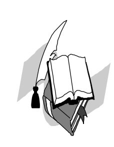
الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٩٢)

٣١) دروزة ، محمد عزة

أ.تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، المطبعة العصرية ، (بيروت ، ١٩٦١).

ب.عصر النبي (ص) وبيئته قبل البعثة ، مطبعة دار اليقظة العربية ، (دمشق ، ١٩٤٦) .

٣٢) دنيكن متشيل



معجم علم الاجتماع ، ترجمة : احسان محمد الحسن ، دار الطليعة ، (بلا مكان للطبع ، ١٩٨١).

٣٣) الدوري ، عبدالعزيز

أ.مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٨٠)

ب.مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٩) .

٣٤) ديوارنت ، ول

قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب ، (القاهرة ، ١٩٦٥)

٣٥) زاده طاش كبرى، احمد بن مصطفى

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تح: كامل بكري وعبدالوهاب ابو النور، دارالكتب الحديثة،(مصر ،بلا.ت)

٣٦) الزيتوني ، عبدالغني

الوثنية في الادب الجاهلي ، منشورات وزارة الثقافة في سوريا ، ١٩٨٧.

٣٧) زيدان ، جرجي

تاريخ التمدن الاسلامي ، (بيروت ، د. ت).

٣٨) سالم السيد عبدالعزيز

دراسات في تاريخ الغرب(تاريخ العرب قبل الاسلام)، مؤسسة شباب الجامعة ، (مصر ، بلا.ت).

٣٩) السباعي احمد

تاريخ مكة ، مطابع دار قريش ، ط٣ ، (مكة المكرمة ، ١٣٨٥هـ).

٤٠) سعفان، حسن

شحاته ، العلاقات الاجتماعية العامة (ماهيتها وفلسفتها ومجالاتها وقياسها) ، مطبعة دار التأليف ، (مصر ، ١٩٦٨)

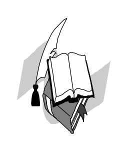
٤١) سعيد ، جميل

تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية الى ابي نؤاس ، مطبعة الاعتقاد ،(مصر ، ١٩٤٥)

٤٢) سمك ، محمد صالح

امير الشعراء في العصر القديم امرؤ القيس ، دار النهظة ،(مصر ، ١٩٢٩) .

٤٣) السندوبي ، حسن



اخبار المراقسة واشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٣٩ ، مع شرح ديوان امرؤ القيس .

٤٤) سيديو ،أ

أ.خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة : علي باشا مبارك ، مطبعة محمد افندي ، (مصر ، ١٣٠٩هـ) .

ب.تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط٢ ، (مصر ، ١٩٦٩)

٤٥) الشريف ،احمد ابراهيم

دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، ١٩٦٨).

مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربي، (مصر ، ١٩٦٥) .

٤٦) صالح احمد عباس

اليمين واليسار في الاسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، بلا . ت) .

٤٧) الصباغ ليلى

المرأة في التاريخ العربي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (دمشق ، ١٩٧٥) .

٤٨) ضيف ،شوقي ،

الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني امية ، دار المعارف، (مصر ، ١٩٧٩)

٤٩) الطرابلسي، نوفل

صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، ١٩٨٢)

٥٠) طلس، اسعد محمد

الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،١٩٥١

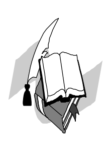
٥١) العبيدي عبدالجبار منسي

الطائف ودور ثقيف من العصر الجاهلي حتى قيام الدولة الاموية ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، (المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣) .

٥٢) العدوى ابراهيم احمد

التاريخ الاسلامي افاقه السياسية وابعاده الحضارية ، (القاهرة ، ١٩٧٦).

٥٣) العفيفي، عبدالله بك



المرأة في جاهليتها واسلامها ، مطبعة المعارف ، (مصر ، ١٩٣٣)

٥٤) العلاف ، عبدالكريم

الطرب عند العرب ، مطبعة اسعد ،(بغداد ، ١٩٦٣)

٥٥) علي ،جواد

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٥٦) .

٥٦) علي ، محمد كرد

الاسلام والحضارة العربية ، دار الكتب ، (بلامكان طبع ، ١٩٣٤).

٥٧) العلي صالح احمد

أ. دولة المدينة في عهد الرسول (ص) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٩٨٨)

ب. محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٦٨) .

٥٨) العمري ، اكرم ضياء

المجتمع المدني في عهد النبوة ، مطبعة الجامعة الاسلامية، ط١ ،(المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٣).

٥٩) فارمر هنري

تاريخ الموسيقى العربية ، عربه وعلق عليه : جرجيس فتح الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، ١٩٧٢) .

٦٠) الافغاني ، سعيد

اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مطابع دار الفكر ،(دمشق ، ١٩٦٠).

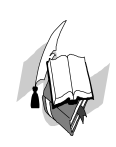
٦١) فروخ ، عمر

تاريخ العرب في صدر الاسلام والدولة الاموية ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧٠) .

٦٢) القيسي ، نوري حمودي

الفروسية في الشعر العربي، (بغداد ، ١٩٦٤).

٦٣) الكتاني محمد بن عبدالحي بن عبدالكبير (ت١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)



التراتيب الادارية والعملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة العلية ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) .

٦٤) كحالة ، عمر رضا

أ.العرب قبل الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، (سوريا ، ١٩٥٨) .

ب.العرب من هم وماقيل عنهم ، (بيروت ، ١٩٧٩)

ج.معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ، المكتبة الهاشمية ،(دمشق ، ١٩٤٩) .

د.جغرافية شبه جزيرة العرب ، مطبعة الكتبي ، (دمشق ، بلا.ت)

٦٥) كستر ، م. ج .

أ . مكة وتميم ترجمة يحيى الجبوري ، (بغداد ، ١٩٧٥)

ب . الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : د. يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٦)

٦٦) كشك ، محمد بهجت

المدخل الى تنظيم المجتمع ، الاسكندرية ، (مصر ، د. ت).

٦٧) لطفي ، جمعة محمد

ثورة الاسلام وبطل الانبياء ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٨).

٦٨) لوبون ، غوستاف

أ.حضارة الهند،ترجمة:عادل زعيتر، مطبعة احياء الكتب العربية،(بيروت، ١٩٤٨).

ب.حضارة العرب،ترجمة:عادل زعيتر،مطبعة احياء الكتب العربية،(بيروت،١٩٧٩)

٦٩) ماجد عبدالمنعم

التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٢، (١٩٧١).

٧٠) مبروك نافع محمد

تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ، ط٢ ، مطبعة السعادة ،(القاهرة ،١٩٥٢).

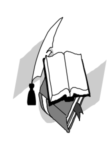
٧١) محمد ، محمود جمعة

النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السامية ،(القاهرة ،١٩٤٩)

٧٢) المشهداني ، محمد جاسم حمادي

الانساب العربية ودورها في تدوين تاريخ الامة ، دار الشؤون الثقافية العامة.

٧٣) معجم العلوم الاجتماعية



، نخبة من الاساتذة المصرين والعرب المتخصصين ، مراجعة : ابراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر ، ١٩٧٥).

٧٤) الملاح ،هاشم يحيى

الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٩٤)

٧٥) مهران محمد بيومي

تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة ، ١٩٩٧)

٧٦) المولى، محمد جاد ومحمد ابوالفضل وعلي محمد البجاوي

ايام العرب في الجاهلية ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٦١) .

٧٧) ميشيل ، دينكن

معجم علم الاجتماع ، ترجمة احسان محمد الحسن ، دار الرشيد للنشر ،(بغداد، ١٩٨٠).

٧٨) نالينو ، كارلو

تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية ، تقديم : طه حسين ، ط١ ،(مصر ، ١٩٧٠).

٧٩) النص ،احسان

العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٤)

٨٠) نكلسن ، رينولد

تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام ، ترجمة وت : د. صفاء خلوصي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٦٩)

٨١) نور ، محمد عبدالمنعم

المجتمع الانساني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، (القاهرة ، ١٩٧٠).

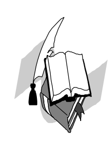
٨٢) الهاشمي ، احمد

جواهر الادب في ادبيات وانشاء العرب ، مطبعة السعادة ،(مصر ، ١٩٦٠)

٨٣) الهاشمي ، على

المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٦٠) .

٨٤) واط ، مونتغمري



محمد في مكة ، تعريب : شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة ، (بيروت ، ١٩٥٢) .

٨٥) الوافي علي عبدالواحد

الاسرة والمجتمع ، دار احياء الكتب العربية ، (مصر ، ١٩٥٨) .

٨٦) ولفنسون ، اسرائيل

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاعتماد ، (مصر ،١٩٢٧) .

٨٧) ولكن أ . ج

الامومة عند العرب ، تعريب : بندلي الجوزي ، (قازان ، ١٩٠٢)

٨٨) وهبة ، حافظ

جزيرة العرب في القرن العشرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط٢ ،(مصر، ١٩٣٥) .

٨٩) ياسين نجمان

تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، مطبعة بيت الموصل ، (الموصل ،١٩٨٨)

٩٠) اليسوعي ، الاب لويس شيخو

٩١) أ.شعراء النصرانية قبل الاسلام ، جمع وتحقيق : الاب لويس شيخو ، مطبعة المشرق ، (بيروت ، بلا . ت).

ب.شعراء نجد والحجاز والعراق ، مطبعة الاباء اليسوعين ،(بيروت ، ١٩٢٤).

المراجع الاجنبية

Muir : Sir Wallam , the Life of Mohammad from original Sourocs , new and rev , ed . by T.H Weir Ednburgh . 1923 , P. 93 .

ثالثاً : المجلات والدوريات :

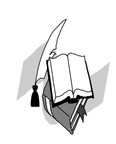
٩٢) البكر ، منذر

بحث في جغرافية شبه جزيرة العرب، مجلة آداب البصرة،عدد ٩، لسنة ١٩٧٤ .

٩٣) الرايعة ،احمد

عبادة الاصنام في الجزيرة العربية قبل الاسلام ووظيفتها الاجتماعية ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد / ٣ ، العدد الاول ، (الاردن ، ١٩٧٨) .

٩٤) الساموك، سعدون



الازياء العربية ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد / ٢٥ لسنة ١٩٨٤ .

٩٥) الصابوني، محمد علي
اعياد المسلمين ، مجلة رابطة العالم الاسلامي ، العدد ، ٨ ، لسنة ٣ ، مكة المكرمة ، دار الاصفهاني ، ١٩٦٦.

٩٦) عبدالمنعم ، نبيلة
اداب المائدة في التراث ، بحث القي في منتدى بغداد عام ١٩٩١ ، امانة بغداد .

٩٧) علوان ، موسى بناى
الشورى في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، مجلة الدارة ، العدد /٣ ، المملكة العربية السعودية لسنة ١٩٨٤ .

٩٨) العلي ، صالح احمد
التاريخ الاجتماعي للعرب نطاقه ومصادره ، مجلة افاق عربية ، العدد/٤ لسنة ١٩٧٧

٩٩) العلي صالح احمد
الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، جزئين ، مجلد/ ٢٦ لسنة ١٩٧٥ ، مجلد / ٢٧ لسنة ١٩٧٦

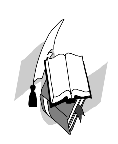
١٠٠) قيسي ، نوري حمودي
النسب الى الام عند العرب بين نظام الامومة والطموطية ، مجلة دراسات الاجيال ، السنة الاولى ، العدد ٢ ، ايار ١٩٨٠.

١٠١) الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد
اثر الاسواق في وحدة الثقافة العربية ، بحث منشور في مجلة بيت الحكمة ، العدد / ٥ السنة الاولى ، ١٩٨٨.

١٠٢) كمال ، محمد سعيد حسن
الطائف ، مجلة العرب ، الجزء الاول ، السنة الرابعة ، ١٩٦٩ .

١٠٣) مؤنس حسين
السيرة النبوية رؤية جديدة ، مجلة الهلال ، ايلول ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

١٠٤) مكسيم ، رودنسون



حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشكلة الاجتماعية لاصول الاسلام ، ترجمة : زينب رضوان ، مجلة الفكر العربي (الاستشراق) ، السنة الخامسة ،، (بيروت ، ١٩٨٣).

١٠٥) نبيه عاقل

مجالس الشراب في الجاهلية والاسلام ، مجلة العربي ، العدد / ٥٨ ، ١٩٦٣ ، الكويت .

١٠٦) نصار حسين

اغاني الافراح عند العرب ، مجلة العربي ، العدد ٣٤ لسنة ١٩٦١ ، الكويت .

١٠٧) يوسف ، شريف

الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد / ٢٩ ، لسنة ١٩٧٨.

دوائر المعارف

١٠٧) دائرة معارف البستاني ، اعداد : بطرس البستاني دار المعرفة ،(بيروت ، بلا . ت)

الاطاريح والرسائل الجامعية

١٠٨) الجبوري ، ابراهيم محمد

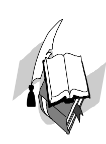
التحالفات بين القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٩٠.

١٠٩)الجميلي ، خضير عباس

دور قريش قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القومية ، الجامعة المستنصرية ، (بغداد ، ١٩٨٦) .

١١٠)عبدالرحمن ،هاشم يونس

المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٨٧.



المصادر الأولية

القران الكريم

1) الابشيهي شهاب الدين محمد بن احمد(ت ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م)
المستظرف في كل فن مستطرف، مراجعة: عبدالعزيز سيد الاهل ،المشهد الحسيني،(القاهرة،بلا . ت) .

2) ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٥) .

3) ابن الاثير الجزري مجد الدين ابي السعادات (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)
النهاية في غريب الحديث والاثر ، تح : طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناجي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) .

4) الازرقي، ابو الوليد محمد بن عبدالله (ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨م)
اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس، دار الاندلس ، مطابع ماثيو كرومر ، (اسبانيا ، بلا . ت)

5) الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)
تهذيب اللغة ، تحقيق : عبدالكريم العرباوي ومحمد على النجار، مطابع سجل العرب ،(مصر ، ١٩٧٨)

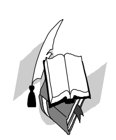
6) ابن اسحاق، محمد (ت١٥١هـ / ٧٦٨م)
السير والمغازي ، تحقيق :سهيل زكار، دار الفكر،(بلا مكان للطبع ، ١٩٧٨).

7) الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ،١٨٧٠)

8) الاصفهاني، الحسن بن عبدالله (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م)
بلاد العرب ، تحقيق : حمد الجاسر وصالح احمد العلي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية (الرياض ، ١٩٦٨)

9) الاصفهاني ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٧٦م)
الاغاني ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) .

10) الاصمعي، ابي سعيد عبدالملك بن قريب (٢١٦هـ /٨٣١م)
الخيل ، تقديم : د. نوري القيسي ، مجلة كلية الاداب ، العدد ، ١٢ ، لسنة ١٩٦٩ ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، ١٩٧٠).



١١) الاعشى ، ميمون بن قيس

شرح الديوان ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) .

١٢) امرؤ القيس

شرح الديوان ،تأليف حسن السندوبي،مطبعة الاستقامة ،(القاهرة ، بلا . ت)

١٣) امية بن ابي الصلت

شرح الديوان، تعليق : سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا . ت) .

١٤) اوس بن حجر

شرح الديوان تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٠) .

١٥) البخاري ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

صحيح البخاري ، تح : قاسم الشماع ، دار القلم ، (بيروت ، ١٩٨٧) .

١٦) ابن بطلان الشيخ ابا الحسن المختار بن الحسن بن عبدون

رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، نوادر المخطوطات ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، ١٩٧٣)

١٧) ابن بطوطة ابو عبدالله بن ابراهيم الطنجي

تحفة النظار في غرائب الامصار المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة) ، شرح : طلال حرب ، دار احياء الكتب العلمية ،(بيروت ، ١٩٨٧).

١٨) البغدادي عبدالقادر بن عمر (١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م)

خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة، ١٩٨٨) .

١٩) ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)

أ.جمهرة انساب قريش واخبارها ، شرح وتعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، ١٣٨١هـ).

ب.الاخبار والموفقيات ، تحقيق : سامي العاني، مطبعة العاني ، (بغداد ، ١٩٧٢) .

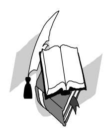
٢٠) البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة، ١٩٥٤)

٢١) البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٩٠١م)

أ . انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، (مصر ،١٩٥٩).

ب.فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه : د. صلاح الدين المنجد ، دار طباعة مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٦).



٢٢) البيهقي ،احمد بن الحسين (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)
سنن البيهقي الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، دار الباز ،(مكة المكرمة ، ١٩٩٤) .

٢٣) تأبط شراً
الديوان واخباره جمع وتحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الاسلامي ، (بلا مكان طبع ، ١٩٨٤)

٢٤) الترمذي محمد بن عيسى (٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
سنن الترمذي ، تح : احمد شاكر وآخرون ، دار احياء التراث العربي،(بيروت ، بلا . ت) .

٢٥) التوحيدي، ابي حيان
البصائر والذخائر ، تح : احمد امين واحمد الصقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (مصر ، ١٩٥٣)

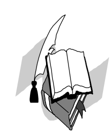
٢٦) الثعالبي، ابي منصور عبدالملك النيسابوري(٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب ، تصحيح : محمد حسين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، ١٩٠٨)

٢٧) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)
أ.الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي، ط١ ، (مصر ، ١٩٣٨).
ب.المحاسن والاضداد ، تصحيح: محمد امين الخانجي،(مطبعة السعادة ،١٣٢٤هـ).
ج. رسائل الجاحظ ، تح:عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، بلا . ت).
د. البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،(القاهرة، ١٩٧٥) .

٢٨) ابن جبير، ابو الحسن محمد احمد
تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروف بـ (رحلة ابن جبير) ، دار التحرير ، (بيروت ، بلا. ت) .

٢٩) ابن جري ، عبدالله بن محمد بن جري الغرناطي (القرن الثامن الهجري)
الخيل مطلع اليُمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، تحقيق : محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الاسلامي،(بيروت ، ١٩٨٦)

٣٠) الجمحي، ابو عبدالله بن سلام (ت٢٣٢هـ / ٨٤٦م)
طبقات الشعراء الجاهلين والاسلامين ، طبعت على نسخة قديمة وقوبلت على نسخة طبع اوربا.



٣١) ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن

الحدائق في علم الحديث والزهديات، تحقيق : مصطفى السبكي ، دار الكتب العلمية، ط١ . (بيروت ، ١٩٨٨).

٣٢) حاتم الطائي

الديوان ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) .

٣٣) ابن حبان ، محمد بن حبان (ت ٢٥٤هـ / ٨٦٨م)

صحيح ابن حبان، تح:شعب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،(بيروت ،١٩٩٣) .

٣٤) ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ / ٨٥٩م)

أ.المنمق ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : خورشيد احمد فاروق ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط١، حيدر اباد ، الدكن ، (الهند ، ١٩٦٤)

ب.المحبر ، اعتنى بتصحيحه الدكتورة ايلزه ليختن شتير ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ، بلا . ت)

٣٥) ابن حجر ،احمد بن علي بن محمد العسقلاني (٨٢٥هـ / ١٤٤٩م)

الاصابة في تميز الصحابة ، مطبعة السعادة، (مصر ، ١٣٢٨هـ) .

٣٦) ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

جمهرة انساب العرب ، تحقيق :عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٢) .

٣٧) حسان بن ثابت

الديوان ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت)

٣٨) الحلبي، علي بن ابراهيم بن احمد(ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)

انساب العيون في سير الامين والمأمون المسماة السيرة الحلبية وبهامشها السيرة النبوية والاثار المحمدية بمكة المشرفة ،السيد احمد زيني دحلان،مطبعة الاستقامة،(القاهرة ،١٩٦٢)

٣٩) الحميري ابو عبدالله بن محمد بن عبدالمنعم (ت٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)

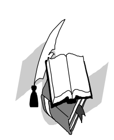
الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح:احسان عباس ، (بيروت ، ١٩٨٤) .

٤٠) ابن حنبل ، احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) .

المسند ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت

٤١) ابن حوقل ابي القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)

صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت، بلا. ت)



٤٢) ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ / ٩١٢م)
المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١)

٤٣) الخزاعي علي بن محمد بن سعود (٧٨٩هـ / ١٣٨٧م)
تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله (ص) من الحرف والصنائع والعملات الشرعية ، تح : احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت ، ١٩٨٥)

٤٤) الخضراوي ، احمد بن محمد
العقد الثمين في فضائل البلد الامين ، تحقيق : كاظم الشيخ جواد الساعدي ، مطبعة القضاء،(النجف، ١٩٥٨)

٤٥) ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
أ.كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، المعروف بتاريخ ابن خلدون ،مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت ، ١٩٧٩) .
ب. مقدمة ابن خلدون،دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت)

٤٦) الخنساء ، تماضر بنت عمرو (٢٤هـ / ٦٤٦م) .
الديوان شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٣)

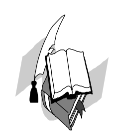
٤٧) ابو داود ، سلمان بن الاشعث بن اسحق الازدي
سنن ابو داود ، (مصر ، ١٩٥٢)

٤٨) ابن دريد ، ابي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ / ٩٣٣م)
الاشتقاق ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة المثنى ، ط٢، (بغداد ، ١٩٧٩)

٤٩) الدينوري ، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
المعارف ، تصحيح وتعليق ومراجعة : محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الاسلامية ، ط١ ، (مصر ، ١٩٣٤).

٥٠) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)
أ.سير اعلام النبلاء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ،(القاهرة ،١٩٥٥) .
ب. الطب النبوي ، تحقيق : احمد البدراوي ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، ١٩٨٤)

٥١) ابن رشيق، ابي علي الحسن (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)
العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٢)



٥٢) الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م)
تاج العروس ، (بيروت ، بلا . ت) .

٥٣) الزبيري، ابي عبدالله المصعب بن عبدالله (ت٢٣٦هـ / ٨٥٠م)
كتاب نسب قريش ، شرح وتصحيح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ط٢، (مصر ، بلا.ت)

٥٤) الزمخشري ، محمود بن عمر (٢٥٨هـ / ٨٧١م)
الامكنة والمياه والجبال ، تح : ابراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون ، (بغداد ، ١٩٦٨).

٥٥) زهير بن ابي سلمى
الديوان ، تقديم : كرم البستاني،دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) .

٥٦) الزوزني ابو عبدالله بن احمد بن الحسين (ت ٤٨٦هـ /١٠٩٣م)
شرح المعلقات السبع ، مطبعة المعارف ، (بيروت ، بلا . ت) .

٥٧) زيد بن علي بن الحسين ، الامام
مسند الامام زيد ، دار مكتبة الحياة ، ٠ بيروت ، بلا.ت).

٥٨) السدوسي ، مؤرج بن عمرو (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)
حذف من نسب قريش ، نشره الدكتور : صلاح الدين المنجد ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، ١٩٦٠)

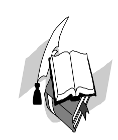
٥٩) ابن سعد ، محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)
الطبقات الكبرى ، تقديم: احسان عباس ، دار صادر ،(بيروت ، بلا. ت)

٦٠) السمعاني ، ابو سعد عبدالكريم بن منصور (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)
الانساب ، تصحيح وتعليق : الشيخ عبدالرحمن بن يحيى اليماني ، مطبعة المعارف العثمانية، حيدراباد ، ط١، (الهند، ١٩٦٢) .

٦١) السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م)
وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٥٥).

٦٢) السموأل
الديوان ، شرح عيس سابا ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت)

٦٣) ابن سيدة ، ابي الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
المخصص ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا . ت) .



٦٤) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م) وجلال الدين محمد بن احمد المحلى
تفسير الجلالين ، (بيروت ، بلا. ت) .

٦٥) ابن شبة ابو زيد عمر النميري البصري (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م)
تاريخ المدينة المنورة ، تح : فهيم محمد شلتوت ، دار الاصفهاني ، (بلامكان للطبع ، بلا . ت) .

٦٦) الشوكاني الشيخ محمد بن علي بن محمد
نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، بلا . ت) .

٦٧) شيخ الربوة ،شمس الدين ابي عبداللة محمد الدمشقي(٧٦٧هـ / ١٣٦٥م)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ، (بيروت، لبنان، ١٩٩٨)

٦٨) الصالحي محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٨هـ / ١٥٣٦م)
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : د. مصطفى عبدالواحد ، مطابع الاهرام التجارية ، (القاهرة ، ١٩٧٢) .

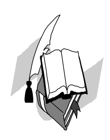
٦٩) الصنعاني ابو بكر عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)
مصنف عبدالرزاق ، تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، المكتبة الاسلامية ، (بيروت ، ١٤٠٢هـ) .

٧٠) الضبي ، ابو عبدالرحمن المفضل بن محمد بن يعلى (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)
المفضليات ، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٤٢).

٧١) الطائي ، ابو تمام حبيب بن اوس (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)
نقائض جرير والاخطل ، تعليق : الاب انطوان الصالحاني اليسوعي ، دار الكتب العلمية ، (بلا مكان طبع ، ١٩٢٢).

٧٢) الطائي، ابو تمام حبيب بن اوس
ديوان الحماسة ، شرح:العلامة التبريزي ، دار العلم،(بيروت ، بلا. ت).

٧٣) الطبري ،محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
أ.جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر،(بيروت ، ١٩٨٨) .
ب.تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٠)



٧٤) طرفه بن العبد

الديوان ، شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت، ١٩٦١).

٧٥) ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر

بلاغات النساء ، مطبعة والدة عباس الاول ، (مصر ، بلا . ت) .

٧٦) ابن عبد الحق ، صفي الدين عبدالمؤمن البغدادي (٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)

مراصد الاطلاع ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٥) .

٧٧) ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد المالكي (ت ق٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، على هامش الاصابة في تميز الصحابة ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٣٢٨ هـ)

٧٨) ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت٣٢٨ هـ / ٩٣٩م)

العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين،دار مكتبة الهلال ،(بيروت ، ١٩٦٨) .

٧٩) ابو عبيد، القاسم بن سلام

النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، تقديم : سهيل زكار ، دار الفكر ، (دمشق ، ١٩٨٩).

٨٠) عبيد بن الابرص

ديوان ، تقديم: كرم البستاني، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت)

٨١) ابو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ / ٧٢٤ م)

نقائض جرير والفرزدق ، طبع بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ببغداد على نسخة مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٠٧) .

٨٢) عروة بن الورد

الديوان ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) .

٨٣) ابن عساكر، ابن بدران الشيخ عبد القادر ابن محمد الدمشقي

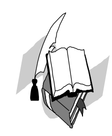
تهذيب تاريخ ابن عساكر ، مطبعة الترقي،(دمشق. ١٣٤٦هـ)

٨٤) العسقلاني ، شهاب الدين احمد بني علي

تهذيب التهذيب ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند ، ١٣٢٥هـ)

٨٥) العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك (ت١١١١هـ / ١٦٩٩م)

سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ،(القاهرة ، ١٣٨٠هـ).



٨٦) العمري ، ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)
مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق : احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٢٤)

٨٧) الفاسي ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد (٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)
شفاء الغرام في اخبار البلد الحرام ، تح : لجنة من كبار العلماء والادباء ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٦) .

٨٨) عنترة بن شداد
ديوان ، شرح كمال البستاني ، دار صادر ، (بيروت، بلا . ت)

٨٩) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)
مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١) .

٩٠) الفيروز ابادي، محب الدين محمد بن يعقوب
القاموس المحيط ، (مصر ، ١٩٥٢)

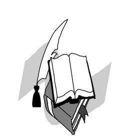
٩١) القالي ، ابي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)
أ. الامالي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د.ت).
ب.ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، بلا . ت).

٩٢) ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)
أ. عيون الاخبار ، دار الكتاب العربي . نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ،(بيروت ، ١٩٢٥) .
ب.الشعر والشعراء ، قدم له : حسن تميم ، مراجعة : الشيخ محمد عبدالمنعم عريان ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، ١٩٨٦).
ج. ادب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، (مصر ، ١٣٥٥)
د.المعارف ، تصحيح ومراجعة : محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الاسلامية ، (مصر ، ١٩٣٤)

٩٣) قدامة ،ابو الفرج بن جعفر(٣٢١هـ / ٩٣٢ م)
نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة ، ١٩٦٣)

٩٤) القرطبي ، ابو عبدالله محمد بن احمد(ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)
الجامع لاحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٦٥)

٩٥) القزويني ، الامام زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)
أ.اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت)



ب.عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٦)

٩٦) القلقشندي ، ابي العباس احمد (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨)

أ. نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، الشركة العربية للطباعة ، (القاهرة ، ١٩٥٩).

ب.صبح الاعشى في صناعة الانشا ، بقلم الشيخ : محمد عبدالرسول ، المطبعة الاميرية ، ٠ مصر ، ١٩٦٣) .

٩٧) قطرب ، ابي علي محمد بن المستنير (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)

الازمنة وتلبية الجاهلية (قبل الاسلام) ، تح : حنا جميل ، المنار ، (الاردن ، ١٩٨٥)

٩٨) قيس بن الخطيم

الديوان، تح : ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٧)

٩٩) ابن قيم الجوزية شمس الدين ابو عبدالله محمد بن بكر(٦٩١هـ/ ١٢٩١م)

اخبار النساء ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، بلا . ت) .

١٠٠) كعب بن مالك

الديوان دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، ١٩٦٤)

١٠١) ابن كثير،ابو الفداء الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

البداية والنهاية ، تحقيق : احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، ط٤ ، (بيروت ، ١٩٨٨) .

١٠٢) ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)

أ. كتاب الاصنام ، تحقيق : احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ، ١٩٤١).

ب.جمهرة النسب ، تحقيق:ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٨٦)

١٠٣) لبيد بن ربيعة العامري

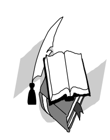
شرح ديوان دار صادر ، (بيروت، بلا. ت)

١٠٤) ابن ماجة ابو عبدالله محمد بن زيد (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨)

سنن ابن ماجة، تح:محمد عبدالباقي،دار الكتب العلمية ،(بيروت،بلا.ت) .

١٠٥) الماوردي ،ابو الحسن علي بن محمد(ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)

الاحكام السلطانية ، (القاهرة ١٩٦٦)



١٠٦) المبرد ، ابي العباس محمد بن يزيد(ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م)
الكامل ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، دار النهضة ،(مصر ، بلا . ت).

١٠٧) ابن المجاور، جمال الدين ابي الفتح يوسف الدمشقي (ت٦٩٠هـ / ١٢٩١)
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى بتاريخ المستبصر ، طبعة (ليدن ، ١٩٥١)

١٠٨) المرزباني ، ابي عبيدالله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ/ ٩٥٩م)
اشعار النساء ، تح : سامي العاني وهلال ناجي ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، دار الرسالة للطباعة، (بغداد ، ١٩٦٦) .

١٠٩) المرزباني، ابو عبيدالله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)
معجم الشعراء ، تح ، عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (بيروت ، ١٩٦٠)

١١٠) المرزوقي، ابو علي الاصفهاني (ت٤٥٣هـ/ ١٠٤٣م)
الازمنة والامكنة،مجلس دائرة المعارف في الهند ،(حيدر اباد ، ١٩١٣) .

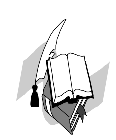
١١١) المرزوقي، ابو علي احمد بن محمد (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)
شرح ديوان الحماسة ، نشره : احمد امين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٧)

١١٢) المسعودي، ابو الحسن بن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
أ. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس ، ط٦، (بيروت ، ١٩٨٤)
ب. التنبيه والاشراف ، صححه وراجعه : عبدالله اسماعيل الصاوي ، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ، (مصر ،١٩٣٨)

١١٣) المفضل الضبي، ابو العباس المفضل بن محمد (ت١٦٨هـ/ ٧٨٤م)
ديوان المفضليات ، تح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٤٢)

١١٤) المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله بن احمد المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، بريل ، (ليدن ، ١٩٠٦).

١١٥) المقريزي ، ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
أ. النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، قدم له : السيد محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، (النجف ، ١٩٦٦)



ب.امتاع الاسماع لما للرسول من ابناء والاموال والحفدة والمتاع ، صححه : محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٤١)

١١٦) ابن منبه ، وهب (ت١١٠هـ/ ٧٢٧م)

التيجان في ملوك حمير ، تحقيق : مركز الدراسات والابحاث اليمنية ، صنعاء ، (اليمن ، بلا. ت) .

١١٧) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٨).

١١٨) الميداني ، ابي الفضل احمد بن محمد (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م)

مجمع الامثال ، تح:محمد ابوالفضل ابراهيم ، دار الجيل ،(بيروت ، ١٩٨٧) .

١١٩) النابغة الذبياني

ديوان تح : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، (بيروت ، ١٩٦٩).

١٢٠) ابن النجار، محمد بن محمود (ت٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)

اخبار مدينة الرسول المعروف الدرة الثمينة في اخبار المدينة ، تحقيق : لجنة من كبار العلماء والادباء ، مكتبة النهضة ،(مكة المكرمة ، بلا. ت)

١٢١) النسائي ، احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)

شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الحديث، (القاهرة ، ١٩٨٧) .

١٢٢) النهروالي الشيخ قطب الدين

اخبار مكة المشرفة ، مطبعة خياط ، (بيروت ، ١٩٦٤).

١٢٣) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

نهاية الارب في فنون الادب ، مطابع كوستاتوماس ، القاهرة (نسخة مصورة عن دار الكتب)

١٢٤) النيسابوري ، ابو عبدالله محمد (ت٥٠٤هـ / ١١١٠م)

المستدرك ، مطبعة نصر الحديثة ، (الرياض ، ١٩٦٨)

١٢٥) ابن هشام ابو محمد عبدالملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)

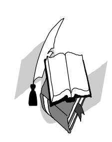
السيرة النبوية،تح: مصطفى السقا وآخرون ، دار الفكر ،(بيروت ، ١٩٨٦) .

١٢٦) الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)

صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٩)

١٢٧) الهيثمي ، علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)

مجمع الزوائد،دار الريان ودار الكتاب العربي ،(القاهرة وبيروت،١٤٠٧هـ) .



١٢٨) الواقدي ، ابو عبدالله محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ / ٨٢٢م)
مغازي رسول الله ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٩٤٨) .

١٢٩) الوشاء ، ابي الطيب محمد بن احمد بن اسحاق
الظرف والظرفاء،تحقيق : فهمي سعد،عالم الكتاب ،(بيروت ، ١٩٨٥) .

١٣٠) ياقوت الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله البغدادي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
أ. معجم البلدان ، دار صادر ،(بيروت ، ١٩٧٧)
ب. المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، الدار العربية للمطبوعات ، (بيروت ، ١٩٨٧) .

١٣١) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٨٤هـ / ٨٦٢م)
أ.البلدان ، مطبعة ليدن ، (بريل ،١٨٩١)
ب. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت ، بلا.ت).